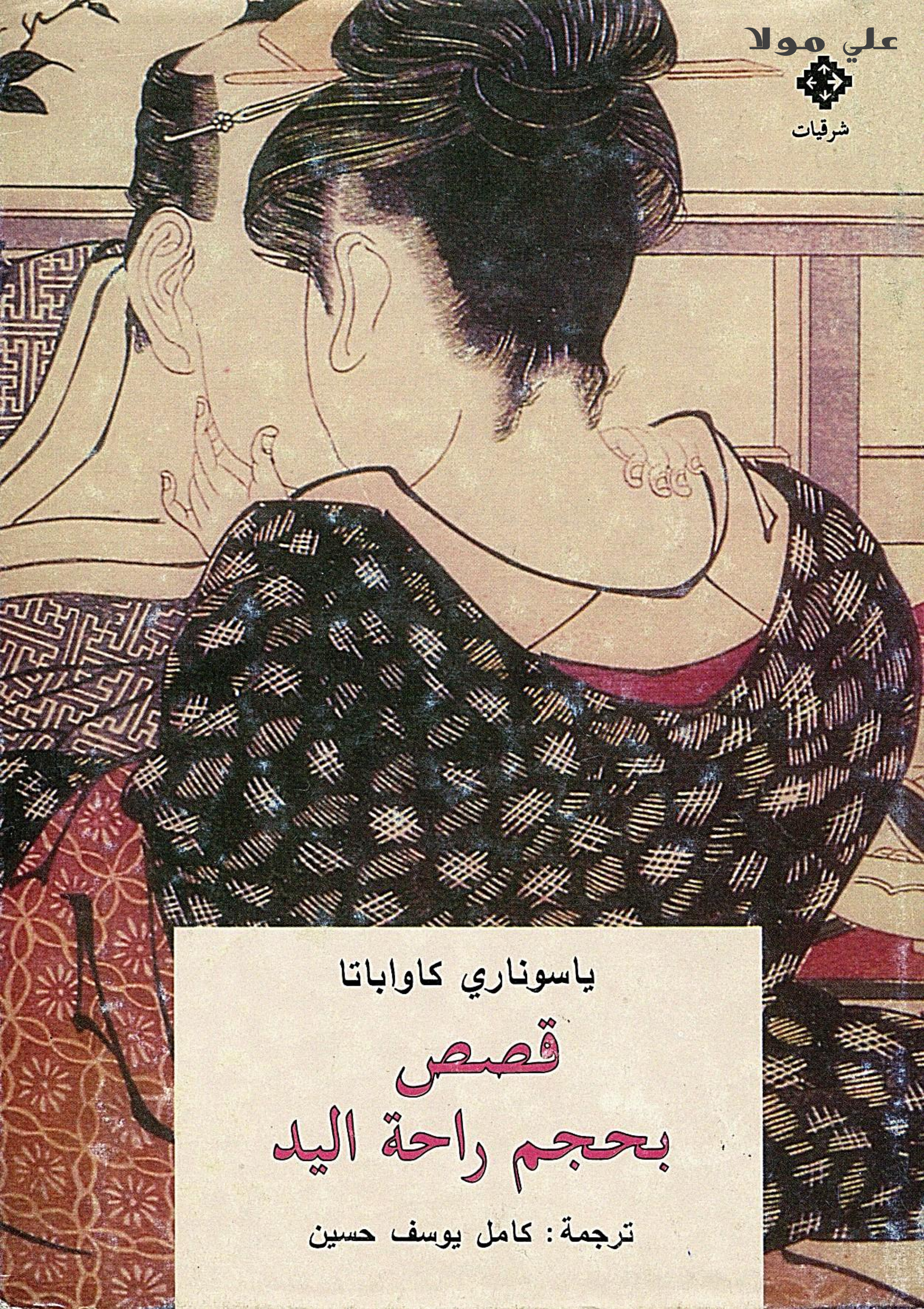
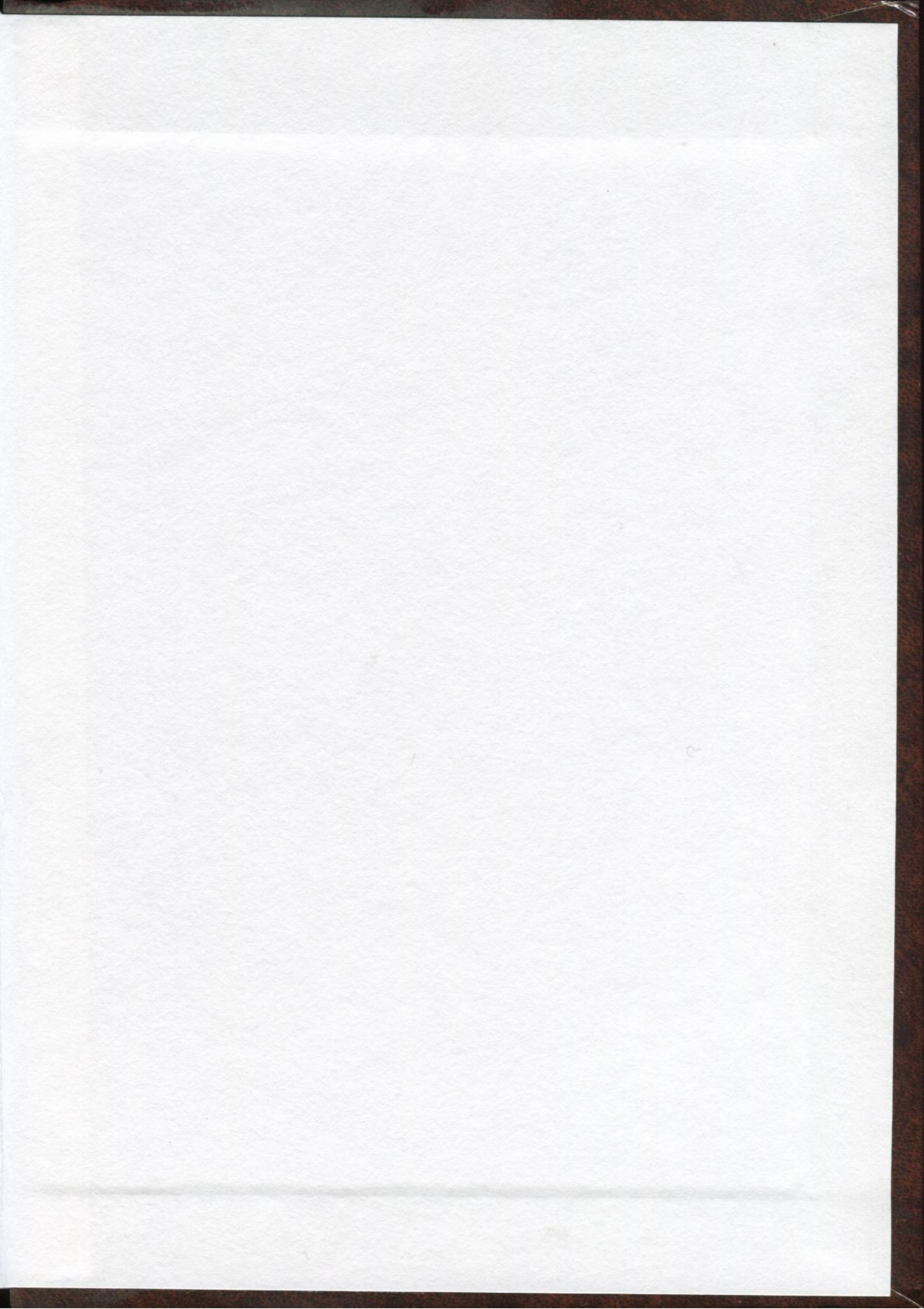


علي مولا
شرقيات
ياسوناري كاواباتا
قصص
بحجم راحة اليد
ترجمة: كامل يوسف حسين

ياسوناري كاواباتا

قصص بحجم راحة اليد

ترجمة: كامل يوسف حسين





قصص
بحجم راحة اليد

قصص بحجم راحة اليد

ياسوناري كاواباتا

ترجمة: كامل يوسف حسين

الطبعة الأولى ١٩٩٩



دار شرقيات للنشر والتوزيع

٥ ش محمد صدقي، هدى شعراوي
رقم بريدي ١١١١١
باب اللوق، القاهرة
ت: ٣٩٠٢٩١٣ س ت: ٢٦٩١٩٨

غلاف وإخراج: ذات حسين

لوحة الغلاف: كيتاجاوا أوتامارو

قصص
بحجم راحة اليد

ياسوناري كاواباتا

ترجمة: كامل يوسف حسين



دار شرقيات للنشر والتوزيع



مقدمة المترجم

من المؤكد أن فوز "ياسونارى كواباتا" بجائزة نوبل للأدب يشكل أحد أبعاد الاهتمام الكبير بأدبه، على المستوىالعالمى، ولكنه أيضا ليس البعد الوحيد، ولا الأكثر أهيمة.

وعلى المستوى العربى، كان "كواباتا" محظوظا معنا، أو بالأحرى كنا محظوظين معه، فقبل العمل الماثل بين يدى القارئ، ترجمت سبعة أعمال لكاواباتا إلى العربية، هى على التوالى: حزن وجمال ، البحيرة، ضجيج الجبل، الجميلات النائمات، بلاد الثلوج، راقصة إيزو، سرب الطيور البيضاء.

ونظرة واحدة إلى أعمال "كاواباتا" المترجمة إلى اللغة العربية كفيل بأن يلفت نظرنا إلى حقيقة طالما وقفنا حيالها، بالدهشة والتساؤل.

فى هذه الأعمال المترجمة إلى اللغة العربية، لا نجد تعريفا حقيقيا بهذا المبدع الكبير، ولن نعثر على الحد الأدنى من محاولة الاقتراب من عالمه الإبداعى.

ففى رواية "البحيرة" على سبيل المثال، لن نجد إلا اثنى عشر سطرا أوردها الناشر على الغلاف الخلفى للرواية، على سبيل التعريف بكاواباتا.

والأمر نفسه ينطبق على راقصة إيزو مع فارق بسيط، هو أن الناشر، فى هذه الحالة، كان أكثر كرما، فأورد اثنين وعشرين سطرا، على سبيل التعريف بالمؤلف.

وفى رواية "بلاد الثلوج" سنجد تصويرا للمترجمة "لطيفة الدليمى" ومقدمة "لإدوار سيد نكستر"، وفى كتاب "مختارات من الأدب اليابانى المعاصر " سنجد ثلاث صفحات عن "كاواباتا"، وفى مجموعة "الليمون" التى تضم قصصا من اليابان والصين ، سنجد صفحة وبضعة أسطر ، فى معرض التعريف بكاواباتا ، الذى تضم المجموعة إحدى قصصه. وهذا الطابع الموجز فى التعريف، الذى يوشك أن يكون غيابا أو شبه غياب، ينطبق كذلك على باقى الأعمال الصادرة للأديب اليابانى الكبير باللغة العربية.

هكذا، فإن كل مالدينا، فى هذا الصدد، لايعدو أن يكون لوحة شديدة الإيجاز، عن مسيرة "كاواباتا" العملية، فى صورة محطات على طريق إنتاجه لأعماله، يتم رصدها فيما يوشك أن يكون قائمة زمنية فحسب.

المحصلة النهائية، إذن، هى أن "ياسونارى كاوباتا" يطل علينا، عبر هذا كله لغزا محيرا، لاسبيل إلى فهمه. وقد كان شيئا من الوعى بذلك هو الذىدفع مترجمة "بلاد الثلوج" إلى أن تجعل تصديرها للترجمة هو "كاواباتا: الحسى أم الناسك؟"

ما نحاوله هنا لا يعدو أن يكون محاولة لفض تشابك غابة حقيقية من علامات الاستفهام ، حول كاواباتا، مردها محدودية مانعرفه عنه، وغياب أى محاولة حقيقية لتحليل جوانب عالمه الإبداعى وفهمها.

والواقع أن علامات الاستفهام هنا ما إن تطرح حتى يبدو، بوضوح، أن لها بداية، أما النهاية فأمر متعلق بالمزيد من الجهد، فى معرفة هذا الكاتب الكبير.

فهل كان "كاواباتا" رجل تحديث أم داعية للقديم؟ أكان حقا عاشقا للسلام أم داعية حرب يمضى العديد من أيامه فى قواعد الطيارين الانتحاريين -الكاميكازى - مباركا أعمالهم؟ أكان منددا بالانتحار على نحو مايبين من انتقاده المرير ل"أوسامو دازاى" أم كان من الداعين له فى مواجهة المستحيل على نحو مايبين من إقدامه على الانتحار بالغاز؟ أكان داعية لرفض انغماس الأدباء فى السياسة على نحو ما حاول طوال عمره؟ أم كان من المناصرين لهذا الانغماس كما أكد فى العام الأخير من عمره؟ أكان من عشاق الجمال الخالص أم من القائلين بأن الجمال الخالص لا وجود له فى عالم البشر؟ أكان رجل إيغال فى الرحيل وراء مغاليق عالم الشهوة الملون بالغموض أم كان رجل الزهد الذى يرى استحالة لقاء العاشقين بحكم طبيعة العشق ذاته؟

تلك ليست إلا قبضة من علامات الاستفهام، التى وصفناها حالا بأنها غابة حقيقية، والتى يتعين أن نتصدى لها، إذا أردنا أن نحقق حدا أدنى من الاقتراب من "كاواباتا" وعالمه الإبداعى.

لكن مثل هذه المهمة، فى حقيقة الأمر، مكانها الطبيعى كتاب بكامله، يخصص لأديب اليابان الكبير. فلنحاول، إذن، أن نحقق ما يمكن منها، فى حدود هذه المقدمة، عبر إنجاز مجموعة من المهام الجزئية، التى تنير الطريق إلى ياسونارى كاواباتا الحقيقى.

ولعله ليس من قبيل الظلم لأنفسنا، ولا لكاواباتا، أن نتصور إمكانية القيام هنا بالمهام الست التالية:

ا- رسم لوحة خارجية أكثر دقة عن حياة كاواباتا ومسيرته الإبداعية.

ب- إلقاء نظرة على جوهر عالمه الروائى .

ج- تدقيق الجزئية الخاصة بمحاولة تجسير العلاقة بين البشر والطبيعة.

د- إلقاء الضوء على مايسميه النقاد بالفصل الحتمى بين الشخوص عند "كاواباتا".

هـ- محاولة فهم مكان "كاواباتا" بين التحديث وتكريس الأعراف القديمة.

و- تحقيق حد أدنى من الاضاءة لصلة القصص الماثلة بين يدى القارئ ومجمل إبداع "كاواباتا".

ابتداء، يضع" القاموس الأبجدى للأدب اليابانى" يدنا، بوضوح وإيجاز ساطع، على الحقائق الأساسية فى حياة "كاواباتا" ومسيرته الإبداعية. فهو ولد فى "أوساكا" فى ١١ يونيو ١٨٩٩ ونشأ فى رحاب هذه المدينة اليابانية العريقة، ذات التقاليد التجارية والمهنية ضاربة الجذور فى أزمان بعيدة. ومالبث أن فقد والديه، وهو فى العام الثانى من عمره، ولحقت بهما جدته، بعد فترة قصيرة، وتبعتها أخته الوحيدة، وتوج هذا كله، فى الرابعة عشرة من عمره، بفقد جده، الذى كان قد تولى رعايته من العام السابع من عمره.

وقد كان من الطبيعى أن تمهد أحزان السنوات الأولى من العمر الطريق أمام مناخ الكآبة، العميقة، الذى اتسمت به أعماله، فى مرحلة النضج. وتكشف لنا اليوميات التى كتبها، وهو لا يزال فى الخامسة عشرة من عمره، والتى سجل فيها جهوده لمساعدة جده المحتضر، النقاب عن لماحية فذة، ورؤية واقعية، لا يمكن تصورها فى فتى فى مثل هذا العمر.

وقدر لكاواباتا، بعد رحيل جده، الانتقال إلى مدرسة متوسطة داخلية، ظل فى إطار نظامها الصارم، حتى مغادرته لأوساكا، لمواصلة تعليمه فى "طوكيو"، فى مدرسة مخصصة للنخبة من أبناء عصره.

فى العام ١٩٢٠ التحق كاواباتا بالجامعة الإمبراطورية فى "طوكيو"، لدراسة الأدب اليابانى. وفى العام التالى، ساعد فى الإصدار السادس لمجلة "شينتشو" وقد تعرف، فى غضون ذلك، على الأديب الكبير "كيكوتشى كان" فى العام ١٩٢٣ ، ومن ثم أصبح عضوا فى هيئة تحريرها ، وحظى برعاية "كيكوتشى كان" الأدبية له، وهى الرعاية نفسها التى أسبغها "كاواباتا"، فيما بعد، على عدد من أبرز كتاب اليابان، وفى مقدمتهم "يوكيو ميشيما".

ولدى تخرجه من الجامعة، فى العام ١٩٢٤، انضم إلى "كانوكا تيبى"، و"يوكو ميتسو ريتشى"، وآخرين فى تأسيس مجلة "بونجى جيداى" (العصر الذهبى) التى أصبحت لسان حال المجموعة التى اشتهرت باسم "الحسيون الجدد" وقد عارضت هذه المجموعة، وفى مقدمة أعضائها "كاواباتا" و"ريتشى"، النزعة الواقعية، التى كانت سائدة ، فى ذلك الوقت، وسعوا إلى الإطلال على الحياة من منظور جديد، مختلف تماما، وإبداع أعمال جديدة تماما، من حيث الأسلوب.

وخلافا لكل الإشارات الموجزة حول "كاواباتا" باللغة العربية، التى اطلعنا عليها، والتى تشير إلى أن "كاواباتا" قد أصدر عمله الجميل، البكر، الموسوم "راقصة إيزو" فى العام ١٩٢٥ فإن

هذا العمل قد أصدر للمرة الأولى فى العام ١٩٢٦ وأعقبه فى العام ١٩٢٩ بعمل آخر صدر مسلسلا فى صحيفة "أساهى شيميون" بعنوان "أساكوزا كوناى-ران" ومنذ ذلك الوقت تم الاعتراف به كاتبا واعدا، فى هذه الفترة.

ويلفت "دليل الأدب العالمى الحديث" نظرنا إلى أن "كاواباتا" أدرك وجه التشابه بين الانتقال من موضوع الى آخر فى الشعر اليابانى، وفى الأساليب الأوربية الحديثة، وأنه نجح فى استيعاب هذه الأسابيب، عبر المزيد من التأمل والتدقيق.

ومن الناحية العملية، وعلى الرغم من إصدار "كاواباتا" للعديد من القصص القصيرة، فإنه لم يكمل أيا من رواياته الأساسية ، حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث كانت هذه الأعمال تتكامل، ببطء شديد، فرواية "بلاد الثلوج" أطلت على القراء للمرة الأولى فى صورة قصة قصيرة، ونشر قسم ثان منها فى نوفمبر ١٩٣٥، بينما أخذت شكلها النهائى فى العام ١٩٤٧.

أما فى مرحلة ما بعد الحرب، فقد أصدر كاواباتا سلسلة من الأعمال المتميزة، من أبرزها "سرب الطيور البيضاء" (١٩٥١) وحزن وجمال (١٩٦٣)

فى العام ١٩٤٨ أصبح "كاواباتا" رئيسا لفرع نادى اتحاد الكتاب العالمى فى اليابان. وفى العام١٩٥٨ غدا نائب رئيس نادى الاتحاد العالمى للكتاب. وفى ١٩٦٠ نال جائزة عن مجمل إنجازاته الأدبية من الحكومة الفرنسية. وفى ١٩٦٨ نال جائزة نوبل للأدب ، وذلك تقديرا ل "تمكنه من ناصية فن القص، الذى يعبر من خلاله وبحساسية بالغة عن جوهر العقل اليابانى" بحسب ماجاء فى حيثيات قرار لجنة الأكاديمية السويدية.

وقد أصيب "كاواباتا"، فى العام الأخير من حياته، بمرض ذهنى، وأقدم على الانتحار بالغاز، فى منطقة "زوشى"، فى ١٦ ابريل من ذلك العام، أى ١٩٧٢.

إذا انتقلنا إلى محاولة إلقاء نظرة على جوهر عالم "كاواباتا" الإبداعى، لوجدنا أنفسنا أمام مهمة تبدو، لأول وهلة، شبه مستحيلة التحقيق، فالحقيقة الأساسية، التى يتعين علينا أن نتذكرها هنا، هى أن معظم روايات "كاواباتا" تفتقر إلى القوام الواضح، والصريح والمحدد، وتبدو شبيهة، إلى حد بعيد ب"الرينجا" أو الشعر المتصل، الذى يضرب جذوره فى الإبداع الشعرى اليابانى، فى القرن الخامس عشر.

مع ذلك، فإننا بمزيد من الجهد قد نستطيع إلقاء مثل هذه النظرة من خلال فهم مكان "كاواباتا" بين التحديث وتكريس الأعراف.

لسوف نلاحظ، على الفور تقريبا، قدرا كبيرا من الغموض هنا، فقد رأينا حالا كيف أشار "مارتن سيمور سميث" فى "دليل الأدب العالمى الحديث" إلى أن "يوكيو ميشيما" قد نجح فى

استخدام المناهج الأوربية الحديثة، بعد استيعابها، وبالمثل تشير "دائرة المعارف البريطانية" إلى أن "كاواباتا"، شأن معظم أعضاء جماعة "الحسيون الجدد" قد استمد جانبا كبيرا من جماليات إبداعه من التيارات التى راجت بعد الحرب العالمية الأولى، كالدادائية، والتعبيرية، والتكعيبية.

وبالمقابل، فأن "سيدنى دوفيرى براون"، فى مقال يخصصه لهذه النقطة على وجه التحديد بعنوان "ياسونارى كاواباتا (١٨٩٩-١٩٧٢) التقليد فى مواجهة الحداثة" لا يتردد فى القول بنقيض ذلك، مؤكدا أن "كاواباتا" رجل الدعوة الى التمسك بالأعراف وبالتقاليد وبكل ما هو قديم، وأنه سعى إلى الحفاظ على عالم التقاليد فى رواياته، قبل أن ينداح هذا العالم إلى رحاب النسيان للأبد.

فأين الحقيقة إذن فى هذا كله؟

ربما كنا نقتحم علامة الاستفهام هذه اقتحاما يتميز بالعمق، لا بالفجاجة، حيث نلاحظ أن "شيمامورا" بطل "بلاد الثلوج" يهتم كثيرا بفن الباليه الغربى، لكن قراءة واعية للرواية تتم على جسر الحب والفهم والتعاطف، من شأنها أن تكشف لنا أن اهتمامه هذا يتخذ طابع الهوس السطحى، الذى لا يلامس أعماق الروح. و"كاواباتا" يؤكد أن بطله سوف يغمض عينيه مختارا، إذا ما هيئ له أن يشهد عرض باليه غربى، مكتفيا بالرؤى التى رسمتها مخيلته عن ذلك الفن، بينما نجده يصغى باستمتاع كبير إلى مقاطع من مسرح "النو" اليابانى التقليدى، تتساب إلى غرفته فى الفندق من قاعة الاحتفالات، وهو يؤمن بأن دراساته عن فن الباليه لن تضيف شيئا إلى علم الرقص اليابانى، إذا نشرها فى كتاب.

وعلى الرغم من أن الكثيرين يشيرون إلى معالم الحداثة فى الأسلوب الذى اعتمده كاواباتا، فى هذه الرواية، بخصائصه التى تقوم على الإيجاز، وتجنب الإغراق فى الوصف والتخلص من العبارات الطويلة المركبة، إلا أن الجمال، لا الحداثة، هو ماكان يشغل "كاواباتا"، فى غمار كتابته لهذه الرواية، على امتداد سنوات إنجازها الطويلة. جمال بلاد الثلوج الخاص، جمال الينابيع الحارة، بكل ماترتبط به من متع حسية وإيحاءات جماليه، وأخيرا، وربما قبل كل شئ، جمال المرأة، جمال "كوماكو" التى تعزف على "الشامسين"، وتغنى أغنية " الشعر الفاحم" التقليدية، فتفلح فى اجتذاب "شيمامورا" بعيدا عن طوكيو، جمال صديقتها الأصغر سنا، وربما منافستها فى الحب "يوكو" التى تحظى بصوت صاف، وجمال بالغ يرقى إلى آفاق الشجن.

وفى "لاعب الجو المبدع" التى كتبت فيما بين ١٩٤٢ و ١٩٥٤، نلاحظ احتفاء، من جانب "كاواباتا"، بمعلم من معالم الحياة التقليدية اليابانية، يتمثل فى لعبة "الجو" التى تعود إلى ساموراى العصور الوسطى، والبطل "شوساى" يدافع عن لقبه فى بطولة لعبة الجو، مدافعا عن سنوات طويلة من الإبداع، لكنه يهزم فى مواجهة خصم شاب ينعقد له لواء الفوز، من خلال نقلات

سريعة، وغير متناسقة، قرب نهاية اللقاء. وتعقب الهزيمة وفاة اللاعب المخضرم المبدع، بما في ذلك من إشارة إلى انطفاء شعلة اللعبة التقليدية، بكل ما فيها من سحر وجمال.

والروايتان التاليتان، وهما "سرب الطيور البيضاء" (١٩٤٩-١٩٥١) و"ضجيج الجبل (١٩٤٩-١٩٥٤) كتبتا خلال السنوات الأولى للاحتلال الأمريكى لليابان، ومع ذلك فإننا ندهش، إذ نجد تهميشا واضحا لهذا الاحتلال، بجنوده، ومعسكراته، ومؤشراته السلبية.

وهاتان الروايتان تعدان، فى المقام الأول، ومن خلال أساليب تضرب جذورها فى أعماق الأدب اليابانى، فى عصور سابقة، بأكثر مما تمد الجسور مع مدارس حداثية غربية، بالرحيل بالقارئ إلى العالم الساحر لركنين من أركان التراث اليابانى، هما حفل الشاى، الذى لا يتردد بعض النقاد فى وصفه بأنه هو البطل الحقيقى لرواية "سرب الطيور البيضاء" حيث تتواصل حياة الأجيال، وعشقها، وأحزانها، عبر أقداح الشاى. و"فى ضجيج الجبل" نحن أمام القناع الفنى المستخدم فى مسرح "النو" التقليدى. وجمال هذا القناع هو من الوضوح والقوة بحيث يلفت نظر البطل إلى آفاق لم يلتفت إليها طيلة عمره، ومقدم الموت مايلبث أن يلفت نظره كذلك إلى الجوانب الجميلة فى اليابان التقليدية.

وفى رواية كاواباتا الأخيرة "حزن وجمال" (١٩٦١-١٩٦٣) نجد تمجيدا لمدينة "كيوتو" العريقة، عبر خيوط تتشابك، لتوحى بأجواء السيرة الذاتية، فالروائى "توشيو أوكى"، يرسل الحلقة الأخيرة من روايته إلى الصحيفة، التى تنشرها فى حلقات يومية، وينطلق إلى "كيوتو" للاستماع إلى قرع أجراس العام الجديد، فى معبد "تشيو نين"، وإلى دوى الدقات المائة والثمانى عند انتصاف الليل، والتى لم يقدر له سماعها من قبل قط فى إطار الاحتفال البوذى التقليدى إلا عبر أجهزة الإعلام.

وفى حقيقة الأمر، فإن ما اجتذبه إلى "كيوتو" ليست إلا "أوتوكو يوئينو" المرأة التى تدله فى حبها، قبل عقدين من الزمان، والتى رآها لآخر مرة فى طوكيو بعد أن أجريت لها عملية إجهاض، سلبتها ثمرة حبهما. والآن بعد كل هذه السنوات، أصبحت "أوتوكو"، التى صحبتها أمها، مرغمة إياها على العيش فى كيوتو، بعد الإجهاض مباشرة، من أشهر مصممات الأزياء التقليدية، فى مدينة التقاليد العريقة.

ويجد "أوكى" فى استقباله تلميذة "أوتوكو" الشابة الجميلة، المترعة بروح التحدى والانتقام، وهى تبادر إلى الاتصال به مجددا، فى كاماكورا، حيث تعرض عليه لوحاتها، ذات الأسلوب الطليعى، والتى تصور فيها حقول شاى "شيزوكا"، التى تمثل ذكرى مترعة بالحزن، بالنسبة لأوتوكو، حيث تأملتها طويلا ، خلال رحيلها بعيدا عن طوكيو، مجللة بالعار.

ويشكل هذا العمل الفرصة الأخيرة، التى أتيحت لكاواباتا، للتعليق على اللوحات اليابانية التقليدية، وذات الطابع الغربى، وللتغنى "بكيوتو" المدينة والمعابد، والحدائق، والجماليات، والروح المحلقة عاليا.

ولعله ليس من قبيل الإغراق فى المغامرة أن نخالف "سيدنى دوفيرى" براون فيما ذهب إليه، وأن نقول إن "كاواباتا" كان، بالفعل، داعية للطرق القديمة، ونصيرا للأساليب التقليدية، وإنه كتب بالفعل، حفاظا على مارآه جميلا ، وجديرا بالنقل إلى الأجيال التالية، فى حياة اليابانيين.

لقد رسم كاواباتا -بالكلمات- عالما مليئا بالينابيع الحارة، وبالجميلات اللاتى يبدين كما لو كن قد خرجن، لتوهن، من بلاط المرحلة الهاينية، تتردد فى جنباته أنغام الشامسين، واصداء أغنية "الشعر الفاحم" ويتضوع تحت سمائه عبق الشاى فى الحفل التقليدى، وتتألق أقنعته "النو" عبر مداه، وتتردد عند حواف الأفق أصداء أجراس المعابد، التى تستميت كيوتو فى محاولة الحفاظ عليها. لكن فعل ذلك كله بآلة من الأساليب والمناهج الحديثة فى عصره، التى حاول جاهدا توظيفها بعد أن نجح فى استيعابها.

إن هذا، بالضبط، هو ما يتبدى فى العديد من القصص، التى يضمها هذا العمل، الماثل بين يدى القارئ، وكذلك فى العمل الوحيد الذى سبق لنا أن ترجمناه لكاواباتا، وهو روايته القصيرة: "ذراع واحدة".

يعالج "كاواباتا" فى هذه الرواية القصيرة، وفى قصص عديدة سيرصدها القارئ، على الفور تقريبا، فى كتابنا هذا، موضوعا ربما كان من أقدمْ وأبرز الموضوعات فىالأدب اليابانى بأسره، حيث يتناول ذلك العكوف الوحشى على الذات، الذى يفضى إلى وحدة مروعة، والذى يأتى ثمرة لاغتراب قاهر عن الآخرين، وعن الطبيعة، وعن الذات فى المقام الأول. وما هذا العكوف الوحشى إلا محاولة لاسترداد الذات، للحوار معها، ولتجسير مسافات ممتدة، كالمدى الرحب، يبدو قطعها بمثابة اجتراح للمستحيل ذاته.

ولسوف يلحظ القارئ أن "كاواباتا" لا يتردد فى معالجة هذا الموضوع عبر عنصر، يتخذ قوامه من الفانتازيا السريالية، وهو عنصر يأتى نتاجا لسنوات "كاواباتا" المبكرة، كأحد كتاب الاتجاه الحديث فى الأدب اليابانى، وإن لم يكن هذا هو المنهاج الوحيد الذى يعتمده.

وعلى الرغم من ميل الكثير من النقاد إلى التشديد على حقيقة انجذاب "كاواباتا"، فى أواخر أيامه، إلى العنصر المسمى " ماكاى" أو (عالم الشياطين) والجنون والاستخدام الملغز للتصوير القاطع، فإن العديد من القصص المدرجة بين دفتى هذا الكتاب يمكن أن توصف بأنها نماذج مثالية لأعمال "كاواباتا"، على نحو ماهى معروفة فى اليابان.

وفى معرض اهتمامنا بتدقيق الجزئية الخاصة بمحاولة تجسير العلاقة بين البشر والطبيعة، وكذلك إلقاء الضوء على مايسميه النقاد بالفصل الحتمى بين الشخوص، عند أديب اليابان الكبير، نشير بصفة خاصة، إلى أن "كاواباتا"، فى خطاب قبول جائزة نوبل للأدب، شدد على أنه قد حاول تجميل الموت، والسعى وراء التناسق والتناغم بين الانسان والطبيعة والفراغ، وأنه قد ناضل من أجل الجمال طوال عمره، مشيرا إلى أن هناك ثلاث مجموعات من البشر بمقدورها توليد "الجمال الخالص" وهى العملية التى يتعين على الأدب القيام بوظيفة تسجيلها. وهذه المجموعات الثلاث هى على التوالى: الأطفال الصغار، النسوة الشابات، والرجال المحتضرون.

وفى الخطاب نفسه يقول كاواباتا، بوضوح بالغ: "الثلج، القمر، البراعم، تلك كلمات تعبر عن الفصول، فيما هى تتداح مفضية أحدها إلى الآخر، وهى تشتمل، فى التقاليد اليابانية، مجال الجبال، الأنهار، الأعشاب، الأشجار، وتجليات الطبيعة الوافرة، والمشاعر الإنسانية كذلك"

ويجمع النقاد على تأكيد أن هذه القدرة على تجاوز الفواصل بين المجال الإنسانى ومجال الطبيعة هى سمة فاتنة، ومميزة، من سمات كتابات "كاواباتا"، وتبرز بصفة خاصة فى العديد من أعماله المتألقة، ومنها القصص المتضمنة فى هذا الكتاب، بالإضافة إلى روايتى "بلاد الثلوج" و "ضجيج الجبل" حيث يفصح كاواباتا عن عبقرية شعرية أصيلة فى توصيف الإنسان، من خلال التبدلات المرواغة للنبات، المخلوقات، ضجيج الجبال، ومشاهد الطبيعة الشتائية السابحة فى لون الحمرة، من جراء النيران والعواطف.

وربما كانت هذه العناصر هى، على وجه الدقة، ما جعل "كاواباتا" كاتبا أثيرا لدى القراء فى مختلف أرجاء العالم.

ولا مجال لإنكار أن هذا الجانب قوى، حقا، عند "كاواباتا"، غير أنه يتمتع، بالمقابل، بقوة معادلة، تتمثل فى تلك المسافات التى لا سبيل إلى قطعها، والتى يمدها "كاواباتا" بين شخوصه.

ما الذى يعنيه هذا؟

كل من قرأ "كاواباتا"، بحب وتعاطف، لا بد أنه لاحظ أن الرجال والنساءى أعماله ينتمون إلى ما يمكن وصفه بمجالات مغناطيسية متعارضة. وبغض النظر عن قوة اعتقادهم بالرغبة فى الارتباط، فيما بينهم، فإن شيئا ما، يوشك أن يكون جوهريا، وينتمى إلى الطبيعة الأساسية لكل منهم، يدفع كل محب منهم بعيدا عن المرأة التى يهوى.

هذا وضع جدير ، حقا، بالتأمل وبالملاحظة، وخاصة من حيث أن استحالة الاستحواذ تلك، أو فى بعض الأحيان الرغبة غير الواعية فى أن ينفرد المرء بنفسه، أو ما وصفناه بالعكوف الوحشى على الذات، كل هذا من شأنه أن يخلق ذلك العنصر من النقاء، الذى لا تشوبه شائبة، والذى يرفرف حول العديد من الشخصيات النسائية فى عالم كاواباتا الإبداعى.

وهكذا فإن "يوكو" فى رواية "بلاد الثلوج" تظل محافظة على اجتذابها لبطل الرواية، "شيمامورا"، لأنه ليس بمقدوره أن يحظى بها أبدا.

وفى الإطار نفسه، تحافظ "كيوكو" فى "ضجيج الجبل" على نقائها، وعلى اجتذابها لشينجو، لأنها زوجة ابنه.

وهذه اللقاءات عن بعد يمكن أن نجد صورتها الباكرة، عند كاواباتا فى عمله الأول "راقصة إيزو".

وربما لم تقدر لاستحالة اللقاء- الاستحواذ، أن تجد تصويرا لها، عند كاواباتا، أقوى مما وجدته فى بعض القصص الموجودة بين دفتى هذا الكتاب، وفى رواية "الجميلات النائمات" حيث يعبر البطل، "إيجوتشى"، تلك المنطقة الرمادية، السابقة مباشرة على فقده لقدرته الجنسية. وعبر صديق له، يتمكن من القيام بخمس زيارات إلى دار يلتقى فيها من هم فى مثل أعوام عمره الرمادية، بشابات فى مقتبل العمر، ولكن بعد أن يتم تخديرهن، فيفقدن القدرة على الوعى بما حولهن، هكذا فإن هذا اللقاء يتم ، ولا يتم، فى الوقت نفسه، ويصل الاستحواذ إلى حائط المستحيل.

ويلفت النظر هنا أن "كاواباتا"، على الرغم من قصر هذا العمل، يطيل فى تصوير جمال الأجسام النائمة، وربما يحس القارئ بفظاعة الانحلال والموت، ذلك الموت الذى يشدد عليه"كاواباتا" كثيرا، والذى يؤكد لنا فى أكثر من موضع أن الجمال، وحده، هو الرد على فظاعة الموت.

وربما كان لإدراك "كاواباتا" أن هذا الرد أبعد ما يكون عن الاكتمال، فقد أقدم على االانتحار، باستشاق الغاز، حتى الموت.

ومع ذلك، يبقى أنه عبر عالمه الإبداعى الرحب، أشار لنا إلى الطريق، وإلى مخاطره أيضا، وعلينا أن ننطلق فى المسار الصعب، مسارنا.

ويهمنى الإشارة هنا إلى أنه، على امتداد هذا المسار، تتحقق لنا إضاءات شديدة الوهج، حقا، من خلال إدراكنا للجوهر الإنسانى للقصص، التى أبدعها كاواباتا، والتى نجدها فى هذا العمل، وللعلاقة بين هذه القصص ومجمل إبداع "كاواباتا".

وهنا، على ضوء هذا التحديد لابد من الإشارة إلى عدد من المحاذير:

أولا: فى ضوء شهرة روايات "كاواباتا"، وحرص اللجنة الملكية السويدية على الإشادة بهذه الروايات، وخاصة "بلاد الثلوج" و"ضجيج الجبل" قد يخيل لبعض القراء أن قصص كاواباتا تحتل الهامش، وليست القلب والمركز من ملكوته الإبداعى.

ثانيا: بعض القراء قد يقع فى خطأ لايستهان به، عندما يخلط بين الطابع الدقيق، والمراوغ، والمستعصى على محاولات الإمساك بناصيته، لقصص كاواباتا وبين الخفة، التى قد تكون مرادفة للسطحية.

ثالثا:هناك من قد يجد مجالا للخلط والالتباس، بصدد قصص"كاواباتا"، فيرى أن غياب التأكيد القوى من جانبه على بعد بعينه فى كل قصة هو بمثابة افتقار من جانب موضوع القصة للمعنى والمغزى بمفهومه المطلق.

رابعا: وربما كان بعض القراء يرى فى العدد الكبير من القصص المنتمية إلى نوعية قصص راحة اليد، والذى يبلغ حسب بعض التقديرات ١٤٦ قصة، متاهة من الجهود، توحى بغياب ما يمكن أن نصفه بعمود القص عند "كاواباتا".

خامسا: قد يرى بعض القراء أن القصر الشديد لبعض القصص يعكس استنزافا للقدرة الإبداعية، وبالتالى تغيب عنه الحقيقة الأساسية، المتعلقة بميل الإبداع اليابانى إلى رؤية الكون كله فيما هو موجز، ومختصر، إلى أبعد الحدود.

سادسا: فى ضوء امتداد القصص الماثلة هنا، من حيث مداها الزمنى، من العام ١٩٢٣ إلى العام ١٩٧٢ ولجوء كاواباتا إلى تكرار أصداء بعض هذه القصص فى صميم أعماله الروائية، قد يتصور فريق من القراء أن المبدع اليابانى الكبير كان يتخذ من قصصه معملا هائلا، يخرج منه برواياته، ولا يتردد هذا البعض فى معرض تأييد وجهة النظر هذه، فى الإشارة إلى أن القصة الأخيرة على سبيل المثال، مدرجة كما هى تقريبا، فى "بلاد الثلوج".

وبوسعى أن أمضى صفحات طويلة فى تعداد المزالق، والمحاذير، وأوجه الخلط، التى يمكن أن يقع فيها قارئ قصص راحة اليد.

ولكننى أستطيع القول، بعد أن أمضيت سنوات طويلة من العمر فى قراءة هذه القصص وتأملها والاستمتاع بها، مرارا وتكرارا، إنها فى جوهرها، وعندما يتسلح القارئ بالوعى والحساسية فوق هذا كله، وبالتحديد من الناحية الإبداعية، ربما تتجاوز فى قيمتها روايات كاواباتا، ولعلى لا أغامر كثيرا إذا قلت إن كاواباتا سيبقى، بامتياز، وفى المقام الأول، كاتبا لقصص راحة اليد.

ويكفى أن نتذكر فى هذا الصدد أن قصة "شكرا لك" التى لاتحتل أكثر من بضع صفحات قلائل فى هذا الكتاب، قد تحولت إلى فيلم يابانى خالد، مما يؤكد أن هذه القصة وغيرها كثير، تحتوى فى صميمها على عالم صغير، يمكن أن يملأ الأفق، إذا أعطياه مداه الكامل.

والقليل من التعمق من جانب القارئ فى تأمل هذه القصص الفريدة، على المستوى العالمى، كفيل بوضع يده على التأثيرات المتنوعة بلا انتهاء لهذه القصص وعلى الثراء الكبير

لموضوعاته، وأساليب القص فيها، ومناخاتها الإبداعية، وجماليات المكان فيها، والدفء الإنساني الفريد لأبطالها.

ولعلى أتمنى أن نكون جميعا هذا القارئ، الذى يتناول هذه القصص، بحب وتعاطف، وبرغبة حقيقية فى الفهم والاستيعاب والاستمتاع، على الرغم من الصعوبات، المتعلقة باختلاف الزمان والمكان والأرضية الحضارية، بمعناها العريض، وهى صعوبات لابد من التسليم بأن حركة الثقافة العربية اليابانية لم تنجح -حتى الآن- فى تجاوزها، ولو فى الحدود الدنيا.

كامل يوسف حسين



مكان مشمس

فى خريف عامى الرابع والعشرين، التقيت فتاة فى نـزل مطل على الشاطئ، وكانت تلك بداية قصة حب.

رفعت الفتاة، فجأة رأسها، وأخفت محياها بردن الكيمونو، الذى كانت ترتديه. وعندما لحظت حركتها هذه، حدثت نفسى بأننى لا بد قد أبديت عادتى السيئة مجددا. استبد بى الشعور بالحرج، وارتسم الألم على ملامحى.

– إننى أحدق فيك . أليس كذلك؟

– بلى ... ولكن الأمر ليس راجعا لهذا.

تناهى صوتها رقيقا، وبدت كلماتها مرحة، فأحسست بالارتياح.

– ذلك يثير ضيقك. أليس كذلك؟

– كلا، لابأس، ولكن ... حقا، لابأس.

أنزلت ردن ردائها. وأفصح التعبير المرتسم على محياها عن الجهد، الذى اضطرت لبذله، للسماح لنفسها بأن يقع ناظراى على محياها. التفت بعيدا. ومضيت أتطلع إلى المحيط.

كان لدى، منذ زمن بعيد، عادة سيئة، متمثلة فى التحديق فى الناس الذين يجلسون إلى جوارى. ولطالما حدثت نفسى بأن على شفاء نفسى من هذه العادة. ولكننى وجدت أنه من المؤلم ألا أتطلع إلى المحيطين بى، واستشعرت كراهية حادة لنفسى، فى كل مرة كنت أدرك أننى سقطت ضحية لهذه العادة. وربما نبعت هذه العادة من قضاء وقتى بأسره فى التفرس فى ملامح الآخرين، عقب فقدى لأبوى ولدارى، عندما كنت طفلا، وذهابى للإقامة مع آخرين. وحدثت نفسى بأن ذلك ربما كان السر فى أننى أصبحت ما أنا عليه الآن.

حاولت، فى وقت من الأوقات، أن أحدد ما إذا كانت هذه العادة قد تكونت مع إقامتى لدى الآخرين، أم أنها قد تشكلت قبل ذلك، عندما كنت لاأزال فى دارى، لكننى لم أستطع الوصول إلى ذكرى من شأنها أن توضح ذلك لى.

على أى حال، أسمت بناظرى عن الفتاة، وفى غضون ذلك لا حظت مكانا مشمسا، على الشاطئ، تغمره شمس الخريف. واستدعى ذلك المكان المشمس ذكرى طال دفنها.

بعد موت أبوى، أقمت وحدى مع جدى، عشر سنوات تقريبا، فى دار ريفية. وكان جدى ضريرا. وعبر سنوات طويلة، كان يجلس فى الغرفة ذاتها، وفى الموضع نفسه، مواجها الشرق، وأمامه مجمرة طويلة، وبين الحين والآخر كان يحول وجهه باتجاه الجنوب، ولكنه لم يواجه الشمال قط. وما أن أدركت عادة جدى المتمثلة فى تحويل وجهه فى اتجاه واحد فقط، حتى غدوت مهتما بالأمر على نحو فظيع. وفى بعض الأحيان، كنت أجلس وقتا طويلا أمام جدى، محدقا فى وجهه، متسائلا عما إذا كان سيتحول إلى الشمال، ولو لمرة واحدة. ولكن جدى كان يحول رأسه يمينا، مرة كل خمس دقائق، كأنه دمية كهربائية، ولا يتطلع إلا باتجاه الجنوب. أثار فى ذلك شعورا بالحزن. وبدا لى شيئا رهيبا. ولكن إلى الجنوب كان هناك مكان مشمس. ورحت أتساءل عما إذا كان الجنوب يوحى بالشعور بإضاءة أكبر حتى بالنسبة لشخص ضرير.

الآن، بينما كنت أتطلع إلى الشاطئ ، استعدت ذكرى ذلك المكان المشمس، الذى نسيته.

فى تلك الأيام الخوالى، كنت أحدق فى وجه جدى، وقد استبدت بى الرغبة فى جعله يواجه الشمال. ولما كان رجلا ضريرا، فإننى غالبا ما كنت أحدق فيه بنظرة ثابتة. وقد تحول ذلك إلى عادتى المتمثلة فى تأمل وجوه الناس، وهو ما أدركه الآن. وهكذا، فإن هذه العادة نمت معى، منذ كنت فى دارى، ولم تنبع من دوافع وضيعة. وكان بمقدورى الشعور بالأمان ، فيما أشفق على نفسى من جراء هذه العادة. وجعلنى التفكير فى هذا أرغب فى التقافز مرحا، وتزايد ذلك الشعور من جراء أن فؤادى أفعمته الرغبة فى تطهير نفسى من أجل الفتاة.

تحدثت الفتاة، مجددا:

– لقد اعتدت على هذا، لكننى لا أزال أشعر بالخجل قليلا.

تضمنت كلماتها القول بأننى بمقدورى معاودة التحديق فيها، ولابد أنها كانت تعتقد أننى لم أبد أخلاقا حميدة فى السابق.

تطلعت إليها، وقد أشرق وجهى حبورا، فاحمر وجهها، ورمقتنى بنظرة ماكرة، وقالت كأنها طفلة:

– سيصبح وجهى أقل جدة، مع كل يوم وليلة؛ ولذا فإن القلق يعترينى.

ابتسمت، وخالجنى شعور بأن نوعا من الحميمية قد أضيف، فجأة، إلى علاقتنا. أردت الخروج إلى المكان المشمس، على الشاطئ، حاملا معى ذكرى الفتاة وجدى.

(١٩٢٣)

الوعاء الأضعف

كان هناك متجر للعاديات، فى أحد أركان المدينة، وبين الطريق وواجهة المتجر انتصب تمثال خزفى للربة البوذية "كانون" وكان التمثال بحجم فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها. وعندما كان القطار ينطلق، غير بعيد، كانت بشرة "كانون" الخزفية تبدو كما لوكانت ترتعش قليلا، مع باب المتجر الزجاجى. وفى كل مرة أمر بالمتجر، يساورنى القلق من أن التمثال قد يسقط فى الطريق. ومن هنا فإن هذا هو الحلم الذى تراءى لى.

بدا جسم "كانون" وكأنه يتهاوى على مباشرة. فجأة، رفعت "كانون"ذراعها البيضاء، الطويلة الوافرة، ولفتها حول عنقى. قفزت متراجعا...من جراء رهبة الذراع الساكنة، التى دبت فيها الحياة، واللمسة الباردة للبشرة الخزفية.

من دون أن يند عنها صوت، تهشمت " كانون" متحولة إلى قطع متناثرة، بجوار الطريق.

مضت فتاة تلتقط بعض هذه القطع. انحنت قليلا، وجمعت النثار الخزفى المتباعد، المتألق، مسرعة. أذهلنى أن أراها تظهر على هذا النحو، وعندما فتحت فمى، لأقدم عذرا استيقظت من نومى.

بدا الأمر كله كأنما وقع فى لحظة واحدة، بعد سقوط "كانون".

حاولت تفسير الحلم.

غالبا ماكانت ترد على ذهنى الوصية التى تتحدث عن تكريم الزوجة، بحسبانها الوعاء الأضعف. وقد ربطت على الدوام كلمتى "الوعاء الأضعف" بالوعاء الخزفى، ومضيت قدما، فربطتهما بالفتاة، التى تراءت لى فى الحلم.

الفتاة فى مقتبل الشباب تسقط بسهولة، وبمعنى من المعانى فإن الحب، فى ذاته، هو سقوط للفتاة. هذا هو ما حدثت نفسى به.

وهكذا، ألا يمكن أن تكون الفتاة التى مضت تجمع النثار مسرعة، عاكفة على جمع نثار سقطتها؟

(١٩٢٤)

الفتاة التى دنت من النيران

تألق ماء البحيرة ملتمعا، فى البعيد. كان لون نبع راكد فى بستان قديم، فى ليل مقمر.

مضت الغابات على الضفة البعيدة للبحيرة، تحترق، فى صمت.انتشرت ألسنة اللهب، بينما كنت أرقبها. إنه حريق مرجى.

عندما هدأ روعى، كان الهواء حولى لايزال ساكنا، ومتألقا، كأنه جاف.

كان قطاع من البلدة، عند أسفل المنحدر، بحرا من نار.

شقت فتاة جموع الناس، وهبطت المنحدر وحيدة. كانت الوحيدة التى هبطت التل.

بدا، على نحو غريب، عالما مجردا من الصوت.

عندما رأيت الفتاة تسير مباشرة نحو بحر النار، لم أستطع تحمل ذلك.

ثم من دون أن نتبادل الكلمات، تحاورت، بالفعل، مع مشاعرها.

– لماذا تمضين وحيدة؟ هل تمضين للموت حرقا؟

– لست أريد الموت، ولكن دارك تقع إلى الغرب؛ ولذا فإننى أمضى شرقا.

اخترق مرآها عينى -بدت بقعة سوداء، فى مواجهة ألسنة اللهب، التى أفعمت رؤياى- استيقظت من نومى.

كانت هناك دموع فى ركنى عينى.

كانت قد قالت إنها لا تريد المضى باتجاه دارى. وقد تفهمت ذلك، بالفعل. أيا كان ما تعتقده، فلا بأس به. أجبرت نفسى على التعقل، واستسلمت لكون مشاعرها نحوى قد فترت، ومع ذلك، وبملء إرادتى، تمنيت أن أتصور، على نحو منفصل عن الفتاة الفعلية ذاتها، أنه فى موضع ما من مشاعرها هناك قطرة من إحساس نحوى. وحتى بينما كنت أسخرمن نفسى، تمنيت، سرا، أن أبعث الحياة فيها.

ولكن هل معنى هذا الحلم أننى اعتقدت فى قرارة نفسى أنها لا تكن أى قدر من العاطفة نحوى؟

لم يكن الحلم إلا تعبيرا عن انفعالاتى، وما انفعالاتها فى الحلم إلا تلك التـى خلقتهـا لهـا، لقد كانت انفعالاتى، ففى الحلم لا وجود للخدع أو الادعاء.

سيطرت الكآبة علىَ، من جراء التفكير فى هذا.

(١٩٢٤)

المنشار والميلاد

ما الذى كانت تعنيه؟ طيب، لقد فهمت على أى حال أنها إيطاليا. انتصبت فى أعلى التل، خيمة بدت كأنها مظلة مخططة، رفرف العلم، الموجود بأعلاها، فى نسيم مايو المنهل من المحيط. وفى الأسفل بدت الغابة الخضراء بحرا أخضر. وذكرتنى بالساحل قرب نبع جبلى حار فى إيزو، فى داخل الخيمة الخضراء، كان هناك شئ، بدا شبيها بكشك للهاتف، وشابه أيضا مكتب بطاقات سفينة تجارية، أو مكتب رسوم جمركية، ولكن كل مافعلته هناك كان تلقى مبلغ كبير بعملة أجنبية من النافذة. استقرت رزمة مالية، ملفوفة بورق أصفر، فى راحة يدى اليسرى، بقوة تشبه الصفع، تلمست النقود بداخل الرزمة. وقفت إلى جانبى امرأة ترتدى ثوبا أسود، بسيطا، وشرعت فى الحديث. وعلى الرغم أننى أدركت أنها يابانية، إلا أننى تطلعت إليها، محدثا نفسى بأننى لا أفهم اللغة الإيطالية.

ثم ما الذى حدث ؟ تغير المشهد إلى القرية، التى شهدت مولدى.

كان هناك جمع من عشرة أشخاص، فى حديقة دار ريفية، ذات بوابة بديعة. كانوا جميعا أناسا أعرفهم من القرية، ولكننى عندما أستيقظت، لم أستطع ان أتذكر من هم. وعلى أى حال، فإن لسبب أو لآخر وصلت أنا والمرأة إلى حد المبارزة.

أردت، قبل المضى إلى ساحة المعركة أن أتبول. ولما كان الناس يتطلعون إلينا؛ فقد وقفت هناك مهتاجا، ومرتبكا، ويدى على الكيمونو، الذى أرتديه، من دون أن أدرى ما عساى أصنع. عندما تطلعت إلى الوراء، فجأة، أدركت أننى أحارب امرأة، يتألق سيفها الأبيض وسط الحديقة. وعلى الرغم من معرفتى بأن الأمر حلم، إلا أننى فزعت لرؤية نفسى فى الحلم.

- إذا رأيت صورتك، شاهدت نفسك، شخصيتك الثانية، فإنك ستموت.

ساورنى الشعور بأن نفسى الثانية ستمزقها المرأة. بدا سلاحها كأنه منشار. كان سيفا، صيغ فى شكل منشار عريض، كذلك الذى يستخدمه قاطع أخشاب لقطع أشجار هائلة.

فى لحظة، نسيت رغبتى فى التبول، توحدت مع ذاتى الثانية، وانهمكت فى العراك مع المرأة. بدا سلاحها كأنه حلية عريضة، وفى كل مرة يرتطم سلاحى بسلاحها، كان هذا الأخير

يتثلم، وينبعج. وفى نهاية المطاف، تحول إلى منشار حقيقى. ترددت هذه الكلمات واضحة فى مسمعى:

- على هذا النحو وجد المنشار.

بتعبير آخر، كان الأمر غريبا، لأن هذا الحلم مثل اختراع المنشار. كانت معركة حقيقية، لكننى كنت أهوى بالسيف، وأطعن به، بينما يخالجنى شعور بأننى أتطلع، شارد الذهن، إلى مشهد معركة، يدور فى فيلم سينمائى.

ارتميت، فى نهاية المطاف، وسط الحديقة. أمسكت بمنشار المرأة بين باطنى قدمى، ومضيت أعنفها، فقد كانت عاجزة عن دفع المنشار، أو جذبه.

- إننى ضعيفة بسبب جنينى.

حقا، ما كان أشد ملاءمة طيات الثوب التى تحيط ببطنها!

عقب ذلك، ألفيت نفسى منطلقا أعدو، على امتداد طريق شق فى الصخور، غير بعيد عن الساحل (بدا كما لوكان الشاطئ فى يوزاكى، فى شبه جزيرة كاى) كان بمقدورى الشعور بأننى أركض لمشاهدة وليدها. وكان الوليد غافيا، داخل كهف، عند طرف قُنة الجبل. وبدت رائحة الأمواج المتكسرة على الشاطئ كضوء أخضر.

ابتسمت المرأة على نحو جميل، قائلة:

- ولادة طفل شئ يسير للغاية.

أحسست بنشوة متوهجة، بينما كنت أمسك بكتفىالمرأة، قلت:

- دعينا نحدثها بالأمر. هل لنا ذلك؟ دعينا نحدثها بالأمر!

- نعم ، دعنا نحدثها بأن ولادة طفل شئ يسير للغاية.

والآن، غدت المرأة امرأتين. وكانت المرأة التى أحادثها، تقول إنها ستبلغ المرأة الأخرى، التى كانت فى مكان آخر، بجلية الأمر.

عندئذ استيقظت من نومى. ولم أكن قد شاهدت المرأة التى تراءت فى حلمى، منذ خمس سنوات. ولست أدرى أين هى الآن، ولم يخطر ببالى أنها ربما أنجبت طفلا قط. ولكننى أحسست بأن هذا الحلم يومئ إلى العلاقة التى ربطتنى بها.

خلال رقادى فى الفراش، مضيت أستحضر الحلم مجددا، وأستمتع بالبهجة المنعشة، التى تركها فى ذهنى. أتراها فى مكان ما ستنجب طفلا لأحدهم.

(١٩٢٤)

الجندب وصرار الليل الخوار

سرت، على امتداد سور الجامعة المسقوف بالآجر، انعطفت، ودنوت من مبنى الصفوف الأعلى. وراء السور، المتخذ من الألواح الخشبية البيضاء، المحيط بملاعب الكلية، ومن أجمة شجيرات غسقية تحت أشجار الكرز الأسود، كان بالوسع سماع صوت حشرة، ولترددى فى مفارقة هذا الصوت، انعطفت يمينا، حتى لا أترك الملاعب ورائى. وعندما انعطفت إلى اليسار، انحسر السور، مقسما المجال لجسر زرعت فيه أشجار البرتقال. وعند المنعطف، غمرتنى الدهشة. وإذ تألقت عيناى، حيال ما رأيته قبالتى، سارعت بالانطلاق إلى الأمام بخطى حثيثة.

عند أسفل الجسر، كان هناك حشد من المصابيح المتقافزة الجميلة، ذات الألوان المتنوعة، من النوع الذى قد يراه المرء فى مهرجان ريفى. ودون المضى إلى مدى أبعد، عرفت أننى بإزاء جمع من الأطفال، فى مطاردة للحشرات، وسط شجيرات الجسر(١) كان هناك حوالى عشرين مصباحا. ولم تكن هناك مصابيح قرمزية، حمراء وردية، زرقاء نيلية، خضراء، أرجوانية، وصفراء فحسب، وإنما توهج أحد المصابيح بخمسة ألوان دفعة واحدة. بل كانت هناك كذلك مصابيح حمراء صغيرة مما يشترى من الحوانيت. لكن معظم المصابيح كانت مربعة، جميلة، أبدعها الأطفال أنفسهم، بحب وعناية. المصابيح المتقافزة، مجئ الأطفال معا إلى هذا المنحدر المنعزل، يقينا إنه كان مشهدا ينتمى إلى عالم الحكايات الخرافية؟

كان أحد اطفال الحى قد سمع صرير إحدى الحشرات على هذا المنحدر ذات ليلة، فابتاع مصباحا أحمر، وعاد فى الليلة التالية، ليعثر على الحشرة، وفى الليلة التالية أقبل طفل آخر. وهذا الطفل الجديد لم يكن بوسعه ابتياع مصباح، فقطع المقدمة والمؤخرة من علبة صغيرة من الورق المقوى، وغلفها بالورق العادى، ووضع شمعة على القاعدة وثبت خيطا فى أعلاها. وتزايد عدد الطفال إلى خمسة، ثم إلى سبعة، وتعلموا كيف يلونون الورق، الذى يشدونه على نوافذ الورق المقوى المقطوع، وأن يرسموا صورا عليه. ثم قام هؤلاء الفنانون الأطفال الحكماء بإبداع نمط تجميلى واحد بأسره، من خلال قطع أشكال دائرية، ومثلثة، ومعينة من الورق المقوى، ملونين كل نافذة صغيرة أحدثوها بلون مختلف، مع أشكال دوائر وماسات حمراء وخضراء. وتخلى الطفل ذو

المصباح الأحمر عنه، باعتباره شيئا مجردا من الذوق، يمكن ابتياعه من المتجر. وألقى الطفل الذى أبدع مصباحه، به بعيدا، لأن التصميم أبسط مما ينبغى. ونمط الضوء، الذى كان أحدهم يحمله فى الليلة الماضية، أصبح غير مقبول، صبيحة اليوم التالى. وعكف الأطفال كل يوم، بالورق المقوى والورق العادى وفرشاة التلوين والمقص والمطواة والمادة اللاصقة، على إبداع مصابيح جديدة يستلهمونها من قلوبهم وأذهانهم. انظروا إلى مصباحى فليكن الأكثر جمالا على النحو الأكثر غرابة! وفى كل ليلة يمضون بجولاتهم لاصطياد الحشرات. هؤلاء كانوا الأطفال العشرين ومصابيحهم الجميلة، الذين أراهم الآن.

بعينين تملؤهما الدهشة، مضيت أتسكع قريبا منهم. لم يكن للمصابيح المربعة أشكال عتيقة الطراز وزهرية الطابع فحسب، وإنما قطعت أسماء الأطفال الذين أبدعوها بحروف مربعة، فى إطار الأبجدية المقطعية. وكانت هناك مصابيح أخرى مختلفة عن المصابيح الملونة باللون الأحمر (وقد صنعت من ورق مقوى غليظ) وحملت تصميماتها مرسومة على ورق النوافذ، بحيث بدا ضوء الشمعة وكأنه ينبع من شكل التصميم ولونه ذاتيهما. وأبرزت المصابيح ظلال الشجيرات، كأنها ضوء يأخذ الظلام بأكنافه . وجثم الأطفال على المنحدر، فى شغف، حيث تناهى إليهم صرير حشرة.

-هل يريد أحدا جندبا؟

فجأة استقام طفل، كان يحدق فى شجيرة على بعد ثلاثين قدما من الأطفال الآخرين، وهتف بهذه الكلمات:

- نعم. اعطه لى!

أقبل ستة أطفال أو سبعة منطلقين عدوا، وتزاحموا وراء الطفل الذى عثر على الجندب، ومضوا يحدقون فى الشجيرة. أبعد الطفل أيديهم الممتدة، ومد ذراعيه أمامه، ووقف كأنه يحرس الشجرة، التى كانت الحشرة بها. لوح بالمصباح بيده اليمنى، ونادى الأطفال الآخرين:

- هل يريد أحد جندبا؟ جندب!

- أنا أريده! أنا أريده!

أقبل أربعة أطفال أو خمسة منطلقين عدوا. بدا كأنه ليست بمقدورك أن تمسك بحشرة أكثر قيمة من جندب. هتف الطفل للمرة الثالثة:

- ألا يريد احد جندبا؟

أقبل طفلان أو ثلاثة أطفال.

- بلى، أريده.

كانت طفلة هى التى أقبلت، ووقفت الآن وراء الطفل، الذى اكتشف الحشرة. تحول الطفل بجسمه فى خفة، وبرشاقة انحنى إلى الأمام، ونقل المصباح إلى يده اليسرى، ومد يمناه إلى الشجرة.

- إنه جندب.

- نعم، أريد الحصول عليه.

انبعث الطفل واقفا، على وجه السرعة. وكأنما ليقول "هاك !" دفع بقبضته المضمومة على الحشرة إلى الطفلة، فزلقت رسغها تحت خيط مصباحها، وأطبقت كفها على قبضة الطفل. ففتح هذا الأخير قبضته المضمومة بهدوء. وانتقلت الحشرة إلى مابين إبهام الطفلة وسبابتها.

- أوه، إنه ليس جندبا، وإنما صرار ليل خوار.

هتفت بها الطفلة، وقد تألقت عيناها وهى تنظر إلى الحشرة البنية، الصغيرة.

- إنه صرار ليل خوار! إنه صرار ليل خوار!

ردد الأطفال صدى كلماتها، فى جوقة، يخامرها الحسد.

تطلعت الطفلة بعينيها المتالقتين، واللماحتين، إلى الطفل الذى أعطاها صرار الليل، وفتحت قفص الحشرات الصغيرة، المدلى إلى جانبها، وأطلقته بداخله.

- إنه صرار ليل خوار.

- أوه، إنه صرار ليل خوار.

غمغم الطفل، الذى أمسك الحشرة، بهذه الكلمات، رافعا قفص الحشرات أمام عينيه، وتطلع بداخله. وعلى ضوء مصباحه الجميل، ذى الأبواب المتعددة، الذى رفعه كذلك عند مستوى العين، تطلع إلى محيا الطفلة.

أوه. مضيت أمعن التفكير. ساورنى شعور بالغيرة من الطفل، وبالارتباك. كم هو سخيف منى ألا أتفهم تصرفاته حتى الآن ! ثم أمسكت بأنفاسى لفرط الدهشة. انظر! إنه شئ على صدر الطفلة لم يلاحظه الطفل، الذى أعطاها صرار الليل، ولم تلاحظه، هى التى قبلته، ولم يلاحظه الأطفال الذين يتطلعون إليهما.

فى الضوء المخضر، الخافت الذى ترامى على صدر الفتاة، ألم يكن من الممكن بجلاء رصد اسم"فوجيو"؟ لقد نقش مصباح الطفل، الذى رفعه عاليا إلى جوار قفص حشرات الطفلة

اسمه، المقصوص فى نافذة المصباح الخضراء، على الكيمونو الأبيض الذى ترتديه. ولم يظهر مصباح الفتاة، الذى تدلى من رسغها، متراخيا، نمطه الزخرفى بمثل هذا القدر من الوضوح، ولكن كان لا يزال بمقدور المرء أن يتبين، فى بقعة حمراء مرتجفة على خصر الصبى، اسم "كيوكو" هذا التلاعب الذى ساقته الصدفة للونين الأحمر والأخضر - إذا كانت صدفة أو تلاعبا حقا- لم يعرف به "فوجيو"، ولا "كيوكو".

وحتى إذا تذكرا للأبد أن "فوجيو" قد أعطاها صرار ليل، وأن "كيوكو" قد قبلته، فإنه لن يعرف، حتى ولا فى أحلامه، أن اسمه كان مكتوبا بالضوء الأخضر على صدر "كيوكو"، أو أن اسمها كان مكتوبا بالضوء الأحمر على خصره، كما لن تعلم "كيوكو" أبدا أن اسمه كان مكتوبا بالضوء الأخضر على صدرها، أو أن اسمها قد كتب بالضوء الأحمر على خصره.

"فوجيو" ! حتى عندما تصبح شابا فى مقتبل العمر، عليك أن تضحك، مبتهجا، حيال بهجة فتاة، عندما يقال لها إنه جندب، ولكنها تعطى صرار ليل، واضحك بقلب تملؤه العاطفة إزاء أسى فتاة، عندما يقال لها إنه صرار ليل ولكنها لاتعطى إلا جندبا.

وحتى إذا كنت تملك اللماحية التى تدفعك إلى أن تنظر بنفسك فى شجيرة، بعيدا عن الأطفال الآخرين، فليس هناك الكثير من صرار الليل فىالعالم، وربما ستجد فتاة تشبه الجندب، فتحسبها صرار ليل.

وفى نهاية المطاف، فإنه حتى بالنسبة لقلبك المكلوم، الذى تحجب السحب آفاقه، سيبدو صرار الليل جندبا. ولئن أقبل ذلك اليوم، الذى تحسب فيه بأن العالم ملئ بالجنادب وحدها، فلسوف أحسب أنه مما يثير الإشفاق أنه مامن سبيل أمامك لكى تتذكر تلاعب الضوء فى هذه الليلة، عندما كتب اسمك بالضوء الأخضر، المنبعث من مصباحك الجميل، على صدر صبية.

(١٩٢٤)

الخاتم

مضى طالب حقوق مفلس، حاملا معه بعض أعمال الترجمة، إلى نزل نبع جبلى حار.

كانت ثلاث من فتيات الجيشا من المدينة، وقد وضعن مراوحهن المستديرة أمام وجوهن، قد مضين فى قيلولة، فى سرادق صغير بالغابة.

رصد الدرج الحجرى، عند حافة الغابة، المفضى إلى الغدير الجبلى، وقد قسمت صخرة ضخمة تيار الغدير، ومضت جموع من اليعاسيب تحوم هناك وتندفع مسرعة.

وقفت فتاة صغيرة، عارية، إلى جوار المغطس، الذى حفر فى الصخرة الضخمة.

حدث نفسه بأنها فى الحادية عشرة، أو الثانية عشرة، من عمرها وتجاهلها، فيما هو يضع رداء حمامه على الشاطئ، وانزلق إلى المغطس، عند قدمى الفتاة.

ابتسمت الطفلة، التى بدا أنه ليس لديها أى شئ آخر تقوم به، مستعرضة نفسها، كأنما لتجذبه إلى جسمها الوردى. فى لمحة أدرك أنها ابنة جيشا(٢) فجمالها كان فذا وحذرا، يمكن للمرء أن يستشعر فيه الغرض المستقبلى، المتمثل فى منح الرجال اللذة الحسية. اتسعت عيناه، دهشة، كأنها مروحة، تقديرا لها.

فجأة، ندت صرخة خافتة عن الفتاة، وهى ترفع يدها اليسرى.

– آه ! لقد نسيت أن أنزعه ونزلت إلى الماء به.

اجتذبته، علىالرغم منه، فتطلع إلى يدها.

– ياللطفلة الصغيرة المزعجة!

دمدم بها، وبدلا من شعوره بالضيق، لاجتذاب الصبية الصبية له، أحس فجأة بكراهية عنيفة نحوها.

كانت قد أرادت استعراض خاتمها. ولم يكن يدرى ما إذا كان على المرء أن ينزع خاتمه أم لا، لدى دخوله إلى حمام نبع حار، ولكنه كان من الواضح أنه قد أصبح ضحية الحيلة التى اعتمدتها الصبية.

كان قد اظهر استياءه على ملامحه، بشكل أقوى مما اعتقد، احمر وجه الفتاة، ومضت تعبث بخاتمها. أخفى طفولته بابتسامة ساخرة، وقال بشكل عرضى:

- هذا خاتم جميل. دعينا نلقى نظرة عليه!

- إنه خاتم أوبال.

جلست الفتاة على حافة المغطس، كأنما أسعدها أن تريه خاتمها. وفقدت توازنها، وهى تمد يدها به، فوضعت يدها الأخرى على كتفه.

- أوبال؟

تلقى انطباعا قويا عن الخاتم الثمين من نطقها للكلمة، فحاول تكرارها.

- نعم. لا يزال إصبعى صغيرا. لقد صنعته من الذهب خصيصا، ولكن الناس يقولون الآن إن الحجر أكبر مما ينبغى.

تلاعب بيد الصبية الصغيرة. بدا الحجر، وهو فى لون صفاء البيض المخضب باللون البنفسجى الرقيق والمشع بشكل فذ. وبدت الفتاة وقد غلبها الشعور بالرضا، فمضت تقرب جسمها أكثر منه وهى تحدق فى محياه.

هذه الفتاة، لكى تريه خاتمها بشكل أفضل، لن تندهش، حتى ولو أخذها عارية تماما كما هى، إلى حجره.

(١٩٢٤)

شَعر

حدثت فتاة نفسها بأن عليها أن تصفف شعرها.

حدث هذا فى قرية صغيرة، تقع بعيدا فى الجبال.

عندما وصلت إلى دار مصففة الشعر، دهشت، فقد تجمعت كل فتيات القرية هناك.

فى ذلك المساء، عندما كانت كل تسريحات "الخوخ المشقوق" غير الجميلة التى تصفف الفتيات شعرهن وفقا لها قد نفذت مجددا، وصلت فصيلة من الجنود إلى القرية. ووزعهم مكتب القرية على الدور لاستضافتهم بها. وكان هناك نزيل فى كل دار. وكان حلول الضيوف بالقرية أمرا نادر الحدوث، وربما كان هذا السر فى أن كل فتيات القرية قد قررن تصفيف شعرهن.

لم يحدث شئ، بالطبع، بين الفتيات والجنود. وفى صبيحة اليوم التالى، غادرت الفصيلة القرية، ومضت باتجاه الجبل.

غير أن مصففة الشعر، التى حل بها الإعياء، حدثت نفسها بأن عليها أن تأخذ عطلة، تمتد عبر الأيام الأربعة التالية. وبالشعور المبهج، الذى يعقب العمل الشاق، وفى صبيحة اليوم نفسه الذى انطلق فيه الجنود، وعلى الجبل ذاته، مضت تهتز برفق فى العربة التى يجرها الحصان، فى طريقها لزيارة رجلها.

عندما وصلت إلى القرية الأكبر قليلا، على الجانب الآخر من الجبل، قالت لها مصففة الشعر هناك:

- إننى سعيدة للغاية، فقد وصلت فى الوقت المناسب. أرجو أن تساعدينى قليلا !

هناك، أيضا، كانت كل فتيات جانب الجبل قد تجمعن، لتصفيف شعرهن .

عملت طوال ذلك اليوم مرة أخرى، فى إنجاز تسريحات "الخوخ المشقوق"، وانطلقت فى المساء إلى منجم الفضة الصغير، حيث يعمل رجلها. وما إن رأته، حتى قالت له:

- لو أننى سرت فى إثر الجنود قليلا، فإننى أحسب أننى سأصبح ثرية.

- بملازمة الجنود؟ لاتلقى نكاتا سيئة ! هؤلاء المفرقعون الصغار بالسياط، فى أزيائهم الرسمية الصفراء الضاربة إلى البنى؟ يالك من حمقاء.

وجه الرجل ضربة خفيفة إلى مصففة الشعر.

بشعور بهيج، كأنما أصاب الخدر جسمها المتعب، مضت تحدق فيه.

دوى صوت نفير، جليا، وبالغ القوة، من الفصيلة، التى عبرت الجبل، ومضت منحدرة نحوهما، وتردد الصدى فى الغسق القروى.

(١٩٢٤)

طائرا الكنارى

سيدتى

يتعين على ألا أفى بوعدى، وأن أكتب لك رسالة، لمرة وحيدة أخرى.

لم يعد بمقدورى الحفاظ على طائرى الكنارى، اللذين تلقيتهما منك، فى العام الماضى؛ فقد كانت زوجتى تعنى بهما، على الدوام، أما مهمتى الوحيدة فهى التطلع إليهما والتفكير فيك، خلال رؤيتى لهما.

لقد كنت أنت من قالها. أليس كذلك؟ قلت: "لديك زوجة، ولدى زوج. فلنكف عن اللقاء ! لو أنك لم تكن لك زوجة! إننى أعطيك هذين الطائرين لتتذكرنى بهما. إنهما زوج الآن. ولكن صاحب المتجر أمسك بذكر وأنثى على نحو عشوائى، وزجهما فى قفص. ولم يكن لهما فى الأمر بد. على أى حال، أرجو أن تتذكرنى بهما. ربما كان من الغريب أن يعطى المرء مخلوقات حية كتذكار، ولكن ذكرياتنا حية بدورها. وذات يوم سينفق طائرا الكنارى، وعندما يأتى أوان موت الذكريات التى ربطت بيننا فدعها تمت".

الآن يبدو طائرا الكنارى وكأنهما يوشكان على أن ينفقا، فمن أبقت عليهما ماتت. ورسام مثلى، مهمل، وفقير، كما هو شأنى، ليس بوسعه الإبقاء على هذين الطائرين الرقيقين. لسوف أطرح لأمر بجلاء. لقد اعتادت زوجتى العناية بالطائرين. أما الأن فقد ماتت. ولما كانت قد ماتت فإننى أتساءل عما إذا كان الطائران سيموتان بدورهما. هكذا، سيدتى، هل كانت زوجتى هى التى جلبت ذكرياتى عنك؟

فكرت فى إطلاق سراحى الطائرين، ولكن منذ وفاة زوجتى، بدا أن أجنحتهما قد غدت ضعيفة، على حين غرة. وفضلا عن ذلك، فإن هذين الطائرين لا يعرفان السماء. وهذا الزوج من الطيور ليس لهما رفاق فى المدينة، أو الغابات القريبة، يمكنهما المضى فى سرب واحد معهما. ولو أن أحدهما حلق بعيدا وحده، فإنهما سينفقان منفصلين. ولكنك قلت أن الرجل فى حانوت الحيوانات والطيور الأليفة قد أمسك بذكر وأنثى على نحو عشوائى وزجهما فى قفص.

وبمناسبة الحديث عن ذلك، فلست أرغب في بيعهما لمتعهد الطيور؛ لأنك أعطيتني هذين الطائرين، ولست أريد أعادتهما لك أيضا، حيث كانت زوجتي هي التي تعني بهما. وفضلا عن ذلك، فإن هذين الطائرين -اللذين ربما نسيتهما بالفعل- سيشكلان متاعب جمة بالنسبة لك.

لسوف أطرح الأمر مجددا. لقد عاش الطائران، حتى الآن؛ لأن زوجتي كانت هاهنا، وشكلا ذكرى باقية منك. ولذا، سيدتي، فإنني أرغب في جعلهما يتبعانها في موتها، فلم يكن إبقاء ذكرياتي حية عنك هو الشئ الوحيد الذي قامت زوجتي به. كيف كان بمقدوري أن أعشق امرأة مثلك؟ ألم يكن ذلك راجعا إلى أن امرأتي ظلت معي؟ لقد جعلتني زوجتي أنسى كل الألم الذي عرفته في حياتي. وتجنبت رؤية النصف الآخر من حياتي، ولو أنها لم تفعل ذلك، فإنني يقينا كنت سأشيح بناظري عنك أو أحدق في الأرض أمامك.

سيدتي، أترين بأسا في أن أقوم بذبح طائري الكناري ودفنهما في قبر زوجتي؟

(١٩٢٤)

مرفأ

هذه المدينة التى تضم مرفأ، مثيرة للاهتمام

تأتى ربات البيوت والفتيات المحترمات إلى النزل، وطالما أن هناك نزيل، فإن إحدى النساء تقضى الليل معه. ومنذ لحظة نهوضه، وعند تناول طعام الغذاء، وفى نزهاته، تظل إلى جواره. ويبدوان كزوجين فى شهر العسل تماما.

ومع ذلك، فإنه عندما يقول إنه سيصحبها إلى نزل نبع حار قريب، فإن المرأة تميل برأسها وتفكر. غير أنه عندما يقول إنه سوف يستأجر دارا فى هذه المدينة، فإنها، إذا ماكانت شابة، يحتمل، غالبا، أن تقول، وقد غمرتها السعادة:

– سأكون زوجتك. طالما أن ذلك لن يكون لوقت طويل للغاية، طالما أنه لن يكون لعام أو حتى نصف العام.

فى ذلك الصباح، كان الرجل يحزم حقائبه، استعدادا للرحيل عن متن إحدى السفن. قالت المرأة، وهى تساعده:

– هل لك فى أن تكتب رسالة على لسانى؟

– ماذا؟ الآن؟

– ولكنى لم أعد زوجتك، ولذا فلا بأس. طوال الوقت الذى أمضيته هنا كنت إلى جوارك. أليس كذلك؟ لم أرتكب مايسئ. ولكننى الآن لم أعد زوجتك.

– هل الأمر كذلك؟ هل الأمر كذلك؟

كتب رسالة على لسانها للرجل. وكان جليا أنه رجل، شأنه، أمضى نصف شهر مع هذه المرأة فى النزل.

– ألن تبعثى لى برسالة بدورى؟ ذات صباح، عندما يوشك رجل على أن يستقل سفينة؟ عندما لا تعودين زوجته.

(١٩٢٤)

صـــورة

رجل قبيح -من الوقاحة قول ذلك، ولكن من المؤكد أنه بسبب قبحه أضحى شاعرا- أبلغنـي هذا الشاعر بما يلي:

"إننى أكره الصور، ونادرا ماأفكر فى التقاط صورة لى. والمرة الوحيدة التى التقطت لى صورة فيها كانت منذ حوالى أربع أو خمس سنوات، مـع فتاة بمناسبة خطبتنا. وكانت أثيرة لدى. ولست أثق بأن مثل هذه المرأة ستظهر مجددا فى حياتى. والآن غدت هاتيك الصور ذكـراى الجميلة.

على أى حال، أرادت إحدى المجـلات، فـى العـام المـاضى، نشر صـورة لـى، فقطعت صورتى من صورة التقطت لى مع خطيبتى وأختها، وبعثت بها إلى المجلة. ومؤخرا، أقبل محرر فى صحيفة، طالبا صورة لى. فكرت فى الأمرللحظة، ثم فى نهاية المطاف قطعت صورة تضمنى مع خطيبتى، وقدمتهـا للمحرر، وطلبت منـه أن يحـرص علـى إعادتهـا، ولكننـى لا أحسب أننـى سأستردها مرة أخرى. طيب، لا أهمية لذلك.

أقول لا أهمية لذلك، ولكن على الرغم مـن ذلك، فقد انزعجت عندمـا تطلعت إلـى نصف الصورة، الذى تركت فيه خطيبتى وحدها. أتراها هى الفتاة نفسها؟ دعنى أحدثك عنها.

كانت الفتاة الموجودة فى الصورة جميلة، وجذابة. كـانت فـى ذلك الوقت، فـى السـابعة عشرة من عمرها، وعاشقة . ولكننى عندما تطلعت إلى الصورة، الموجودة فى يدى، صورة الفتـاة المبعدة عنى أدركت كم هى فتاة كئيبـة. وكـانت هـذه الصـورة، حتـى ذلك الوقت، أجمل صـورة رأيتها ... ولكنني في لحظة استيقظت من حلم طويل، فقد تداعى كنزي الغالي. وهكذا ... " .

خفض الشاعر صوته، على نحو أكبر.

" لو أنها رأت صورتي في الصحيفة، فمن المؤكد أنها ستعتقد ذلـك بدورهـا. وستحزن، لأنها أحبت رجلا مثلي، حتى ولو للحظة.

طيب، تلك هى القصة.

ولكنني أتساءل : ُترى لو ُقدر للصحيفة أن تنشر صورتينا معاً، على نحو ما التقطت، أتُراها ستهرع عائدةً الى محدثةً نفسها عن أى رجل رائع كنت؟"

(١٩٢٤)

الزهرة البيضاء

استمر زواج الأقارب، على امتداد أجيال، إلى أن أوشكت عائلة الفتاة، تدريجيا، على الفناء، من جراء ذات الرئة. وكانت بدورها ناحلة الكتفين للغاية. وربما كان حريا بالرجال أن ينزعجوا إذا عانقوها.

قالت لها امرأة رقيقة، ذات يوم:

- الزمى الحرص فى الزواج. فلن يكون من المناسب أن تتزوجى من رجل شديد القوة. سيكون من المناسب أن تتزوجى رجلا يبدو ضعيفا، ولكن ليس مريضا، وله بشرة توحى بالصحة ... والأمر كذلك إذا لم يكن قد أصيب بمرض فى الرئة من قبل. شخص يجلس بشكل سليم، على الدوام، ولا يشرب، ويبتسم كثيرا.

على الرغم من ذلك، استمتعت الفتاة بأحلام اليقظة، التى تدور حول ذراعى رجل قوى، ذراعيين قويين تجعلان ضلوعها تقرقع، عندما تلتفان حولها، ذلك أنها على الرغم من أن وجهها كان يبدو مسترخيا، إلا أن الشعور باليأس هيمن عليها. وعندما كانت تغمض عينيها، كانت ترى جسمها يطفو على محيط الحياة، منسابا حيثما حمله المد معه، وقد أضفى عليها هذا جوا عاطفيا.

وصلت رسالة من ابن عمها: هو ذا صدرى يسبب لى المتاعب، فى نهاية المطاف، ليس بوسعى إلا القول إن أوانى قد آن، وهو ماوقرت نفسى عليه. أشعر بالهدوء، غير أن هناك جانبا واحدا يثير الضيق. لماذا لم أطلب منك عندما كنت لا أزال فى تمام صحتى أن تدعينى أقبلك؟ أرجوك ألا تدعى هذه الجرثومة تلوث شفتيك!

سارعت إلى دار ابن عمها. وسرعان مابعث بها إلى مصح قرب شاطئ البحر.

اهتم الطبيب الشاب بها، كأنها مريضته الوحيدة، وحمل مقعدها القماش الطويل، كأنه مهد حتى طرف رأس الشاطئ كل يوم، وهناك كانت أجمة الخيزران تتألق على الدوام فى سنا الشمس.

كان ذلك وقت الشروق.

- أه، لقد استعدت عافيتك مجددا، حقا، لطالما انتظرت هذا اليوم!

قالها الطبيب، وهو ينهض من الكرسى القماش، الذى وضع على الصخر. أضاف:

– حياتك تشرق من جديد كهـذه الشمس. لمـاذا لا ترفـع السفن المبحـرة فـى البحـر أعلامـا حمراء وردية لك؟ آمل أنك ستسامحينني؛ فقد انتظرت هذا اليـوم بقلبين، باعتبـارى الطبيـب الـذى عالجك وكذلك باعتبار ذاتى الأخرى. لطالما تقت إلى هذا اليـوم! إنـك فـى خـير حـال. وفـى حـال طيبة بحيث يمكنك، استخدام جسمك للتعبير عن انفعـالاتك... لمـاذا لا يتحـول المحيـط بأسـره إلـى اللون الأحمر الوردى من أجلنا؟

التفتت الفتاة إلى الطبيب، وقد افعمها الشعور بالعرفان، ثم حولت عينيها إلى البحر، ومضت تنتظر.

ولكن، فجأة، أزعجها أنها لاتفكر فى العفة، كانت قد تنبأت بموتها منذ طفولتها، ولذا لم تكـن تؤمن بالزمن، ولم تكن تعتقد باستمراريته. وهكذا فسوف يكون من المستحيل أن تلزم العفة.

– ما أكثر ما حدقت فى جسمك على نحو عاطفى! ولكننـى حدقـت فيـه كلـه بشـكل عقلانـى أيضا. فبالنسبة لى، كطبيب، كان جسمك معملا.

– ماذا؟

– معمل جميل، ولو أن الطب لم يكن بمثابة نداء من السماء بالنسبة لى، لكانت عواطفى قـد قتلتك الآن.

بدأت بالشعور بالكراهية نحو الطبيب، فغيرت وضعها، لتتجنب لقاء عينيه بعينيها.

تحدث معها روائى شاب، كان مريضا يعالج فى المستشفى نفسه، قال لها:

– ينبغى أن يهنئ أحدنا الآخر. دعينا نغادر المستشفى فى يوم واحد!

استقلا عربة، عند البوابة، وانطلقا عبر أجمة صنوبر.

بدأ الروائى يلف ذراعه حول كتفها، وشرعت تستند إليه، كأنهـا جسـم خفيـف يتهـاوى، مـن دون قدرة على وقف ذاته.

انطلقا فى رحلة.

– هذا هو فجر الحياة الوردى ... صباحك صباحى. مـاأغرب أن يوجد صباحـان فـى هـذا العالم فى وقت واحد! سوف يصبح الصباحان صباحا واحدا. هذا أمـر طيـب. لسـوف أؤلـف كتابـا بعنوان "صباحان".

أفعمت نفسها بالنشوة، فتطلعت إلى الروائى.

- انظرى إلى هذا ! إنه رسم سريع رسمته لك، خلال وجودنا فى المستشفى. ولئن قدر لى ولك أن نموت، فقد نحيا فى روايتى. ولكن الآن هناك صباحين... الجمال الشفاف للخصائص المميزة التى ليست بخصائص على الإطلاق. إنك تجلبين جمالا يشبه عطرا لاتستطيعين رؤيته بالعين المجردة، كاللقاح الذى يعطر حقول الربيع. لقد وجدت روايتى روحا جميلة. كيف سأكتبها. ضعى روحك فى راحة يدى لأتطلع إليها، كأنها جوهرة متألقة. لسوف أرسمها بالكلمات...

- ماذا؟

- بمثل هذه المادة... لو أننى لم أكن روائيا، لما استطاعت مشاعرى تركى أحيا إلى مستقبل بعيد.

عندئذ بدأت فى الشعور بالكراهية حيال الروائى، فنظرت إلى الأمام لتتجنب نظرته.

جلست وحيدة فى غرفتها. وكان ابن عمها قد مات منذ وقت قصير، قبل الموعد المتوقع له.

- أحمر وردى . احمر وردى.

بينما مضت تتطلع إلى بشرتها البيضاء التى غدت رائقة تدريجيا، راحت تتذكر كلمتى "أحمر وردى" وابتسمت.

- لو يغوينى أحدهم بكلمتين ...

أحست بالرغبة أن تومئ موافقة، وابتسمت.

(١٩٢٤)

حادثة الوجه المحتضر

- أرجوك، هلم لرؤيتها. هذا هو ما صار إليه أمرها. أوه. ماكـان أشد توقها لرؤيتك مرة أخرى!

على هذا النحو مضت حماة الرجل فى الحديث، وهى تنطلق به مسرعة إلـى الغرفـة. تطلـع إليه من التفوا حول فراش زوجته، فى وقت واحد.

- أرجوك ، إلق نظرة عليها!

قالت حماته وهى تعاود الحديث، وتشرع فى إزاحة الغطاء، الذى أسدل على وجـه زوجتـه. ثم فجأة تحدث الرجل، وكأنما أرغم على ذلك:

- لحظة واحدة ! أيمكننى رؤيتها منفردا؟هل بوسعكم تركى وحدى معها فى الغرفة؟

أثارت كلماته التعاطف فـى صفوف عائلـة زوجتـه، فغـادرت الغرفـة فـى هـدوء، وأغلقت الحاجز الفاصل وراءها.

أزال الغطاء الأبيض.

كان وجه زوجته قد تصلب، مكتسبا تعبيرا موحيا بالألم فى غمار احتضارها. بدت وجنتاهـا غـائرتين، وأسنانها الناصلـة ناتئـة مـن بين شـفتيها. تغضـن لحـم جفنيهـا، وبـدا ذاويـا، ومتشـبثا بمحجريها. وجمد توتر جلى الألم فى جبينها.

جلس متجمدا فى موضعه للحظـة، محدقـا فـى هـذا المحيـا الميـت، القبيـح. ثـم وضـع يديـه المرتجفتين على شفتى زوجتـه، وحـاول إطبـاق فمهـا. وأفلـح فـى إجبـار شـفتيها علـى الانغـلاق، ولكنهما عندما رفع يديه تراختا عائدتين إلى سابق انفتاحهما. أطبق فمها مجددا، ومرة أخـرى عـاد الفم للانفتاح من جديد. فعل الشئ نفسـه مـرارا وتكـرارا، ولكـن النتيجـة الوحيـدة تمثلـت فـى أن الخطوط الحادة حول فم زوجته بدأت فى اللـين.

عندئذ، استشعر انفعالا يتزايد فى أطـراف أصابعـه. وراح يدلـك جبينهـا، عسـاه يخفـف مـن مشهد القلق الجهم المرتسم عليه. وازدادت راحتاه سخونة.

جلس ساكنا فى موضعه من جديد، مطلا على المحيا الجديد.

دلفت حماته وأخت زوجته الصغرى إلى الغرفة.

- ربما نالك التعب من جراء الرحلة بالقطار. أرجو أن تتناول طعام الغذاء، وأن تنال قسطا من الراحة... أوه.

انهمرت الدموع، فجأة، على وجنتى الحماة، وأضافت :

- الروح الإنسانية أمر مخيف. ماكان لها أن تموت كليه، إلا بعد قدومك. الأمر بالغ الغرابة. كل مافعلته هو إلقاء نظرة عليها، وها هو محياها قد كساه الاسترخاء... لا بأس. إنها الآن فى خير حال.

تطلعت أخت زوجته الصغرى، التى اكتست عيناها بصفاء جمال سماوى، إلى عينيه، اللتين مسهما طائف من جنون، ثم انخرطت بدورها فى البكاء.

(١٩٢٥)

زجــاج

شحبت وجنتا خطيبته "يوكو" ذات الخمسة عشر ربيعا، وعادت إلى الدار، قائلة:

– أعانى من صداع؛ فقد رأيت شيئا مثيرا للإشفاق للغاية.

كان أحد العمال الشبان، فى مصنع للزجاج ينتج زجاجات لشراب الساكى، قد بصق دما، وأحرق نفسه، بصورة قاسية، وغاب عن الوعى. وقد رأت ذلك لدى حدوثه.

كان خطيبها بدوره يعرف مصنع الزجاج. ولما كان العمل يتم فى أجواء حارة، فقد أبقيت النوافذ مفتوحة طوال العام تقريبا. كان هناك على الدوام اثنان أو ثلاثة من الزوار يقفون عند النوافذ. لم يتدفق الغدير على الجانب الآخر من الشارع، والتمع الزيت على سطحه، وبدا كأنه من المجارى المتحللة.

داخل المصنع الرطب، حيث لاتتألق الشمس، مضى العمال يلوحون بكرات من النار على أعمدة طويلة، والعرق يتقاطر من قمصانهم، كما ينهل من وجوههم، وبدت وجوههم متسخة كقمصانهم. وتبدأ كرة النار، عند نهاية العمود، فى التمدد متخذة شكل زجاجة، فيضعونها فى الماء، ثم يخرجونها بعد قليل، ويكسرون طرفها المدبب بضربة واحدة سريعة. ويلتقطها ولد صغير محنى الظهر، بملقط، ويسرع بها إلى فرن التشطيب. وفى غضون عشر دقائق، يجد من توقفوا للمشاهدة عند نوافذ المصنع أن رؤسهم قد اخشوشنت، وتصلبت، مثل قطعة زجاج، من فرط الانفعال، والتأثر بصوت كرات النار الطائرة والزجاج.

وبينما كانت "يوكو" تطل على داخل المصنع، بصق فتى كان يحمل زجاجة، دما غليظا، وسقط من فرط الإعياء على الأرض، وقد أطبقت يداه على فمه، ثم أصابت كرة نارية طائرة كتفه، ففتح فمه الذى كساه الدم، وصرخ، كأنه سينشق إلى شطرين. انبعث واقفا، ودار حول نفسه مرة، ثم هوى إلى الأرض.

– انتبه، أيها الغبى !

وضعوا بعض الماء على كتفه. كان قد غاب عن الوعى.

قالت يوكو لخطيبها:

- مؤكد أنه ليس لديه مال ليمضى به إلى المستشفى. أريد أن أعوده

- يجب أن تفعلى ذلك، لكنه ليس العامل الوحيد الذى يحتاج للشفقة.

- نعم، أشكرك، ذلك يسعدنى.

بعد عشرين يوما، جاء الفتى العامل ليشكر الفتاة، لقيامها بزيارته. أراد أن يحادث "الآنسة الشابة" وهكذا أقبلت "يوكو" إلى الدهليز. وكان الفتى يقف فى الحديقة. وعندما أطلت تشبث بإطار الباب وأحنى رأسه.

- طيب، هل أنت أحسن حالا الآن؟

- ماذا؟

انتفض الفتى الشاحب. وبدت "يوكو" كأنها موشكة على البكاء.

- هل أصبح الحرق الذى أصابك على مايرام الآن؟

- نعم .

بدأ الفتى فى فك أزرار قميصه.

- لا. لا بأس...

ركضت "يوكو" داخلة إلى الغرفة، وشرعت تحدث خطيبها:

- إننى ...

قدم لها خطيبها بعض المال.

- أعطه هذه النقود !

- لست أريد الذهاب. أرجو أن تجعل الخادم تعطيها له !

انقضت عشر سنوات.

قرأ الرجل قصة بعنوان "زجاج" فى مجلة أدبية. كانت تصف حيهم. وكان هناك غدير راكد، يلمع الزيت على سطحه. كان هناك جحيم تتطاير فيه كرات النار. بصق للدم. حرق. لمسة طيبة من فتاة برجوازية.

- يوكو ! يوكو!

- ماذا هناك؟

- لقد رأيت فتى فى مصنع للزجاج يغيب عن الوعى، ومنحته بعض المال. أليس كذلك؟ عندما كنت طالبة فى العام الأول أو الثانى فى كلية البنات؟

- نعم. نعم. حدث ذلك.

- لقد أصبح هذا الفتى كاتبا، وكتب عن ذلك.

- ماذا ؟ أرنى !

انتزعت "يوكو" المجلة منه. ولكنه، بينما مضى يقرأ من فوق كتف زوجته، بدأ فى الشعور بالندم، لإطلاعها على القصة.

جاء فيها أن الفتى قد مضى للعمل فى مصنع للمزهريات، وهناك أظهر موهبة كبيرة فى تصميم لون المزهريات وشكلها، بحيث أنه لم يعد مضطرا لإجهاد جسمه الضعيف على النحو الخشن الذى درج عليه فى الماضى. وجاء فيها أيضا، أنه بعث للفتاة بأجمل مزهرية قام بتصميمها.

هذا هو لب ما كتبه: "لا. على امتداد أربع أو خمس سنوات قمت بصنع المزهريات من دون توقف، مستمدا مصدر إلهامى من الفتاة البرجوازية. ترى هل كانت تجارب عملى القاسية هى التى أيقظت فى الشعور بالطبقة الاجتماعية؟ أم كان الأمر متعلقا بحبى للفتاة البرجوازية؟ كان حريا أن يكون من المناسب فى ذلك الوقت أن أسعل دما ـ أن أسعل من دمى وألقى حتفى. الإذلال . منذ زمن بعيد ، أنقذت شفقة العدو ابنة محارب انتزعت منه قلعته عنوة، ومع ذلك فقد قاست الابنة من المصير المتمثل فى أن تصبح خليلة الرجل الذى قتل أبيها. كانت الهبة الأولى من الفتاة أنها أنقذت حياتى، والثانية أنها منحتنى فرصة البحث عن عمل جديد. ولكن تأمل عملى الجديد! أى طبقة تلك التى أصنع لها المزهريات؟ لقد أصبحت بمثابة خليلة لعدوى. أدركت كيف أمكن لهذه الفتاة أن تكون على مثل هذا القدر من الجمال، عرفت لماذا أثرت حياتى. ولكن تماما كما أن الرجل لا يستطيع المضى على أربع كالأسد، لم أستطع أن أبعد عنى الحلم بالفتاة. تصورت أن دار عدوى تحترق، حتى أساسها، وكان بمقدورى سماع نواح الفتاة، بينما المزهرية البديعة تتداعى منهارة إلى القبح فى حجرتها البهيجة. تخيلت جمال الفتاة يطاح به. وعلى الرغم من أننى وقفت على جبهة معركة الطبقات، إلا أننى كنت، فى المدى الطويل، لوحا زجاجيا وحيدا، كتلة زجاج وحيدة. ومع ذلك، فى عصورنا الحديثة هذه، هل هناك شخص واحد من بيننا لا يحس بالزجاج على كاهله؟ يتعين علينا أولا أن نجعل أعداءنا يهشمون الزجاج المستقر على كواهلنا. وإذا اختفينا مع الزجاج، فلا مجال لتجنب ذلك، أما إذا تخلصنا من وقرنا، فلسوف نرقص، ونواصل المعركة".

بعد أن قرأت "يوكو" القصة، بدت كأنها تفكر فى شئ يتراءى فى البعيد. قالت:

- ترى أين مضت تلك المزهرية؟

لم يسبق له أن رأى مثل إمارات الخنوع هذه ترتسم على محيا زوجته.

- لكننى كنت طفلة فى ذلك الحين.

تبدل لونه، قال:

- هذا صحيح . سواء أكنت تقاتلين طبقة أخرى، أو تتخذين موقع طبقة أخرى، وتحاربين الطبقة التى تنتمى إليها، فلا بد لك فى المقام الأول من إدراك أن الدمار سرعان مايحيق بك باعتبارك فردا.

لكن هذا كان أمرا غريبا. فلم يحدث أن شعر الرجل، خلال هذه السنوات، قط، بالجمال والانتعاش اللذين تبينهما فى الفتاة التى صورتها القصة.

ترى كيف أمكن لهذا الفتى الصغير، المنحنى، الشاحب، المريض، أن يحظى بهذا النوع من القوة؟

(١٩٢٥)

أوشـــين جـــيزو

فى الحديقة الخلفية لـنزل نبـع حـار، كـانت هنـاك شـجرة كستناء ضخمـة، وانتصب تحتها "الأوشين جيزو" وهو تمثال لحارس الأطفال.

وجاء فى الدليل السياحى الخاص بالمنطقة، أن أوشين قد ماتت فى العـام الخـامس مـن عهد الميجى، عن ثلاثة وستين عاما. وبعد أن مات زوجها، وهى فى الرابعة والعشرين من عمرها، لـم تتزوج مرة أخـرى، لكـن شـباب القريـة، مـن دون استثناء واحـد، قـد دلفـوا إلـى فراشـها. وأبـدت الترحيب ذاته بهم جميعا. وتقاسمها الشباب، بعد أن كرسوا، فيما بينهـم، نظامـا لزيارتهـا. وعندمـا يبلغ فتى سنا معينة، كان الشباب يستقبلونه بيـن صفـوف المجموعـة التـى تتقاسـم أوشـين. وعندمـا يتزوج شاب، يجبر على الانسحاب مـن هـذه المجموعـة. وبفضـل أوشـين، فـإن شـباب الجبـل لـم يضطروا إلى الرحيل فيما وراء الممر الجبلى إلى النسوة فى المرفأ، وظلـت عـذارى الجبـل علـى عذريتهن، وزوجات الجبل على إخلاصهـن. وتمامـا كمـا أن كـل رجـال هـذا الـوادى، الواقـع بيـن الجبال، تعين عليهم عبور الجسر المعلق للوصول إلى قراهم الصغيرة، المختلفـة، كذلـك ولـج كـل شباب هذه القرية الصغيرة حياتهم الناضجة، بالتردد على أوشين.

بدت هذه الأسـطورة جميلـة للنزيل، وراوده الشـعور بـالحنين إلـى أوشـين، ولكـن الأوشـين جيزو لم يكن شبيها بأوشين، وإنما كانت له رأس كاهن حليقة، وكان بوسع المرء أن يتبيـن بالكـاد العينين والأنف فى المحيا. ربما كان أحدهم قـد التقـط جـيزو عتيقـا، كـان قـد تداعـى فـى المقبرة، وجلبه إلى هنا.

على الجانب الآخر من شجرة الكستناء، كانت هناك دار للهو، وكان النزلاء الذيـن يتسـللون من نزل النبـع الحـار يمسـدون رأس أوشـين جـيزو الحليقـة، فـى كـل مـرة يمضـون تحـت شـجرة الكستناء.

ذات يوم، فى الصيف، جلس النزيل مع ثلاثة نزلاء أو أربعة يلعقون الثلج الذى أزيلت عنـه طبقته الخارجية. لعق ملء فم من الثلج الهش، قطب، وفى التو بصق ما لعقه.

تساءلت إحدى الخادمات:

– أهناك مالا يروق لك فيه؟

أشار باتجاه المبغى، فيما وراء شجرة الكستناء، وقال:

– ربما جلبتموه من ذلك المكان.

– نعم.

– لابد أن إحدى النساء هناك هى التى أزالت طبقته الخارجية. إنه غير نظيف. أليس كذلك.

– ماأغرب هذا القول! إن قيمة الدار بنفسها هى التى أعدته، وقد رأيتها عندما مضيت لإحضاره.

– لكن النساء لابد قد غسلن الأكواب والملاعق.

نحى الكوب جانبا، كأنه يلقى به بعيدا، وبصق لعابه.

فى طريق عودته من مشاهدة الشلالات، أوقف حافلة تجرها الجياد. وعندما استقلها، تصلب جسمه. كانت فتاة ذات جمال خارق تركب الحافلة، وكلما أطال النظر إليها، عظم شعوره بالمرأة الكامنة فى إهابها. لا بد أن رغبات المبغى الدافئة، المتوهجة، التى غاصت فى جسم الفتاة، منذ كانت فى الثالثة من عمرها، قد غرست لحمها فى نداوة الهوى. وما من موضع فى استدارات بدنها الملتفة يرد الناظر عنه، وحتى أخمص قدميها ليسا بالغليظين، وشع وجهها اللدن، الذى تفتح عيناه السودوان على نحو منتفض، بشرود ذهن منتعش لا يعرف السأم. وبشرتها الناعمة المصقولة –كان بوسع المرء أن يحدد لون ساقيها من نظرة إلى وجنتيها– جعلت المرء يرغب فى وطء قدميها حافيتين. كانت فراشا لدنا، غاب عنه الضمير. لقد ولدت هذه المرأة لتجعل الرجال ينسون شواغلهم.

دب فيه الدفء، لدى مرأى ركبتيها، فأشاح بناظريه بعيدا، وتطلع إلى جبل فوجى الذى طفا عاليا فوق الوادى. وبعد برهة، تنقل خلالها بناظريه بين الجبل والفتاة، شرع فى الإحساس بجمال العاطفة الجسدية.

ترجلت الفتاة، التى كانت عجوز ريفية بصحبتها، من الحافلة، عندما غادرها. عبرت الجسر المعلق، وهبطت إلى الوادى. ولجت الدار الواقعة وراء شجرة الكستناء. دهش، ولكنه شعر برضا جميل حيال المصير الذى لقيته الفتاة.

– هذه المرأة لن يحل بها السأم ولا النصب، مهما كان عدد الرجال الذين تعرفهم. هذه المرأة التى ولدت عاهرة، خلافا لأى عاهرة عادية فى الدنيا، لن تفقد لون بشرتها ولا عينيها، ولن تفقد شكل عنقها وصدرها وخصرها.

حملته نشوة العثور على شحص فذ إلى حواف الدمع، وحدث نفسه بأنه قد رأى ملامح أوشين.

فى ذلك الخريف، عندما عجز عن الانتظار إلى أن تحل بداية موسم الصيد، أقبل مجددا إلى النزل الجبلى.

كان النزلاء قد مضوا إلى الحديقة الخلفية. ومضت الطاهية تنفض أغصان شجرة الكستناء بعصا، فتهاوت على الأرض الثمار الخشنة، التى لونها الخريف. التقطتها المرأة وقشرتها.

أخرج بندقيته من جراب حملها. وسدد إلى قمة الشجرة، وقبل أن يرتد رجع الصدى من الوادى، انهمرت الثمار الخشنة كالمطر، فندت صيحة انتصار عن النساء، ووثب كلب صيد النزل لدى دوى الطلقة.

تطلع إلى ما وراء الشجرة. كانت تلك الفتاة تقبل باتجاهه. وعلى الرغم من أن بشرتها بديعة الحمرة كانت لا تزال جميلة، إلا أنها كانت ممتقعة الآن، التفت إلى النسوة بجانبه متسائلا:

- تلك المخلوقة لزمت الفراش وقتا طويلا.

شعر بخيبة أمل يائسة، حيال الشئ المسمى بالعاطفة الحسية. ساوره الشعور بالحيرة والغضب، ضغط على الزناد عدة مرات، بصورة متوالية.

بددت الطلقات هدوء الجبل الخريفى، وانهمرت ثمار الكستناء.

انطلق الكلب يعدو نحو ثمار الكستناء الساقطة. نبح على نحو عابث، واحنى خطمه، ومد قائمتيه الأماميتين. خمش الثمار بخفة، ونبح مجددا. قالت الفتاة ذات الوجه الشاحب:

- أوه، الثمار مؤلمة، حتى بالنسبة لقائمة الكلب.

انفجرت النساء ضاحكات. تقوست السماء عالية فوق الرؤوس، ودوت طلقة أخرى.

قطرة من ذلك المطر الخريفى البنى، ثمرة كستناء، سقطت على رأس الأوشين جيزو الكهنوتى الأصلع. فتناثرت قطعا. وصاحت النسوة صيحة فوز عارمة، وهن يضحكن، كما لو كن يوشكن على التداعى ضحكا.

(١٩٢٥)

صخــرة الانــزلاق

أقبل إلى النبع الجبلى الحار، مع زوجته وطفلته. وكان نبعـا حـارا شـهيرا، يقـال إنـه يجلـب الخصب. وكانت مياهه حارة، على نحو غير مألوف، ولاشك فى أنها مفيدة للنسـاء. وفضـلا عـن ذلـك، فـإن هنـاك خرافـة مفادهـا أن شـجرة صنوبـر وصـخـرة قريبتيـن درجتـا علـى منـح الأطفـال للمستحمين.

بينما كان الحلاق، الذى له وجه خيارة مخللة محفوظة فى أركان حفظ شراب الساكى، يحلق له، سأله عن شجرة الصنوبر (لابد لى، فـى غمـار تسـجيل هـذه القصـة، مـن الحفـاظ علـى سـمعة النساء اللواتى يردن فيها)

– عندما كنت صبيا، كنا نمضـى غالبا لمشـاهدة النسـاء، ننهـض قبـل الفجـر لرؤيتهـن وهـن يلتففن حول شجرة الصنوبر. وعلى أى حال، فإن النسوة اللواتى يردن أطفالا يستبد بهن الجنون.

– الا يزال بمقدورك رؤيتهن وهن يفعلن ذلك؟

– طيب، لقد اجتثت الشـجرة، منـذ عشـر سـنوات. وعلـى أى حـال، كـانت شـجرة ضخمـة، هائلة. شيدوا دارين باستخدام خشبها.

– إحم، ولكن من الذى قطعها؟ لابد أن من قطعها كان رجلا فذا.

– طيب، لقد صدر الأمر عن مكتب المقاطعة. وعلى أى حال فإن الأيام الخوالى قد مضـت بلا رجعة.

قبل تناول طعام الغذاء، غمر جسمه، مع زوجته، فى مياه النبع الكبير، الذى أطلق عليه هـذا الإسم؛ لأنه على الرغم من أنه نبع جماعى، إلا أنه النبع الذى يقال إنه يفيـد النسـوة، وبالتـالى فقـد كان جوهرة تاج المؤسسة. وقد اعتاد المستحمون الاغتسال أولا فى النبع الموجـود داخـل النـزل، ثم هبوط الدرج الحجرى إلى النبع الكبير. ومن ثلاث جهات تم تسوير هذا النبع بكتل خشبية، على شكل مغطس. غير أن القاع كان صخرة طبيعية. وعلى الجهة غير المسـورة، التـى شـوهت شـكل المغطس، كانت هناك صخرة هائلة تعلو، كالفيل. وكان سطحها الأسود، المبتل بفعل النبــع الحـار،

ناعما، زلقا. ولما كانت القصة تفيد إنك ستنجب أبناء إذا انزلقت من قمة هذه الصخرة إلى النبع، فقد دعيت بصخرة الانزلاق.

فى كل مرة تطلع إلى الصخرة هذه، ومضى يحدث نفسه: هذا المسخ يسخر من البشر. الناس الذين يعتقدون أنهم ينبغى أن ينجبوا أطفالا، الناس الذين يعتقدون أنهم إذا انزلقوا هابطين على هذه الصخرة، فإنهم سينجبون أطفالا يتعرضون جميعا للسخرية من هذا الوجه العملاق الزلق.

سمح لنفسه بأن يبتسم ابتسامة مريرة ساخرة من وجه الصخرة السوداء الذى يشبه الجدار.

- أوه، أيتها الصخرة، لو قدر لك أن تمضى برأس زوجتى، عتيقة الطراز، وأن تغوصى بها فى النبع، لربما ساورنى الشعور بقليل من الدهشة.

فى النبع الحار، حيث لاوجود إلا للأزواج والأطفال، بدت زوجته غريبة قليلا. وتذكر كيف أنه ينسى كل ما يتعلق بها، معظم الوقت.

أقبلت امرأة صففت شعرها على الطريقة الحديثة، التى تغطى الأذنين، منحدرة على الدرج الحجرى، عارية. أزالت مشابك الشعر الأسبانية، ووضعتها على الرف.

- يالها من شابة جذابة !

قالتها زوجته، وغمرت نفسها فى النبع. عندما خرجت المرأة من الماء كان شعرها المغسول لتوه يشبه شجرة الفاونيا، التى أزيلت كل بتلاتها، ولم تبق إلا مدقاتها وحدها.

كان يشعر بالخجل، على نحو بائس، عندما تكون امرأة أخرى، غير زوجته، موجودة مع زوجها فى الحمام، ويتفاقم هذا الشعور، عندما تكون امرأة شابة. وإذ يجبر على مقارنة المرأة الشابة بزوجته، فإن كراهية الذات تجتاحه، ويغرق فى غدير من المشاعر الجوفاء.

- كان حريا بى أن أجتث شجرة الصنوبر تلك، وأشيد منزلا بخشبها بنفسى. هذه زوجتى هذه طفلتى ... ألا تختصر هذه الكلمات الخرافة بأسرها؟ ألا تختصرها أيتها الصخرة؟!

إلى جواره، توردت زوجته، بفعل الماء الحار، وأغمضت عينيها، على نحو يوحى بالارتياح.

تدفقت موجة من الضوء الأصفر فوق النبع، وانداح البخار بعيدا فى ضباب أبيض.

- أنت ، أيها الفتى ! أضيئت الأنوار. كم مصباحا هناك؟

- مصباحان.

– مصباحان. هه؟ مصباح فى السقف، وآخر فى القاع. أنت أيها الفتى ! ذلك الضوء قـوى. لسوف أغطس إلى القاع. إنه قوى جدا.

تطلعت المرأة ذات تسريحة الشعر التى تغطى الأذنين خلسة إلى ابنته:

– ما أشد براعة هذه الشابة !

فى ذلك المساء، طلب من زوجته وطفلته أن تأويا إلى الفراش قبله، وكتب عشر رسـائل أو نحوها.

فى عرفة تبديل الملابس داخل النزل، وقف متسمرا بالأرضيـة من فـرط الدهشـة. كـان مايشبه ضفدعا أبيض يتشبث بصخرة الانزلاق. كان خطمها منخفضا إلـى أسفل، نزعـت قائمتيهـا الأماميتين، ودفعت بقائمتيها الخلفيتين. وانزلقت هابطة الصخـرة. ند صـوت نصـف مكبـوت عن النبع. زحف الضفدع عائدا إلـى الصخـرة، وصـاعدا عليهـا، وتشـبث بهـا. كـان الضفـدع هو تلـك المرأة، وكانت تسريحتها المنسدلة على أذنيها مربوطـة، فـى إحكـام بمنشـفة. ولكنهـا كـانت المرأة عينها التى رآها عند النبع فى ذلك المساء.

انطلق يعدو صاعدا الدرج، وقد تصلبت يده على نطاقه، الدرج الذى غمره آخـر الليـل، الصامت والخريفى:

– تلك المرأة ستأتى هذه الليلة لتقتل طفلتى.

كانت امرأته غارقة فى نومها، وقد انسدل شعرها على الوسادة، والتفـت ذراعاهـا حـول الوسادة.

– أوه، أيتها الصخرة ! حتى امرأة تؤمن بخرافتك العبثيـة يمكنهـا إخـافتى بكـل هـذا القـدر. ربما كانت خرافتى–أن هذه هى امرأتـى، وهـذه هـى طفلتـى– ومـن دون أن أعـرف ذلـك، تجعل المئات، وربما الألوف من الناس يرتجفون خوفا. أليس الأمر كذلك أيتها الصخرة؟!

اجتاحته عاطفة جديدة، شهوانية، نحو زوجته، جذبها من يدها، فأنهضها.

– أنت ... استيقظى !

(١٩٢٥)

شكــــرا لك

كان هذا عاما طيبا، بالنسبة لثمار البرسيمون. وبدا الخريف فى الجبال جميلا.

وكانت المدينة ذات المرفأ تقع عند الطرف الجنوبى لشبه الجزيرة. نـزل سـائق الحافلـة مـن الطابق الثانى لمبنى المحطة النهائية، إلى منطقة الانتظار، حيث تتجاور محـال الحلـوى الرخيصـة فى صف واحد. كان يضع ياقة حمراء أرجوانية على زيـه الرسـمى الأصفر. وإلـى الأمـام كـانت هناك حافلة كبيرة يعلوها علم أرجوانى.

مع انبعاث أم الفتاة واقفة، وقد أطبقت يدها علـى أعلـى كيس ورقـى يضـم بعـض الحلـوى، حادثت سائق الحافلة، الذى كان يحكم ربط حذائه بشكل منسق.

- هكذا فإن دورك اليوم. أليس كذلك؟ لو أنك مضيت بها إلى هناك، أيها السيد، شـكرا لـك، فمن المحتمل أن يصادفها الحظ الطيب. إنها إشارة إلى أن أمرا طيبا سيحدث.

تطلع السائق إلى الفتاة الواقفة بجوارها، ولزم الصمت.

- يمكننـا مواصلـة تـأجيل الأمـر إلـى الأبـد ... وفضـلا عـن ذلـك فـإن الشـتاء يوشـك علـى الحلول، ولسوف يكون من العار إرسالها بعيدا فى هذا البرد. ولذا فما دمنا سوف نرسلها علـى أى حال، فقد حدثت نفسى بأننا نحسن صنعا إذا أرسلناها والطقس لا يزال جيدا، لقـد قـررت مرافقتهـا إلى هناك.

أومأ السائق، فى صمت، ثم سار كأنه جندى إلى الحافلة، ورتب الحشية على المقعد.

- أرجو أن تجلسا فى المقعد الأمامى، ياسـيدتى، فمقدمـة الحافلـة لا تهـتز كثـيرا، وأمامكمـا رحلة طويلة.

كانت المرأة فى طريقها إلـى قريـة تقـع علـى خـط السكك الحديديـة، علـى بعـد خمسـة وثلاثين ميلا إلى الشمال لتبيع طفلتها.

مع تقلقل الفتاة فى موضعها علـى امتداد الطريـق الجبلـى، تسمرت عيناهـا علـى كتفـى السائق أمامها مباشرة. وملأ زيه الرسمى الأصفر عينيها كأنه عالم فى حد ذاته. وبدا الجبل أمامها

كأنه ينقسم، ويمر فوق كل كتف من كتفى السائق، فقد كان على الحافلة أن تعبر ممرين جبليين عاليين.

لحقت الحافلة بعربة يجرها حصان، فتنحت العربة جانبا.

- شكرا لك.

قالها السائق بصوت واضح، وهو يحنى رأسه، كطائر نقار الخشب برشاقة، على سبيل التحية.

التقت الحافلة بعربة نقل أخشاب يجرها حصان، فتنحت العربة إلى جانب الطريق:

- شكرا لك.

عربة أثقال واطئة.

- شكرا لك.

ريكشو.

- شكرا لك.

حصان.

- شكرا لك.

على الرغم من أن سائق الحافلة قد مر بثلاثين عربة، فى عشر دقائق، إلا أنه لم يهمل مرة واحدة عبارة الشكر هذه قط. ولو أنه مضى عبر مئة ميل، لما تراجع عن موقفه، كان يشبه شجرة أرز مستقيمة، بسيطة، وطبيعية.

غادرت الحافلة المحطة، بعيد الساعة الثالثة، واضطر السائق لإضاءة المصابيح الأمامية على امتداد الطريق، ولكنه عندما يقابل حصانا كان يطفئ المصباحين الأمامين كليهما.

- شكرا لك.

- شكرا لك.

- شكرا لك.

على امتداد الطريق، الذى يبلغ خمسة وثلاثين ميلا، كان هو سائق الحافلة الذى يحظى بأقصى سمعة بين سائقى العربات التى تجرها الجياد، وعربات نقل الماشية، وراكبى الجياد.

مع نزول الحافلة إلى ميدان القرية الذى لفته عتمة المساء، كان جسم الفتاة يرتجف والشعور بالدوار يستبد بها، كأنما ساقاها تطفوان فوق الماء، فتشبثت بأمها.

قالت الأم لابنتها:

– انتظرى لحظة !

انطلقت عدوا، نحو سائق الحافلة، لتتوسل إليه:

– تقول ابنتى أنها تحبك، وإنى أطلب منك ... أتوسل إليك بيدين ضارعتين. لسوف تصبح غدا ألعوبة رجل لم تقع عيناها عليه من قبل، لذا ... صحيح، حتى فتاة من طبقة راقية بالمدينة يمكن أن يحدث لها هذا ... طيب، لو أنها ركبت الحافلة معلك عشرة أميال فحسب....

فى فجر اليوم التالى، غادر سائق الحافلة النزل الرخيص، وعبر الميدان كجندى . أقبلت الأم والابنة مسرعتين فى أعقابه. أخرجت الحافلة الحمراء من المرأب، ووقفت بانتظار مقدم أول قطار.

استقلتها الفتاة أولا، ورتبت مقعد السائق الجلدى الأسود، وهى تزم شفتيها. ضمت الأم ردنى ردائها معا اتقاء لبرد الصباح.

– وهكذا يفترض، الآن، أن أصحبها إلى الدار مجددا، صرخت فى وجهى هذا الصباح، وأتت تكيل اللوم لى... كان تعاطفى معها غلطة. إننى أصحبها للدار. لا بأس بذلك؟ ولكن إلى أن يحل الربيع فحسب. سيكون أمرا مثيرا للإشفاق أن نرسلها بعيدا مع قدوم الفصل البارد. بوسعى تدبر الأمر. ولكن عندما يتحسن الطقس، لن أتمكن من إبقائها فى الدار.

ترجل ثلاثة رجال من القطار، ليستقلوا الحافلة.

رتب السائق حشية المقعد. تسمرت عينا الفتاة على الكتفين الدافئتين أمامها. تدفق نسيم الصباح على هاتين الكتفين الدافئتين.

لحقت الحافلة بعربة يجرها حصان، فتنحت العربة جانبا.

– شكرا لك.

عربة لنقل الماشية.

– شكرا لك.

جواد.

– شكرا لك.

– شكرا لك.

– شكرا لك.

- شكرا لك.

عاد السائق، وقد أفعمت نفسه عرفانا، عبر الجبال والحقول الممتدة خمسة وثلاثين ميلا، إلى المدينة ذات المرفأ، الواقعة على طرف شبه الجزيرة.

كان هذا عاما طيبا لثمار البرسيون. وبدا الخريف في الجبال جميلا.

(١٩٢٥)

سارقة التوت الفضى

للريح زفيفها ،

وهى تعصف فى الخريف.

فى طريقها إلى الدار، عائدة من المدرسة، مضت فتاة صغيرة تغنى على الطريق الجبلى. اتشحت شجرة الليلك، بألوانها الخريفية. وفى الطابق الثانى من النزل الذى أثقل عليه مرور المواسم، بدت النوافذ مفتوحة على سعتها، وكأنها لا صلة لها برياح الخريف، ولاحت من الشارع جلية، أكتاف بعض العمال، وهم يلعبون الورق فى هدوء.

جلس ساعى البريد القرفصاء فى الشرفة، وعكف على إعادة إصبع قدمه الكبير إلى جورب عمله الممزق، ذى الأرضية المطاطية. كان ينتظر عودة المرأة التى تسلمت طردا.

- إنه ذلك الكيمونو. أليس كذلك؟

- بلى . إنه هو.

-حسبت أن الأوان قد آن للحصول على ملابسك الخريفية.

- كف عن هذا الآن ! الأمر يبدو كما لو أنك تعرف كل ما يمكن معرفته عنى ...

كانت المرأة قد بدلت ثيابها، فارتدت الكيمونو ذا الخطوط الطولية الذى أخرجته من الطرد ذى الورق بترولى اللون. جلست على أرضية الشرفة، ومضت فى فرد الطيات المتجعدة فى حجرها.

- طيب، ذلك يرجع إلى أننى أقرأ كل الرسائل التى تصلك وكل الرسائل التى تبعثين بها.

- هل تعتقد أننى أذكر الحقيقة فى شئ مثل رسالة؟ لن يحدث هذا وأنا أقوم بهذا العمل.

- لست على شاكلتك. فأنا لاأتخذ من الأكاذيب مهنة لى.

- هل هناك رسائل لى اليوم.

- لا.

- ولا حتى رسائل من دون طوابع بريد؟

- لا ، قلت لك.

– لم تنظر إلى على هذا النحو؟ لقد وفرت عليك الكثير من المال. عندما تصبح مشرف بريد ، يمكنك وضع لائحة تفيد أن الرسائل العاطفية لا تحتاج إلى وضع طوابع بريد عليها. ولكنك لا تستطيع ذلك الآن. تكتب لى رسائل عاطفية بلا مذاق كمربى الفاصوليا القديمة، ثم تسلمها لى من دون لصق طوابع عليها، لأنك ساعى بريد. عليك بدفع غرامة عن ذلك. أريد ثمن تلك الطوابع، فلم تعد لدى قطع نقدية صغيرة.

– لاتتحدثى بصوت عال هكذا !

– سأتوقف عندما تدفع لى الغرامة.

– أحسب أنه ليس بمقدورى الخلاص من هذه الورطة.

التقط ساعى البريد قطعة نقود فضية من جيبه، وألقى بها على خشب الشرفة، ثم اجتذب حافظة نقوده الجلدية نحوه من حزامها الجلدى الذى يلف حولها، انبعث واقفا، وتمطى.

هبط أحد العمال الدرج محدثا صوتا قويا، وقد ارتدى ملابسه الداخلية. وبتعبير جاد على ملامحه، كذلك الذى يمكن أن يرتسم على محيا رب؛ رب غاف ضاق ذرعا بكل خلقه من البشر، قال:

– سمعت قطعة نقدية تسقط ! أعطنى إياها يا أختاه لقد اقترضت منى خمسين سينا.

– لن أفعل ذلك؛ فهى نقود حلواى.

التقطت القطعة النقدية، ببراعة، ودستها فى الأوبى(٣) الذى تزنرت به.

مر طفل غير بعيد، مدحرجا طوقا معدنيا، يند عنه صوت الخريف.

مضت ابنة الفحام تهبط الجبل، وهى تحمل غرارة فحم على كاهلها. وشأن "موموتارو" وهو يعود من رحلة إخضاع جزيرة شيطانية فى الحكايات الخرافية، أمسكت بفرع كبير من شجرة توت فضى حملته فوق كتفها. بدت ثمار التوت القرمزية ناضجة على نحو رائع، كأنما الوريقات الخضراء نمت على فرع من المرجان.

كانت تنطلق، بغرارة فحمها النباتى، وفرعها من التوت الفضى، إلى الطبيب للإعراب له عن شكرها.

كانت قد سألت أباها، الذى رقد فى فراش المرض، وهى تغادر كوخ الفحام:

– هل فى غرارة الفحم الكفاية؟

– قولى له إنك ليس لديك ما تعطيه غيرها !

- لو أنه كان فحما قمت أنت بإحراقه لكان كل شئ على مايرام، ولكننى أخجل من إعطاء فحم أحرقته بنفسى. هل ينبغى الانتظار إلى أن تسترد صحتك مجددا وتعد بعض الفحم.

- اجمعى بعض ثمار البرسيمون من الجبل !

- سأقوم بذلك إذن.

ولكن قبل أن تستطيع الفتاة سرقة بعض ثمار البرسيمون، وصلت إلى موضع كانت به بعض حقول الأرز. نحت حمرة ثمار التوت الحمراء المتوهجة على الطريق الهضبى المرتفع، عن ناظريها كآبة الاضطرار إلى السرقة. مدت يدها إلى غصن، فانثنى، من دون أن ينكسر. وبذراعيها كلتيهما اجتذبت الغصن ليتدلى من الشجرة. فجأة انكسر الغصن الكبير منفصلا عن جزع الشجرة، فسقطت على ظهرها.

مضت تبتسم، وتبتسم، وهى تلقى ثمار التوت الفضى فى فمها، وهبطت إلى القرية. أحست بأن لسانها خشن ومتغضن. كانت بعض التلميذات فى طريقهن إلى بيوتهن، عائدات من المدرسة.

- اعطنى !

- اعطنى!

ابتسمت الفتاة ابتسامة عريضة، وفى صمت مدت الغصن، الذى يشبه المرجان. انتزعت التلميذات الخمس أو الست، حفنه من ثمار التوت لكل منهن.

دخلت الفتاة القرية. كانت المرأة فى شرفة النزل الصغير.

- أوه، ما أجملها ! إنها ثمار توت فضى. أليس كذلك؟ إلى أين تمضين بها؟

- إلى دار الطبيب.

- هل كانت عائلتك هى التى جاءت إلى هنا لإرسال محفة جبلية للطبيب مؤخرا. إنها أجمل من قطع الحلوى الحمراء. هل لى فى الحصول على إحداها؟

- أجل.

- الغصن وكل شئ؟

- نعم.

كان كيمونو المرأة الحريرى الجديد قد أذهل الفتاة. احمرت وجنتاها، ومضت بعيدا مسرعة. وذهلت المرأة، وهى تتطلع إلى غصن ثمار التوت الفضية، الذى امتد لما يزيد عن مثلى حجرها. دست ثمرة توت فى فمها، وأعادت طزاجتها اللازعة الباردة إلى ذهنها قريتها، التى لم تعد حتى أمها، التى أرسلت إليها الكيمونو الذى ترتديه، تقيم فيها.

مر طفل غير بعيد، وهو يدحرج طوقا، يحدث صوتا خريفيا.

أخرجت المرأة القطعة الفضية من الأوبى، الذى تتزنر به، وراء غصن التوت المرجانى، ولفتها فى لفافة ورقية، وجلست فى هدوء، تنتظر مرور ابنة الفحام فى طريق عودتها.

فى الطريق إلى الدار، عائدة من المدرسة، مضت فتاة صغيرة تغنى على الطريق الجبلى :

للريح زفيفها ،

وهى تعصف فى الخريف.

(١٩٢٥)

حـــذاء صيفى

أغفت أربع أو خمس عجائز فى عربة يجرها حصان، وهن يثرثن عن كيف أن هذا الشتاء كان جيدا بالنسبة لثمار البرتقال. سار الحصان خببا، ملوحا بذيله، كأنه يحاول مسايرة النوارس المحلقة فوق البحر.

كان السائق "كانزو" يحب حصانه، وهو الشخص الوحيد على هذا الطريق الذى امتلك عربة تقل ثمانية ركاب. كما كان كذلك شديد الحرص على جعل عربته الأكثر نظافة وترتيبا بين كل العربات التى تمضى على الطريق. وعندما كان يقترب من أحد التلال، كان يسرع على الدوام بالنزول من مقعد السائق، حرصا على الحصان. وفى قرارة نفسه كان فخورا بالطريقة الرشيقة التى يمكنه بها القفز من العربة والوثوب إليها. وحتى خلال جلوسه فى مقعد السائق، كان بوسعه أن يحدد متى يتعلق الأطفال بمؤخرة العربة، من خلال الطريقة التى تتأرجح بها، فيثب إلى الأرض سريعا، ويلطم الأطفال على رؤوسهم بأشاجعه. وهكذا فقد اجتذبت هذه العربة أقصى انتباه فى صفوف الأطفال، على امتداد الطريق، ولكنها كانت كذلك العربة الأكثر إفزاعا.

ولكنه عجز اليوم عن الإمساك بالأطفال على الرغم من الجهد الكبير الذى بذله. فهو لم يستطع وضع يده على المعتدين الآثيمين، الذين تدلوا كالقردة من مؤخرة العربة. وعادة، كان يثب خلسة، كالقط، ويدع العربة تمضى مارة به، ويلطم الأطفال على رؤوسهم بأصابعه، ثم يقول متباهيا: أيها البلهاء !

وثب نازلا من العربة مجددا ليتبين جلية الأمر. وكانت تلك هى المرة الثالثة. وكانت هناك فتاة فى الثانية أو الثالثة عشرة تسرع مبتعدة، وقد توردت وجنتاها، وتألقت عيناها، فيما كتفاها تصعدان وتهبطان مع كل نفس تلتقطه. كانت ترتدى فستانا أحمر ورديا، وقد تدلى جورباها حول كاحليها، ولم تكن تنتعل حذاء. حملق فيها "كانزو" مغضبا، فتطلعت بعيدا، باتجاه البحر، ثم أقبلت مسرعة فى أعقاب العربة.

طقطق "كانزو" بلسانه، وعاد إلى مقعد السائق. لم يكن معتادا على جمال نبيل كجمال هذه الفتاة. حسب أنها ربما جاءت للمكوث فى إحدى الدور الصيفية الممتدة على الشاطئ، فخفف من

غلوائه، ولكنه شعر بضيق بالغ لعدم تمكنه من الإمساك بها، على الرغم من ترجله من العربة ثلاث مرات. لقد ركبت الفتاة العربة على امتداد ميل كامل، متدلية من مؤخرتها، فاستبد الضيق بكانزو، بل أنه لطم حصانه المحبوب بالسوط ليجعله يسرع.

دخلت العربة قرية صغيرة، فنفخ "كانزو" فى بوق، وانطلق الحصان يعدو بسرعة أكبر. تطلع "كانزو" إلى الوراء، فرأى الفتاة تركض، وقد انسدل شعرها على كتفها، وتدلى أحد جوربيها من يدها.

بدا، فى لحظة، كأنها وصلت إلى العربة. وفيما "كانزو" يتطلع من خلال الزجاج الواقع خلف السائق، تلقى الانطباع بأن الفتاة جاثمة فى مؤخرة العربة، ولكنه عندما وثب هابطا للمرة الرابعة، ألفى الفتاة تمضى على مبعدة وراء العربة.

– أنت، إلى أين تمضين ؟!

أطرقت الفتاة ولزمت الصمت.

– هل تعتزمين ملازمة العربة حتى المرفأ ؟

ظلت الفتاة على صمتها.

– هل أنت ذاهبة إلى المرفأ ؟

أومأت الفتاة موافقة.

– أنت، قدماك، انظرى إلى قدميك. ألا تدميان؟ إنك عنيدة. ألست كذلك؟

قطب "كانزو" كما هى عادته، وقال:

– سأقلك معى. هلمى إلى داخل العربة. يغدو الثقل كبيرا بالنسبة للحصان، إذا تعلقت بمؤخرة العربة، وركبت هناك، لذا هلمى إلى داخلها، رجاء ! هيا. لست أرغب فى أن يحسبنى الناس غبيا.

فتح باب العربة لها.

فى وقت لاحق، عندما تطلع إلى الوراء من مقعد السائق، رأى الفتاة، وقد جلست ساكنة. من دون أن تحاول حتى إزالة طرف فستانها الذى علق بالباب. وكان تصميمها السابق قد تبدد، وأطرقت برأسها، فى هدوء وخجل.

بلغ المرفأ، الذى كان يقع على بعد ميل. وفى طريق العودة، ظهرت الفتاة نفسها، فجأة، وكأنما من المجهول، ومضت تتبع العربة. وفى إذعان، فتح لها "كانزو" الباب.

- أيها السيد، لست أحب الركوب داخل العربة. لا أريد الركوب بداخلها.

- انظرى إلى الدم على قدميك ! الدم ! جوربك غارق فى الدم.

بعد خمسة أميال على الطريق، اقتربت العربة المسرعة من القرية الأصلية، التى انطلقت منها.

- أيها السيد، أنزلنى هنا !

بينما كان يتطلع إلى جانب الطريق، لمح حذاء أبيض متألقا على العشب الجاف.

- هل تنتعلين حذاء أبيض فى الشتاء كذلك.

- ولكننى جئت إلى هنا فى الصيف.

انتعلت الفتاة الحذاء، من دون أن تتطلع إلى الوراء، وانطلقت شأن بلشون أبيض صاعدة التل الصغير، إلى المدرسة الإصلاحية.

(١٩٢٦)

وجهة نظر طفل

لم تكن أم الشاب، بالفعل، متوقدة الذكاء.

- تحاول أمى إجبارى على الزواج، ولكن لدى شخصا وعدته بالارتباط به فعلا.

كان هذا هو النحو الذى طلبت به "تازوكو" النصح. وبدا أن المرأة التى تصغى إليها توشك على أن تدرك أن الشخص الذى تلقى هذا الوعد بالارتباط به لم يكن إلا ابنها. ومع ذلك فقد مضت المرأة فى الثرثرة من دون تحفظ، كأنما الأمر لا يعنيها. قالت:

- ليس هناك ما تحارين بشأنه، بل أن بمقدورك مغادرة بيتك والزواج بمن تحبين. ولسوف أحذرك من واقع تجربتى . لقد واجهت يوما المشكلة ذاتها التى تواجهينها، ولكننى سلكت الطريق الخطأ، وقد عرفت التعاسة على امتداد ثلاثين عاما، وأحسب أننى قد حطمت حياتى.

حسبت "تازوكو"، خطأ، أنها قد حظيت بحليفة توافق على حبها. فاحمرت وجنتاها، وهى تتحدث:

- إذا كان ذلك صحيحا، ياسيدتى، فهل تعتزمين ترك ابنك "اتشيرو" يتزوج حسبما يشاء؟

- بالطبع.

عادت "تازوكو" إلى دارها، بمعنويات عالية، وتبعها الشاب الذى كان يسترق السمع خلال حديثهما. كتب لها رسالة يحلها فيها من وعده، ويقول فيها: "تزوجى بمن يضغطون عليك للزواج منه" ولكنه لم يستطع، بحكم طبائع الأمور أن يكتب لها مايلى: وتيقنى من أنك ستلدين طفلا جميلا يشبهنى.

(١٩٢٦)

انتحـــار العشاق

وصلت رسالة من زوج المرأة. وكان قد كرهها، وهجرها، منذ عامين. وجاءت الرسالة من أرض نائية.

- لاتدعى الطفلة تلعب بالكرة المطاطية؛ فمبقدورى سماع الصوت، وهو يطعن فؤادى !

انتزعت المرأة الكرة المطاطية من ابنتها، التى كانت فى التاسعة من عمرها.

وصلت رسالة، مرة أخرى من زوجها. وجاءت من مكتب بريد يختلف عن ذلك الذى جاءت منه الرسالة الأولى.

- لا ترسلى الطفلة إلى المدرسة منتعلة حذاء، فمبقدورى سماع الصوت، يدهس فؤادى !

قدمت لابنتها مكان الحذاء، نعلين من اللباد، فبكت الطفلة، وأبت الذهاب إلى المدرسة.

من جديد جاءت رسالة من زوجها. ولم تبعث بالبريد، إلا بعد شهر واحد من إرسال الرسالة التى سبقتها، ولكن خطه بدا، على نحو مفاجئ ، شبيها بخط رجل أوغل فى العمر.

- لاتدعى الطفلة تتناول طعامها من طبق خزفى. فبمقدورى سماع الصوت وهو يحطم فؤادى !

أطعمت المرأة الطفلة بعوديها المخصصيين لتناول الطعام، كأنها طفلة فى الثالثة من عمرها حقا، وكان زوجها يمضى أياما تدخل البهجة على النفس إلى جانبها. مضت الطفلة إلى خزانه الآنية من تلقاء نفسها، وأخرجت طبقها، انتزعته المرأة مسرعة منها، وهشمته على صخرة فى الحديقة، فدوى صوت تحطم فؤاد زوجها. ورفعت المرأة، فجأة، حاجبيها، وهشمت طبقها على الصخرة. ألم يكن هذا هو دوى تحطم فؤاد زوجها؟ ألقت بمائدة الطعام إلى الحديقة. ماذا عن هذا الصوت؟ ألقت ببدنها كله على الحائط، ومضت تلطمه بقبضتيها. دفعت بنفسها بقوة، عبر حاجز تقسيم الغرف الورقى، كأنها رمح، وتهاوت على الجانب الآخر منه. وماذا عن هذا الصوت؟

- أماه، أماه، أماه !

اندفعت الطفلة نحوها، باكية، فصفعتها المرأة. أوه، اصغ لهذا الصوت !

مثل صدى الصوت، جاءت رسالة أخرى من زوج المرأة، وقد ارسلت من مكتب بريد آخر في أرض نائية أخرى.

– لاتحدثي أى صوت آخر على الإطلاق. لاتفتحي الأبواب، والفواصل المنزلقة، ولا تغلقيها ! لا تتنفسي! لا تدعا كلاكما الساعات في الدار تحدث صوتا !

همست المرأة:" لاتحدثي أى صوت آخر على الإطلاق. لاتفتحي الأبواب ولا الفواصل المنزلقة، ولا تغليقيها !" وانهلت دموعها، ولم تحدثا أى صوت، كفتا للأبد عن إصدار أدنى صوت. وبتعبير آخر ماتت الأم والابنة.

ورقد زوج المرأة، وياللغرابة، إلى جوارهما، ومات بدوره.

(١٩٢٦)

ابتهالات العــذارى

- هل رأيته ؟

- رأيته .

- هل رأيته؟

- رأيته.

تجمع القرويون من الجبال والحقول، فى منتصف الطريق، وقد كسا القلق ملامحهم. وكان المشهد رهيبا، إلى حد أن كل هؤلاء القرويون مضوا ينظرون فى الاتجاه نفسه، فى اللحظة عينها، وكأنما بفعل اتفاق سابق بينهم، على الرغم من أنهم كانوا يعملون، متناثرين فى الجبال والحقول، وقد قالوا جميعا إن الرعدة قد أخذتهم، على النحو ذاته.

كانت القرية تقع فى واد دائرى. وهناك تل صغير فى قلبه، وتدفق غدير على امتداده ملتفا حول التل، الذى استقرت فوقه مقبرة القرية.

أطل القرويون من كل الجهات، وقالوا إنهم شاهدوا شاهد قبر يتهاوى من التل، كعفريت أشهب. ولو أن شخصا أو اثنين هما اللذان كانا قد شاهداه، لربما ضحكا، منحيين الأمر جانبا، كأنما خدعتهما عيونهما، ولكنه من المستحيل على هذا العدد الكبير من الناس أن تسيطر عليهم الهلوسة ذاتها، فى الوقت عينه. وقد شاركت مجموعة من القرويين الذين علت أصواتهم، وارتقينا التل لتبين جلية الأمر.

بحثنا، أولا، فى كل بوصة حول سفح التل وجوانبه، ولكن لم يكن هناك شاهد قبر فى أى مكان، ثم ارتقينا التل، وفحصنا المقابر كافة، ولكن كل الشواهد كانت هناك منتصبة يلفها الصمت. ومن جديد راح القرويون يتطلع أحدهم للآخر، فى قلق.

- لقد رأيته. أليس كذلك؟

- بلى.

- لقد رأيته. أليس كذلك؟

- بلى.

هبط القرويون التل وهم يكررون أسئلتهم، كأنهم يهربون من المقبرة، وأجمعوا على أن هذا، يقينا ، نذير بأن طارئ سوء سيحل بالقرية. ومن المؤكد أنه لعنة من الرب، أو من الشيطان. وقرروا أنهم لا بد لهم من الابتهال ؛ لطرد الروح الساعية للانتقام، وتطهير المقبرة.

جمعوا عذارى القرية معا، ثم قبل غروب الشمس أحاطوا بالمجموعة التى تضم خمس عشرة أو ست عشرة من العذارى، وارتقوا التل. ومن الطبيعى أننى كنت وسط القرويين.

عندما اصطفت العذارى وسط المقبرة، وقف عجوز رمادى الشعر أمامهن، وتحدث، فى وقار:

- أيتها الفتيات الطاهرات، اضحكن إلى أن توشك بطونكن على التمزق. اضحكن. اضحكن. اضحكن من هذا الشئ الذى يزعج قريتنا، واطردنه بعيدا !

ثم انفجر العجوز ضاحكا ليقود الجوقة.

انفجرت العذارى الجبليات، المترعات بالصحة، ضاحكات، بصورة متزامنة:

- ها-ها. ها- ها-ها .ها-ها.

غلبنى الصوت القوى، وأغرقنى هذا الضحك، الذى هز الوادى، فأضفت صوتى كذلك:

- ها- ها.

أشعل أحد القرويين النار فى العشب الجاف، فىالمقبرة. أمسكت العذارى ببطونهن، وضحكن وهن يطوحن بجدائلهن، ويتقلبن بضراوة على الأرض. وإلى جوارهن تواثبت ألسنة اللهب كأنها ألسنة هولات مريعة. وعندما جفت دموع العذارى، التى انهلت من جراء الضحك، بدأت عيونهن فى التألق على نحو غريب. ولوأن عواطف الضحك هذه كان من الممكن أن تنضاف إلى عواطف الطيبة، لبدا البشر من القوة بحيث يدمرون الأرض. مضت العذارى يرقصن فى جنون، مفترات عن أسنانهن البيضاء، على نحو ماتفعل الضوارى. أى رقصة غريبة ووحشية كانت تلك الرقصة!

توهجت أفئدة القرويين، كالشمس المضيئة، وهم يضحكون بكل قوتهم. فجأة توقفت عن الضحك، وركعت عند أحد شواهد القبور، والذى أنارته نيران العشب المشتعل.

- إننى طاهر، ياإلهى!

لكن الضحك كان من الارتفاع بحيث أننى لم أستطع سماع صوتى فى قرارة نفسى. ضحك القرويون على نحو متناغم مع العذارى، إلى أن عمت موجة من الضحك التل بأسره.

- ها – ها . ها – ها. ها– ها. ها –ها.

اسقطت إحدى العذارى مشطا، وعرض للدهس، فانكسر والتف "أوبى" إحدى العذارى، الذى كان قد انفك، حول عذراء أخرى، وأسقطها، وامتدت ألسنة اللهب إلى طرفه.

(١٩٢٦)

شتاء وشيك

مضى يلعب لعبة الجو مع كاهن المعبد الجبلى.

قال الكاهن:

– ما الذى حدث لك؟ إنك ضعيف اليوم، كأنك شخص آخر.

– عندما يحل الطقس البارد، فإننى أزوى كالعشب. ولا جدوى منى.

قالها، وساوره شعور بالهزيمة التامة، كأنه لا يستطيع أن يبادل خصمه النظر.

البارحة، كالمعتاد، فى الجناح المنعزل من نزل النبع الحار، وخلال الإصغاء للصوت المتسارع المنبعث من وريقات الشجر المتساقطة، مضى يتحدث معها.

– عندما تبرد قدماى، فإننى فى كل عام أحن إلى الدار، ولا أحلم إلا بها.

– بما أن الشتاء يدنو، فقد بدأت فى التفكير فى أننى لست جديرا بك. لست جديرا بأى امرأة. وهذه الفكرة تزداد قوة.

ولكن كلمات كل منهما لم تكن تبلغ فؤاد الآخر. أضاف، محاولا إيضاح ماقاله:

– عندما يوشك الشتاء على القدوم، فإننى أتفهم الشعور الذى يساور الناس عندما يرغبون فى الابتهال للرب. وهو ليس بالشعور المتواضع، وإنما هو شعور ضعيف. ولو أننى كان بمقدورى أن أركز كل أفكارى على الرب الواحد، وأتلقى بامتنان خبز يومى، فإننى أعتقد أننى سأصبح سعيدا. وسيكون طبقا من عصيدة الأرز شيئا طيبا.

كان يقيمان، بالفعل، مآدب كل يوم. وكل مافى الأمر أنه لم يكن بوسعهما مغادرة هذا النبع الحار الجبلى. ولو أن كل شئ مضى حسبما يرغبان، لربما كانا قد استأجرا لقضاء فصل الصيف الدار التى فقدتها، قبل أربع أو خمس سنوات. ولكنهما، قبل ستة أشهر، ومن دون اكتراث بالعواقب، هربا إلى هذا المكان، وظلا هنا، وكأنهما يحتجبان عن العيون. لم يحر أصحاب النزل الودودون قولا، وتركوهما يمكثان فى الجناح الوحيد المنعزل بالنزل، والذى يضم عرفة واحدة. وقد عجزا عن المغادرة مع عدم وجود مجال أمامهما للكسب. وفى غضون ذلك، كان قد سئم من الشئ المسمى بالأمل. ووصلا إلى الاشتراك فى نزعة قدرية حول كل شئ.

– مارأيك فى دور جديد من اللعب؟ سأشعل النار فى المدفأة الباردة.

بينما كان يحدث نفسه قائلا: "هذه المرة" هوى الكاهن بقوة بحجر فى ركن الرقعة تحت أنفه مباشرة. كان هذا الكاهن الريفى راضيا عن نفسه، لانطلاقه إلى ركن خصمه. كان الأمر مثيرا للحنق، وإذ فقد الضيف اهتمامه، فجأة، أحس بأن كل طاقته تتسرب منه.

– هل تراءى لك البارحة حلم عن نقلة دفاعية؟ إن نقلتى هى القدر.

لكن خصم الكاهن وضع حجره، من دون انتباه، على الرقعة، فأطلق الكاهن ضحكة عالية.

– أنت، أيها الأحمق ! أتهاجم العدو بهذه المهارة التى لم تعرف الاكتمال !

تم غزو ركن الضيف من الرقعة، على نحو مخجل، ومع اقتراب الكاهن من نهاية الحملة، أمسك بزمام المبادرة مرارا وتكرارا. وبينما كان يطارده بلا هوادة فى أرجاء الرقعة، انطفأ النور فجأة.

ضحك الكاهن ، وصاح:

– ما أشد ذهولى! لقد تجاوزت مؤسس المعبد، وجعلته قوتك الغيبية يتوارى خجلا. أحمق! لا شئ! ما أشد ذهولى! لا، حقا، ما أشد ذهولى!

نهض الكاهن ليبحث عن شمعة. وجعل انطفاء الأنوار خصمه ينطلق فى الضحك سعيدا ، للمرة الأولى طوال المساء بأسره.

كان إطلاق عبارات مثل "هل تراءى لك البارحة حلم عن هذه النقلة؟" و "أنت، أيها الأحمق" بمثابة عادة درجا عليها عندما يلعبان لعبة الجو. وهى تضرب جذورها فى الأسطورة التى دارت حول مؤسس المعبد، وهى أسطورة كان الكاهن قد رواها له.

بنى المعبد فى عهد "توكاجاوا". وكان المؤسس من الساموراى، وكان طفله معتوها وقد سخر أحد زعماء قبيلته من الطفل. وإذ بادر الساموراى إلى قتله، فقد عمد إلى قتل طفله كذلك وهرب من الضيعة. وأثناء اختبائه عند هذا النبع الجبلى، تراءى له حلم. وقد جلس، فى الحلم، متأملا تحت، على بعد ميل ونصف الميل، صعدا فى الجبل، من النبع الحار. وبدا ان ابن الزعيم القبلى يثأر لأبيه، ويقطعه بضربة مائلة واحدة من سيفه من الكتف اليسرى.

عندما استيقظ الساموراى من نومه، وجد نفسه غارقا فى العرق البارد. حدث نفسه بقوله: ياله من حلم غريب! لم يكن قد خطر بباله من قبل أن يجلس تحت شلال. وفضلا عن ذلك، فإنه لم يكن من المحتمل أن يجلس هنالك فى هدوء محدقا فى وميض السيف الأشهب الذى يهوى به عدوه الفانى، وكان الأمر الأقل احتمالا هو أنه، هو الذى يفخر بأسلوبه فى القتال بالسيف، على الرغم

من أن هذا الأسلوب مختلف عن ذلك الذى يعلمه مدرب القبيلة المتخصص فى الفنون العسكرية، ستبتره ضربة واحدة من شخص كابن الزعيم القبلى، حتى فى غمار هجوم مفاجئ . غير أن الحلم جعله يشعر بالقلق، وذلك على وجه الدقة لأنه غير قابل للتصديق. أهذا هو مصيره؟ ولئن كان قدره أن يولد طفل معتوه من صلبه، فهل من قدره أيضا أن يضرب بالسيف تحت شلال؟ ألم يتنبأ بقدره فى الحلم؟ أليس هذا هو مايسمى بالتجلى الرؤيوى؟ وعلى هذا النحو اجتذبه الحلم إلى الشلال.

– طيب، إذن ، لسوف أحارب قدرى، وسأجعله يستسلم.

بدأ فى التردد على الشلال كل يوم . وهناك يجلس مستقيم الظهر على صخرة تحت فيض من المياه، وتتوالى عليه أحلام اليقظة. تواصلت فى الورود عليه رؤيا قوامها نصل أشهب مجرد ينقض ليغوص فى كتفه اليسرى قاطعا. لابد لهذا السيف الذى يتراءى له أن يخطئ كتفه وأن يصيب الصخرة بدلا منه. وذات يوم بعد أن استمر هذا التركيز الروحى حوالى الشهر، مس السيف المتألق كتفه مسا، وهوى علىالصخرة. انبعث واقفا، ومضى يرقص قليلا، من فرط الفرح.

حدث الشئ نفسه، بالطبع، فى الوقع، مثلما تراءى فى الحلم، بل أنه عندما جأر ابن الزعيم القبلى بتحديه، ونعته بأنه جبان، جلس هنالك، غارقا فى تأملاته، وقد أغمض عينيه، متواثبا عند تخوم غياب النفس. وفقد نفسه فى تضاعيف هدير الشلال. أغمض عينيه بإحكام، فتراءت له فجأة رؤيا السيف اللامع. هوى ابن الزعيم القبلى بسيفه بكل قوته، وأصاب الصخرة، فسرى الخدر فى يده. وفتح الساموراى عينيه على اتساعهما.

– أنت أيها الأحمق! أتحسب أنك بتعلم كيف تؤرجح سيفك حولك يمكنك أن تذبح أرباب السماء والأرض؟ لقد سعيت، لكى أتجنب قوة السيف، إلى أرواح الساء والأرض. وبالتواصل مع قوة السماء أبعدت سيف القدر بنحو ثلاث بوصات.

– أنت، أيها الأحمق !

بعد أن روى له الكاهن قصة المعبد، كان يهتف بهذه الكلمات، مغتبطا، على سبيل الإغاظة، وكرشه يهتز من جراء الضحك.

عاد الكاهن، حاملا شمعة، لكن الضيف استأذن فى الانصراف. فوضع الكاهن الشمعة داخل قنديل ورقى، وصحبه إلى البوابة الرئيسية. بدا فى الأعالى قمر مؤتلق، بارد. ولم يكن هناك ضوء واحد على الجبل، أو فى الحقول.

قال الضيف متطلعا إلى الجبال:

– المتعة الحقيقية، الصادرة عن ليل ينيره القمر، هى شئ لم نعد نفهمه. وحدهم كبار السن، عندما تحتجب الأضواء هم الذين يمكنهم فهم النشوة الحقة المنبعثة من ليل ينيره سنا القمر.

- الأمر على نحو ما ذكرت.

قالها الكاهن، وهو يتطلع بدوره إلى أعالى الجبال.

- مؤخرا، عندما ارتقيت الجبل، كانت الغزلان تنادى بعضها البعض الآخر، فهذا هو موسم التزاوج.

- وامرأتى؟

هكذا تساءل محدثا نفسه، وهو يمضى هابطا درج المعبد الحجرى، مضيفا:

- ربما كانت ترقد فوق اللحاف، كالمعتاد، وقد أسندت رأسها إلى مرفقها.

فى الأمسيات القليلة الماضية، كانت الخادم قد رتبت الفراش فى وقت مبكر. ولكنه لم يدلف إليه، فقد كان من المشقة أن يرتجف تحت الأغطية. وكان يتمدد فوق اللحاف، ويسحب قدميه إلى داخل الكيمونو المبطن الذى يرتديه، ويريح رأسه على مرفقه. وفى وقت من الأوقات نقلت عادته هذه إليها. وهكذا فى كل ليلة، منذ المساء فصاعدا، يرقدان هنالك متمددين على نحو غامض فوق الفراشين بالطريقة ذاتها، وقد نأت عينا كل منهما عن الآخر.

طفا قوامها عاليا، كرؤيا قدره، وهو يجتاز بوابة المعبد. ترى هل قدر له أن يكون الوحيد الذى يعجز عن جعل قدره يتراجع؟

- انهضى عن هذا الفراش واجلسى مستقيمة !

هكذا أمرها فى قرارة نفسه.

- آه !

مضى القنديل يهتز ، فى ضراوة فى يده.

أحس ببرد الليل يمس جفنيه، بتأثير الشتاء وشيك الحلول.

(١٩٢٦)

زواج تدبره عصفورة دورى

اعتاد، طويلا، على حياة قوامها العزلة والعكوف على الذات وبدأ فى الحنين إلى تكريس نفسه للآخرين. وتجلى له نبل كلمة "تضحية" وأرضاه الشعور بضآلته، باعتباره بذرة وحيدة، هدفها محاولة المضى قدما من الماضى إلى المستقبل بحياة الكائنات التى يطلق عليها البشر، بل أنه تعاطف مع الفكرة القائلة إن الكائنات البشرية جنبا إلى جنب مع الأنواع المختلفة من المعادن والنباتات، لا تعدو أن تكون عمودا صغيرا ساعد فى دعم كيان هائل يضرب فى أرجاء الكون، ومع الفكرة القائلة بأنه ليس أكثر قيمة من الحيوانات والنباتات الأخرى.

– ليكن !

أدارت ابنة عمه الأكبر سنا قطعة نقد فضية على قاعدة المرآة، ثم سطحتها تحت راحتها، وتطلعت إليه، وقد ارتسم الجد على ملامحها. واستقرت نظرته المضناة، المكتئبة، على يدها البيضاء، ثم قال مبتهجا:

– كتابة.

– كتابة؟ ولكن عليك أن تقرر مسبقا، فإذا استقرت العملة على جانب الكتابة هل تتزوج من تلك الفتاة أم لا؟

– دعينا نقل إننى سأتزوجها.

– آه. إنها صورة.

– هل الأمر كذلك .

– أى نوع من الإجابات الحمقاء هى هذه الإجابة؟

أطلقت ابنة عمه ضحكة عالية. ألقت بصورة الفتاة، انبعثت واقفة، وغادرت الغرفة. كانت امرأة كثيرة الضحك. وتردد صوتها الصافى الضاحك طويلا، وأحدث فى نفوس كل رجال الدار نوعا غريبا من الغيرة السمعية.

التقط الصورة، وتطلع إلى الفتاة. سيكون الزواج من هذه الفتاة أمرا جيدا، حسبما حدث نفسه. فإذا كان بمقدوره أن يستشعر هذه الدرجة من العاطفة، فلا بد أنه لاتزال هناك فتيات

كثيرات فى اليابان يمكنه الزواج منهن، حيث يعهدن إلى إخوتهن الأكبر سنا وآبائهن. وحدث نفسه بأن ذلك أمر جميل. أما ماهو قبيح فهو نفسه، التى ضاعت لأنه استيقظ على وعى ذاتى تافه.

- عندما تفكر فى جوهر الأمر ستجد أن اختيار شريك الحياة يشبه اليانصيب، حقا. إنه يشبه اتخاذ قرار من خلال إلقاء قطعة نقد لتسقط على أحد الوجهين.

عندما قالت ابنة عمه هذه الكلمات، شعر بالنشوة، حيال فكرة تسليم قدره لقطعة نقد، تحت راحتها البيضاء. ولكنه عندما أدرك أنها كانت تعابثه فحسب، حول نظرته الموحية بالوحشة إلى البحيرة المصفرة عند حافة الشرفة.

إذا كانت هناك فتاة أخرى يتعين أن تكون زوجتى، فأرنى محياها، منعكسا فى المرآة . قالها متوسلا للبحيرة. وقد اعتقد أنه من الممكن أن يرى عبر الزمان والمكان، فإلى هذا الحد بلغ شعوره بالوحدة.

بينما هو يحدق فى سطح المياه، هوى إلى مجال رؤيته حجرا أسود، حاد الأطراف، ألقاه الرب. وكان عصفوران من نوع الدورى فى لقاء حميم قد سقطا من السقف. رفا بأجنحتهما فى الماء، وانفصلا، وحلق كل منهما فى اتجاهات مختلفة. وقد تفهم هذه اللمحة المتألقة من الرب.

غمغم لنفسه:

- أهكذا يمضى الأمر؟

انتشرت التموجات على سطح الماء، وعادت إلى الهدوء مجددا، فواصل التحديق فى البحيرة. وغدا فؤاده مرآة كسطح الماء الهادئ. وفجأة، انعكست عصفورة دورى وحيدة على نحو واضح هناك. ومضت تغرد وكان معنى أغنيتها:

- أنت يامن ضعت، لن تصدقنى حتى لو أظهرت لك صورة المرأة التى ستغدو زوجتك فى هذا العالم. وهكذا فلسوف أريك صورة زوجتك فى العالم المقبل.

حادث عصفورة الدورى قائلا:

- ياعصفورة الدورى شكرا لك. لو أننى ولدت من جديد كعصفورة دورى وتزوجتك فى العالم المقبل، فإننى سأتزوج هذه الفتاة، إذن فالشخص الذى يرى قدره فى العالم المقبل لن يضل طريقه فى هذا العالم. لقد رتبت، زوجتى الجميلة، الغالية، التى سأتزوجها فى العالم المقبل، زواجا لى فى هذا العالم.

وعندئذ، وبتحية نابعة من قلب صاف للفتاة صاحبة الصورة، استشعر جلال الرب.

(١٩٢٦)

حــــادثة القـــبعة

كان الوقت صيفا. وكل صباح تتفتح زهور اللوتس فى بحيرة "شينو بـازو"، فـى "يوئينـو"، بصوت انطلاقة بالغة الجمال.

وقعت الحادثة، التى نصفها هنا، فى المساء، علـى جسر مشـاهدة القمر، الـذى يمتد عـابرا البحيرة.

أضفى الناس، الذين أقبلوا للاستمتاع بنسيم المساء البارد، طلاوة علـى سياج الجسر، الـذى بدوا عليه كحبات مسبحة. وهب النسيم من الجنوب. وحتـى عندمـا تنسدل ستائر الحـانوت، الـذى تباع فيه المرطبات، رقيقة بلا حراك في البلدة، فإن نسيما رقيقا يهب ها هنا، جاعلا انعكاس القمر فى الماء يشبه سمكة ذات حراشـف ذهبيـة. ومـع ذلـك فـإن النسـيم ليس كافيـا للتلاعـب بوريقـات اللوتس.

كان الزوار المنتظمون، الذين يقبلون للاستمتاع بنسيم المساء، يعرفون الطريق الـذى يسـلكه النسيم. وكانوا يعبرون الجسر مسرعين، ويتجاوزون الحاجز المعدنى، ويقفون علـى الحافـة. وإذا يـنزعون نعـالهم الخشـبية، فـإنهم يضعونهـا متجـاورة، ويجلسـون عليهـا، ثـم يـنزعون قبعـاتهم، ويضعونها على ركبهم، أو إلى جوارهم.

تتناثر أضواء الإعلانات، ممتدة، إلى الطرف الجنوبى للبحيرة:

هوتان

بلوتوس

مياه أوتسو المعدنية

معجون اسنان لايون

يشرع بعض الزوار ممن يبدو أنهم من العمال، فى الحديث.

- شركة هوتان تتمتع بأضخم الحروف بأضواء النيون، فهى شركة عتيقة، وراسخة.

- ذلك هو المتجر الرئيسى هنالك. أليس كذلك؟

- مؤخرا، فقدت الشركات، بما فيها هوتان، جانبا من أعمالها. أليس كذلك؟

- ولكن فى ما يتعلق بذلك النوع من الدواء، فإن هوتان هى الأفضل.

- أهى كذلك ؟

- بالطبع، وشركة جنتان لاتبيع إلا لأنها تقوم بدعاية مكثفة.

- اللعنة.

هكذا هتف شاب على بعد مكانين للجلوس، أو ثلاثة، بينما هو يمسك بقوة حافة الجسر، ويتطلع إلى أسفل. كانت قبعة من القش تطفو على سطح البحيرة.

انبعث الزوار من حوله ضاحكين، فاحمر وجه الرجل، الذى سقطت منه القبعة، خجلا، وشرع فى مغادرة المكان.

- هيه ! أنت! أنت هناك!

قالها رجل بصوت حازم، وأمسك بردن رداء الرجل، الذى سقطت منه القبعة، وأضاف:

- لم لا تلتقط القبعة؟ سيكون هذا أمرا سهلا.

أخذ الرجل الذى أسقط القبعة على غرة. تطلع حوله، ملقيا نظرة على هذا الرجل الناحل، وفى التو اغتصب ابتسامة واهنة، وقال:

- لابأس. بإمكانى شراء قبعة جديدة، وربما كان ذلك أفضل، فى نهاية المطاف.

تساءل الرجل الناحل بصوت حاد، علىنحو غريب:

- كيف ذلك؟

- ما الذى تعنيه بقولك كيف ذلك؟ إنها قبعة عتيقة، تعود للعام الماضى، لذا فقد حان الوقت لقيامى بشراء قبعة جديدة. وفضلا عن ذلك، فقد ابتلت بالماء تماما، والقش يتأثر بالماء على نحو سلبى.

- أليس من الأفضل إذن التقاطها قبل أن يحدث ذلك؟

- لم يكن بمقدورى الوصول إليها، لو أننى حاولت ذلك. لا بأس.

- بمقدورك الوصول إليها، إذا وضعت كلتا يديك على حافة الجسر هكذا، وتدليت منه، فإن بإمكانك الوصول إليها بقدميك.

أبرز الرجل الناحل مؤخرته فوق البحيرة، كأنما سيوضح للرجل كيف يتخذ هذا الوضع. وأضاف:

- سأمسك بإحدى يديك من أعلى.

ضحك الناس من الوضع الذى اتخذه الرجل. ونهض ثلاثة، أو أربعة، واقتربوا من المكان، وحادثوا الرجل الذى أسقط القبعة، قائلين:

- طيب، ينبغى عليك التقاطها، فليس من الخير أن تعتمر بحيرة قبعة.

- ذلك صحيح. يالها من قبعة صغيرة لا تناسب بحيرة كبيرة على هذا النحو! وكم هو عجيب إلقاء لؤلؤة أمام خنزير وقبعات أمام بحيرات! ينبغى عليك التقاطها!

شرع الرجل الذى سقطت منه القبعة فى إبداء مشاعر العداء حيال الجمع الملتف حوله:

- لاجدوى من محاولة التقاطها.

- امض قدما وحاول التقاطها! وإذا لم تكن بحالة جيدة فيمكنك أن تعطيها لأحد الشحاذين.

- لكم أتمنى لو أنها سقطت على رأس أحد الشحاذين أصلا!

بدا الرجل الناحل شديد الجدية، وسط الجميع، وقال:

- لئن واصلت إهدار الوقت، فإن القبعة ستطفر بعيدا.

عندئذ أمسك الرجل الناحل الحاجز بإحدى يديه، ومد الأخرى نحو الماء، قائلا:

- تشبث بهذه اليد !

تحدث الرجل الذى سقطت منه القبعة، وكأنه لا شأن له بها:

- ايفترض أن ألتقط هذه؟

- أجل، يفترض ذلك.

نزع الرجل الذى سقطت منه القبعة نعليه، وشرع فى الاستعداد، قائلا:

- طيب. أمسك بإحكام!

أدهش هذا جمع المتفرجين، إلى حد كبير، حتى أن الضحك توقف، فى التو.

قبض الرجل بيمناه على يد الرجل الناحل ، ووضع يسراه على حافة الجسر، وانزلق بساقيه، متجاوزا الإطار الواقى للجسر، ثم أدلى بساقيه، إلى أن بلغتا الماء، وأمسك بقدميه أعلى القبعة الطافية، ثم أمسك حافتها بأصابع إحدى القدمين. رفع كتفه اليمنى، ووضع مرفقه الأيسر على حافة الجسر، وشد بيده اليمنى بقوة.

فى تلك اللحظة، سقط فى البحيرة، محدثا دويا، وناثرا الماء من حوله، فالرجل الناحل، الذى كان يمسك بيمناه أفلتها، على حين غرة.

- أوه !

- سقط !

- سقط !

تجمع النظارة كافة لكى يتمكنوا من رؤية المشهد على نحو أفضل، ودفعهم أحدهم، فجأة، من الخلف، فسقطوا فى البحيرة بدورهم. وفوق الضجة علت ضحكة الرجل الناحل الصافية المجلجلة.

انطلق الرجل الناحل يعدو عبر الجسر، كأنه كلب أسود، ومضى مسرعا نحو البلدة التى لفها الظلام.

- جرى بعيدا !

- اللعنة !

- أكان نشالا ؟

- أهو مجنون ؟

- أتراه من الشرطة ؟

- إنه "تينجو"(٤) من جبل يوئينو.

- بل هو "كابا"(٥) من بحيرة "شينو بازو".

(١٩٢٦)

سعادة شخص واحد

"أختى الكبرى العزيزة،

لم أكتب لك منذ زمن طويل، وآمل أن تكونى فى صحة طيبة، فلابد أن "كاى" بدورها شديدة البرد فى هذا الوقت من العام. هاهنا، تنخفض درجة الحرارة كل نهار إلى ما يزيد على العشرين درجة تحت الصفر، وقد كسا الصقيع نوافذ الدار كلها. وأنا فى صحة طيبة، لكن شقوقا انفتحت فى يدى، وتعانى قدماى من أوجاع البرد، وحتى المشى يعد صعبا. وهو أمر يمكن توقعه. فى صبيحة كل يوم أنهض فى الساعة الخامسة وأطهو الأرز، وأسخن الماء، وأعد حساء الفاصوليا. ويقدم الإفطار فى السادسة، وعندما ينتهى، أقوم بغسل الأطباق، ولكن ذلك يتم على الدوام بماء يوشك على التجمد. وتبدأ الدراسة بالمدرسة فى الساعة التاسعة، ولكننى فى كل يوم أقوم بالأعمال المنزلية حتى الثامنة والنصف، وأشق الأعمال هى تنظيف البيت من الداخل والخارج ودورة المياه، وللقيام بذلك يتعين على استخدام المياه.

تنتهى الدراسة إما فى الثانية والنصف أو الثالثة، ولكننى إذا لم أعد فى الثالثة عندما تنتهى الدراسة فى الثانية والنصف، أو فى الثالثة والنصف عندما تنتهى فى الثالثة، فإننى أتعرض للتوبيخ لدى تناول طعام العشاء. وعندما أعود إلى الدار، يتعين على، أولا، القيام بأعمال المنزل، وتقطيع الأخشاب الرفيعة، التى تضرم بها النار لتسخين مياه الحمام لليوم التالى. وفى بعض الأحيان، تنثر الريح الجليد فى كل مكان، ولا أستطيع الإبصار لمسافة بوصة أمامى. ويسرى الخدر فى يدى، ويستبد البرد بقدمى إلى حد الوجع، ويتساقط الثلج فى طوق ثوبى، وعندما أرى الدم الدافئ يشخب من تقرحات قدمى تنهل الدموع من عينى. وعندما أفرغ من ذلك كله، يتعين على البدء فى إعداد طعام العشاء، وينتهى تقديمه فى الخامسة، وبعد غسيل الأطباق يتعين على العناية ب "سابورو" إلى أن يغط فى نومه، ولا تبقى لدى لحظة لأداء واجباتى المدرسية.

ثم يتعين على فى أيام الآحاد، أن أغسل قمصانى وسراويلى وأشيائى. وفى بعض الأحيان أغسل جوارب أبى وقفازاته، كل ذلك بالماء البارد، وإذا توافر الوقت، فعلى العناية ب"سابورو". ويوما بعد الآخر أعمل على هذا النحو. والنقود التى أحتاجها للمواد المدرسية أحصل عليها، فى

نهاية المطاف، بعد أن يتم توبيخى عشرين مرة. ولكن هناك أنواعا عديدة أعانى من النقص فيها، ومن هنا فإننى أتعرض للبوبيخ من المدرسين أيضا. ومؤخرا، تراجعت درجاتى، ولدى شعور بأن صحتى غدت أضعف بدورها.

وفى عيد السنة الجديدة هذا بدوره، لم أفعل شيئا إلا أداء الأعمال المنزلية طوال اليوم، ويتكرر هذا كل يوم، ويتناول أبواى الكثير من أطعمتهما المفضلة، ولكن طوال الأيام الثلاثة المواكبة للاحتفالات بالعام الجديد، لم يقدما لى إلا ثمرة يوسفى واحدة. ولست بحاجة إلى إبلاغك بالكيفية التى يجرى عليها الأمر هنا طوال باقى الوقت. وقد حدث شئ فى اليوم الثانى من أيام العام الجديد، فلمجرد أننى أحرقت الأرز ضربت على رأسى بقوة، كما لو كنت أتعرض للضرب بزوج من ملاقط النار. وحتى الآن لاتزال رأسى تؤلمنى على نحو فظيع.

عندما أعود بذهنى إلى الكيفية التى انتزعت بها، عندما كنت فى السادسة من عمرى من جدى وجدتى، قبل أن أعرف مايجرى، على يد أبى الشيطانى هذا وجلبت إلى "منشوريا" الباردة هذه، حيث، أمضيت عشر سنوات من المشقة ، فإننى أتساءل لماذا ولدت لأكون طفلا على هذا القدر من التعاسة. وفى كل يوم أتعرض للضرب بالعصا، كما تضرب حيوانا، أضرب بماسورة طويلة الطرف، على الرغم من أننى لم أقترف شيئا سيئا إلى هذا الحد.

كل ما تسمعينه من أمى لايعدو أن يكون أكاذيب، تحتلقها اختلاقا. ولكن من شهر من الآن ، سأتم دراستى، وسأغادر هذه الدار الفظيعة وأنطلق إلى "أوساكا". سأعمل ساعيا خلال النهار وأدرس بأقصى ما يمكننى من الجد خلال الليل.

أرجو، يا "كاتشيكو"، أن تكونى قوية وبصحة طيبة. أرجو أن تنقلى محبتى إلى جدى وجدتى فى "كومانو". إلى اللقاء !"

بينما مضى يقرأ هذه الرسالة، التى كان قد انتزعها من "كاتشيكو" جلست ساكنة تماما.

– هل يجبرون صبيا على القيام بهذا النوع من العمل؟

– حسبت أنه حتى إرغام رجل على القيام بهذا النوع من العمل ...

ردد ماقالته " إرغام رجل على القيام بهذا النوع من العمل" وضع كل تعاطفه فى الكلمات:

– هل كانت حياتك على هذا النحو، عندما كنت فى "منشوريا"

– كانت أسوأ من ذلك.

للمرة الأولى، تفهم مشاعر "كاتشيكو"، عندما أقبلت، وهى فتاة فى الثالثة عشرة من عمرها، قاطعة الطريق من "منشوريا" إلى "كاى" وحدها. وحتى الآن لم يكن يشعر إلا بالدهشة حيال شجاعة الفتاة.

– ما الذى تعتزمين القيام به.

– لسوف أدخل أخى المدرسة. أيا كان الأمر، سأدخله المدرسة.

– إذن، فعليك أن ترسلى له النقود الضرورية للرحلة، وأن تبلغيه بالقدوم إليك!

– الوقت غير مناسب الآن، فحتى إذا استطاع ركوب قطار، فسوف يتم الإمساك به فى إحدى المحطات على امتداد الطريق، أو من المؤكد أنه سيتم الإمساك به عندما يركب زورق العبور. وأبى يعتزم بيع أخى، عندما يتم دراسته بالمدرسة هذا الربيع. وقد تعرضت للتهديد بهذا كل يوم، حيث كان أبى يقول لى: "سأبيعك! سأبيعك!" وقد فكرت فى أن أبعث بالمال إلى المكان الذى سيباع به أخى لأسترد له حريته.

– لن يجدى هذا بدوره نفعا، فإذا كان هذا المكان فى "منشوريا"، فكيف ستكتشفين موضعه، وما يقوم به أخوك هناك؟

– لامجال لتجنب ذلك؛ فلو أنه تم الإمساك به فى الطريق وأعيد إلى الدار، فقد يتعرض للقتل.

أطرقت "كاتسيكو" برأسها، ومضت تحدق فى الأرض.

كانت "كاتشييكو"، على امتداد عام حتى الآن، قد قامت بتمريضه، وهو يجتاح محنة مرضه. وقد قال العالم إنه هو، الرجل المتزوج، إذا أحب "كاتشيكو" أكثر من هذا، فإنه سيمضى بها إلى كارثة، ولكنه عقد العزم، وحتى إذا أفضى الأمر إلى كارثة، فإنه لاسبيل إلى تجنبه. وعند هذا المنعطف وصلت رسالة أخيها الأصغر، وجعلت الرسلة الرعدة تأخذه، فكيف يجرؤ على جعل كارثة تحل بساحة هذه الفتاة التى هربت بعمرها إلى مكان بعيد ناجية من طفولة أكثر بؤسا من طفولة أخيها؟ وعند هذا الموضع تجمدت مشاعره. غير أنه الآن فى مرحلة النقاهة.

اتخذ القرار، فلسوف يمضى إلى منشوريا، ويبعد الفتى عن زوجة أبيه، ويبعث به إلى المدرسة.

شعر بالسعادة ؛ فلو أنه ساعد أخيها، فإن حياته ستظل متصلة بحياتها، وكان من الجلى أنه بمقدوره أن يجلب السعادة للصبى. وإذا كان بإمكانه، ولو لمرة واحدة طوال عمره، أن يجعل شخصا آخر سعيدا، فإنه بدوره سيكون سعيدا.

(١٩٢٦)

الـــرب مــوجــود

مع اقتراب المساء، جعلته نجمة وحيدة، متألقة كمصباح غـازى على قمـة جبـل، يجفـل. لـم يكن قد سبق له أن شاهد نجمــة بمثـل هـذه الضـخامـة وهـذا القـرب قـط. وإذا تـأثر بوهجهـا، الـذى يخترق العين، وأحس بالبرد، فقد بادر بالعودة هابطا الطريق المرصوف بـالحصى البيضـاء، كأنـه ثعلب يمضى هاربا. وبدا السكون مهيبا إلى حد أنه مامن وريقة تهاوت عن شجرتها.

اندفع إلى الحمام، ووثب إلى النبع الحار. وعندما وضع القماش المبلـل الحـار علـى وجهـه، عندها فحسب، تراجع تأثير النجمة البارد، منحسرا عن وجنته.

- غدا الطقس باردا. هل ستكون هنا مع مقدم العام الجديد؟

عندما تطلع حوله، أدرك أن المتحدث هو مربى الدجاج، الذى تعرف عليه فى النزل.

- لا، إننى أفكر فى عبور الجبال إلى الجنوب.

- الجنوب جميل. كنا فى "يامار مسنامي" حتى ثلاث سنوات أو أربع، مضت، فعندمـا يدنـو الشتاء أرغب على الدوام فى المضى إلى الجنوب.

لم يحاول مربى الدجاج، وهو يتحدث، أن ينظر إليه، ولذا فقد اختلـس نظـرة إلـى تصرفـات مربى الدحاج الغريبة. كان قد ركع على ركبتيه فى الحمام ومد يده إلى أعلى، وعكف على غسـل نهدى زوجته، التى كانت جالسة على حافة المغطس.

دفعت الزوجة الشابة نهديها إلى الأمام، كأنما تمنحهما لزوجها، وأبقت عينيها مثبتتيـن علـى رأسه. وعلى صدرها الململوم، نهد ثدياها قليلا، كأنهما قدحا ساكى. كان مؤشرا لنقائهما الطفولـى. وبسبب صحتها المعتلة، كان لها على الدوام جسم فتاة صغيرة. وقد جعلها هذا الجسم، الـذى يشـبه ساق نبتة لدن، جميلة المحيا، وأقرب شبها إلى الزهرة، حيث يدعم وجهها ويسنده.

- هل ستكون هذه هى المرة الأولى التى تمضى فيها إلى جنوبى الجبال.

- لا، لقد ذهبت هناك، منذ خمس سنوات، أو ست.

- أوه، هل الأمر كذلك؟

أمسك مربى الدجاج بكتف زوجته، وغسل بالصابون المزبد، مبعدا إياه عن صدرها.

- كان هناك رجل عجوز مصاب بالشلل فى مشرب الشاى الموجود بالممر الجبلى. وأتساءل عما إذا كان لا يزال موجودا هناك.

حدث نفسه بأنه قال شيئا سيئا، فقد بدت زوجة مربى الدجاج بدورها مصابة بالشلل فى ذراعيها وساقيها.

- عجوز فى مشرب الشاى؟ أتساءل من عساه يكون؟

التفت مربى الدجاج نحوه، وقالت الزوجة بصورة تبدو عفوالخاطر:

- ذلك العجوز؟ لقد مات منذ ثلاث سنوات أو أربع.

- أوه، هل الأمر كذلك؟

تطلع للمرة الأولى، وجها لوجه، إلى محيا الزوجة، ثم أشاح بوجهه بعيدا، فى التو، وغطى وجهه بالقماش.

حدث نفسه قائلا إنها تلك الفتاة.

أراد أن يحجب نفسه فى السحب المسائية المؤلفة من البخار المنبعث من الحمام، وأحس بالخجل من عريه، فقد كانت هى الفتاة التى أغواها فى "ياما -مينامى" خلال رحلته إلى هناك، قبل خمس سنوات أو ست، وبسببها ظل ضميره يؤرقه، منذ ذلك الحين، ولكن حلما بعيدا ظل يتراءى له حولها، وعلى الرغم من ذلك، فإن اللقاء بها فى حمام هذا النزل كان مصادفة بالغة القسوه. وإذا شعر بأنه يختنق، بادر إلى إبعاد القماش عن وجهه.

خطا مربى الدجاج خارجا من الحمام، وقد كف عن الحديث مع شخص غريب بالفعل عنه، مثله، ومضى ملتفا وراء زوجته.

- هيا اغمرى جسمك فى الماء لمرة واحدة.

أبعدت الزوجة مرفقها الناحل، المدبب، قليلا عن جسمها، فأمسكها مربى الدجاج من تحت إبطها، ورفعها قليلا، وشأن قطة ذكية سحبت ذراعيها وساقيها. داعبت التموجات التى أحدثتها وهى تنغمس فى الماء ذقن الرجل الآخر فى رفق. وبدأ مربى الدجاج، الذى وثب بعدها فى الماء ينثر الماء بمزيد من الإنهاك، على رأسه، الذى أخذ الصلع يشق طريقه إليه.

مضى الرجل الآخر يرقبها، خلسة، فلاحظ أنها قد تجهمت، وأغمضت عينيها بإحكام؛ ربما بسبب البخار الحار الذى يلف جسمها، وتهدل الشعر الغزير، الذى كان قد أدهشه حتى قبل زواجها، منسدلا على نحو موروب، وقد فقد تسريحته، كأنه حلية ثقيلة الوزن.

كان المغطس من الضخامة بحيث يمكن للمرء السباحة فيه. ولم يبد أنها قد لاحظت أنه هو الذى جلس وقد غمر جسمه فى الماء فى أحد الأركان. سعى إلى غفرانها، وكأنه يبتهل لها. وربما كان العجز الذى نالها من جراء المرض راجعا كذلك لخطيئته. كان جسمها كحزن أشهب، يبلغه صراحة ومواجهة، بأنها قد عانت على هذا النحو بسببه.

كانت رقة مربى الدجاج مع زوجته الشابة التى أعجزها المرض، قد أصبحت مثار حديث نزل ينابيع المياه الحارة بأسره. ونظر الجميع إلى سلوك هذا الرجل الأربعينى الذى يحمل زوجته على ظهره إلى الحمام كل يوم باعتباره قصيدة، استمدت وحيها من صحة الزوجة الهشة. وعلى الرغم من ذلك فإن الرجل كان يصحبها، معظم الوقت، إلى حمام القرية ولا يقبل إلى الحما الموجود فى النزل. وهكذا فإنه لم يكن من المدهش أنه لم يعرف أن زوجة مربى الدجاج هى تلك الفتاة.

قام مربى الدجاج، وكأنما نسى أن الرجل الآخر هناك، بمغادرة المغطس قبل زوجته، وفرد ثيابها على درج الحمام. وعندما وضعها جميعها معا، من الملابس الداخلية وحتى المعطف اليابانى، رفع زوجته من الماء. أمسكها من وراء، وكقطة ذكية مرة أخرى، سحبت ذراعيها وساقيها، والتمعت قمتا ركبتيها المستديرتان كالأوبال. وجعلها تجلس على ملابسها رافعا ذقنها بإصبعه الوسطى، جفف زورها، ومشط شعرها المشعث، ثم كأنما هو يطوى البتلات على المدقات العارية، لف زوجته فى ملابسها.

عندما أحكم شد نطاقها. رفعها فى رفق إلى ظهره، وانطلق بها نحو النزل، على امتداد مجرى النهر الجاف. غمر سنا القمر الواهى المجرى، وبدت ساقاها اللتان راحتا، ببياضهما المشع، ترتجفان تحتها، أصغر من ذراعى زوجها اللتين أمسكتا بها فى نصف استدارة مرتبكة.

بينما هو يرقب مربى الدجاج يمضى بعيدا، انهلت الدموع منسابة، فى رقة من عينيه إلى سطح الحمام، وعلى الرغم منه، وبشعور بالتراحم غمغم قائلا:

- الرب موجود.

فهم أن ظنه أنه قد جعلها تعيسة هو خطأ، وأدرك أنه قد أخفق فى معرفة وضعه المناسب ، وتبين له أن البشر لايمكنهم جعل بشر آخرين تعساء، وفهم كذلك أنه كان من الخطأ السعى لنيل صفحها. فهم أنه من الغرور بالنسبة لشخص دمغ نفسه بارتكاب خطأ فى حق آخر أن يسعى وراء

الصفح من الشخص الذى هوى به بارتكاب الخطأ فى حقه. فهم أنه ليس بوسع البشر أن يخطئوا فى حق بشر آخرين.

- رباه. قد حلت الهزيمة بى !

ساوره شعور بأن هذا الصوت المغمغم يحمله، ويمضى به، فأصغى لرقرقة الغدير الجبلى، المنساب فى رفق.

(١٩٢٦)

سمك ذهبى على السقف

كانت هناك مرآة كبيرة عند رأس سرير "تشيوكو".

فى كل ليلة، عندما تدع شعرها ينسدل حرا، وتدفن وجنتيها فى الوسادة، درجت على أن تحدق فى المرآة، فى سكينة وهدوء، فتتراءى لها هناك ثلاثون أو أربعون سمكة ذهبية، من النوع المعروف برأس السبع، كأنها زهور اصطناعية حمراء غمرت فى خزان للماء. وفى بعض الليالى انعكس القمر على صقال المرآة وسط الأسماك.

ولكن القمر لم يتألق على صقال المرآة من خلال الناقذة، وإنما كانت "تشيوكو" ترى انعكاس القمر لدى وقوعه على سطح الماء فى أحواض حديقة السقف. وكانت المرآة ستارا فضيا للوهم. بدا ذهنها وقد وصل إلى مرحلة العجز عن الأداء، كأنه إبرة فونوجراف، من جراء وضوح هذه الرؤى. وإذ شعرت بالعجز عن مغادرة فراشها مضى العمر يتقدم بها، على نحو غير موات. وظل شعرها الفاحم وحده، الذى تهدل على وسادتها البيضاء محتفظا على الدوام بثرائه المترع شبابا.

مضت، ذات ليلة، حشرة من شبكيات الجناح، تزحف بخفة على إطار المرآة المصنوع من خشب الماهوجنى، فوثبت "تشيوكو" ناهضة من الفراش، وطرقت بقوة باب مخدع أبيها:

- أبتاه، أبتاه، أبتاه!

أمسكت بردن رداء أبيها، وقد ابيضت أشاجعها، واندفعت صاعدة إلى حديقة سطح الدار.

كانت إحدى سمكات رأس السبع الذهبية قد نفقت، وطفت فى الماء وبطنها إلى أعلى، وكأنها حامل بمخلوق غريب.

- إننى أسفة يا أبى، هل ستصفح عنى؟ ألن تصفح عنى؟ النوم لا يعرف لى جفنا، وأظل أرعاها ليلا كذلك...

لم يحر أبوها ردا، وإنما مضى يحدق حوله فى أحواض السمك الستة، وكأنما هو يتطلع إلى توابيت بشر.

كان أبوها، بعد عودته من بكين، قد اتخذ أحواض السمك فى حديقة سطح الدار، وبدأ فى تربية الأسماك.

كان قد أقام مع محظية فى بكين وقتا طويلا. وكانت "تشيوكو" هى ابنة تلك المحظية.

كانت "تشيوكو" فى السادسة من عمرها، عندما عادا إلى اليابان. وكان ذلك فى الشتاء. تناثرت موائد ومقاعد من بكين فى أرجاء الغرفة اليابانية العتيقة. واقتعدت أختها غير الشقيقة، التى تكبرها سنا، إحد الكراسى، بينما جلست "تشيوكو" على حصيرة، ومضت تتطلع إليها.

- سأصبح، عما قريب، فردا فى عائلة أخرى، فلا بأس.ولكنك لست ابنة أبى الحقيقية، وإنما جئت إلى هذه الدار، واعتنت بك أمى. لاتنسى ذلك!

عندما أطرقت "تشيوكو" وضعت أختها الكبرى قدميها كليهما على كتفها، ثم رفعت ذقنها بإحدى قدميها، لتجعلها تنظر إلى أعلى. فأمسكت "تشيوكو" بقدمى أختها، وانخرطت فى البكاء. وبينما هى تمسك بهما حركتهما اختها إلى صدر الكيمونو الذى ترتديه "تشيوكو"

- أوه، الجو حار. انزعى جوربى، وأدفئى قدمى.

فى غمار بكائها، نزعت جوربى أختها، وضمت قدميها إلى صدرها.

سرعان ماتم إضفاء الطابع الغربى على الدار. ووضع الأب أحواض الأسماك الذهبية الستة فى حديقة سطح الدار، وظل هناك من الصباح حتى الليل، ودعا الاختصاصيين فى الأسماك من أرجاء البلاد كافة إلى داره، ومضى بالأسماك إلى المعارض، التى تبعد مئتين، أو حتى أربعمئة، من الأميال عن الدار.

بدأت "تشيوكو" بالفعل، فى الاهتمام بالأسماك، وازدادت كآبة يوما بعد الآخر، ولم تفعل شيئا إلا التحديق فيها.

كانت والدة "تشيوكو" الحقيقية قد عادت إلى اليابان واتخذت لها سكنا منفصلا، ولكنها سرعان ما غدت هستيرية. وبعد أن عادت إلى الهدوء تفاقم صمتها وكآبتها. ولم يتغير جمال محياها بأى شكل من الأشكال منذ كانت فى بكين، ولكن بشرتها انقلبت، فجأة، إلى السمرة، على نحو غريب.

كان هناك العديد من الخطاب بين أولئك الذين قدموا إلى دار أبيها وغادروها. وقالت للشباب:

- أرجو أن تحضوا لى بعض طعام السمك، بعض براغيث الماء، لسوف أطعم بعضه للأسماك!

- أين يمكنني العثور عليه.

- ربما يمكنك البحث في أحد الخنادق المليئة بالمياه.

لكنها في كل ليلة مضت تحدق في المرآة، وأوغلت في العمر على نحو كئيب، وبلغت السادسة والعشرين من عمرها.

مات أبوها وعندما فضوا ختم وصيته، وجدوا فيها: "تشيوكو ليست ابنتي"

انطلقت تعدو إلى مخدعها، لتبكي هناك. وعندما ألقت نظرة على المرآة الموجودة عند رأس سريرها، صرخت، واندفعت مسرعة إلى حديقة سطح الدار.

من أين جاءت ؟ ومتى؟ كانت أمها تقف إلى جوارحوض سمك، وقد اربد وجهها، وامتلأ فمها بسمك رأس السبع، وتدلى ذيل إحدى الأسماك كأنه لسان. وعلى الرغم من أن المرأة رأت ابنتها، إلا أنها تجاهلتها، وهي تأكل الأسماك.

- أوه ، أبتاه !

صرخت الفتاة، ولطمت أمها، فهوت على الطوب المزجج، وماتت والأسماك الذهبية في فمها.

وبهذا تحررت "تشيوكو" من أمها وأبيها. واستردت شبابها، وانطلقت في حياة تغمرها السعادة.

(١٩٢٦)

أم

ـ١ـ ذكرات الزوج

الليلة، اتخذت زوجة

عندما عانقتها – ياللطراوة الأنثوية !

كانت أمى امرأة كذلك

بدموع منهدلة، قلت لعروسى:

فلتصبحى امرأة طيبة!

فلتصبحى امرأة طيبة!

لأنى لم أعرف أمى قط.

٢ـ مرض الزوج

كان الطقس دافئا، بحيث يتيح للسنونوات القدوم. وبدت بتلات شجرة الماجنوليا فى حديقة الدار المجاورة، وهى تسقط، كأنها زوارق بيضاء. وراء الباب الزجاجى. مسحت الزوجة جسم زوجها بالكحول. كان ناحلا إلى حد أن الوسخ تجمع فى التجاويف بين ضلوعه.

– إنك تبدو كأنما ... طيب، أنت ومرضك ترغبان فى الإقدام على انتحار عاشقين معا.

– ربما كان الأمر كذلك. وبما أنه مرض رئة، فإن هذا الداء ينخر جسمى وصولا إلى قلبى.

– هذا صحيح، فهذه الجراثيم أقرب إلى قلبك منى، وعندما سقطت مريضا، فإن أول مافعلته هو أنك أصبحت أنانيا على نحو فظيع. وأوصدت، بازدراء، الباب الذى اعتدت من خلاله أن أدلف إلى داخلك. ولئن استعطت السير، فإنك يقينا ستغادرنى وتتخلى عنى.

- هذا راجع إلى أننى لا أرغب فى انتحار ثلاثى يضمنى وإياك والداء.

- سيكون الانتحار الثلاثى أمرا بديعا، فلست أرغب فى التطلع على نحو عرضى فحسب، وإنتما تنتحران. وحتى إذا كانت أمك قد وصلتها عدوى مرض أبيك، فإن عدوى مرضك لن تنتقل إلى، فما حدث للآباء لا يحدث، بالضرورة للابن.

- هذا صحيح. فلم أكن أعلم بأننى سأصاب بالمرض نفسه الذى حل بوالدى إلى أن أصبحت مريضا. ولكننى أصبت بالمرض نفسه.

- لا بأس. اليس كذلك؟ ربما من الأفضل لى أن أصاب به، وعندئذ لن تحاول البقاء بعيدا عنى.

- فكرى فى طفلنا !

- طفلنا - ماذا تقصد؟

- لست تفهمين مشاعرى، لست تفهمينها؛ فأمك لاتزال على قيد الحياة

- ذلك إجحاف بحقى - إجحاف. عندما تحادثنى على هذا النحو، يستبد بى الضيق إلى حد الرغبة فى قتل أمى. أريد أن أبتلع بعض الجراثيم، ولسوف أفعل ذلك، سأفعله.

اندفعت، صارخة، نحو زوجها، متقصدة شفتيه، فأمسك طوق ثوبها بقوة.

- أعطنى الجراثيم! أعطينها!

قالتها الزوجة، وهى تتلوى، فأرغمها على الانبطاح أرضا بما بقى فى عظامه من قوة. جثم فوقها، وبدا الكيمونو الذى ترتديه مفتوحا. بصق دما على نهدها الأبيض الوافر، وتقلب على الأرض.

- لاترضعى الطفل.

٣ ـ مرض الزوجة

- أماه ، أماه، أماه!

- ها أنا ذى، لا أزال حية.

- أماه!

مضى الطفل يرتطم بالحاجز الورقى الفاصل لحجرة المرضى.

- ينبغى ألا تدخليه. ينبغى ألا تدخليه.

- أنت قاس.

أغمضت الزوجة عينيها، كأنما تعلن الاستسلام، وألقت برأسها على الوسادة.

قال زوجها :

- لقد كنت كهذا الطفل، ولم يسمح لى بدخول الحجرة التى رقدت فيها أمى المريضة، ومضيت أبكى خارجها.

قالت الزوجة:

- إنه القدر ذاته.

- قدر؟ حتى لومت، فإننى لا أريد أن تستخدمى كلمة "القدر" هذه؛ فأنا أمقتها.

مضى الطفل يبكى فى أحد أركان الدار. مر الحارس الليلى غير بعيد، محدثا صوتا بمصفقة خشبية. وكان من الممكن سماعه، وهو يكسر الدلات الجليدية عن أنابيب الماء بعمود معدنى.

تساءلت الزوجة:

- إنك لا تتذكر أمك. اليس كذلك؟

- كلا. لست أذكرها.

- كنت فى الثالثة من العمر، عندما ماتت. ألم تكن كذلك؟

- بلى كنت فى الثالثة من عمرى.

- هذا الطفل فى الثالثة من عمره كذلك.

- ولكن بينما كنت أكبر، اعتقدت أن وقتا سيحل فجأة أتذكر فيه محيا أمى.

- أحسب أنك لو كنت رأيت محيا أمك بعد موتها، فإنك كان حريا بك أن تتذكره.

- لا، لست أذكر إلا ارتطامى بالحاجز الفاصل للغرفة، ولو أننى تمكنت من رؤيتها بقدر ما أحب فإننى على يقين من أننى كنت سأتذكر كل ما يتعلق بأمى.

أغمضت زوجته عينيها للحظة، ثم قالت:

- لم يواتنا الحظ، حيث ولدنا فى عصر غياب اليقين، عصر لا يفكر فى الحياة بعد الموت.

- الوقت الراهن هو أتعس الأوقات، بالنسبة للموتى، ولكن من المؤكد أنه سيحل قريبا عصر يسعد فيه الموتى، عصر الحكمة.

– ربما كان الأمر كذلك.

استعادت الزوجة ذكرى كل الأورقات التى سافرت فيها مع زوجها، ثم استمرت كل أنواع الهلاوس الجميلة فى التوالى عليها. أمسكت بيد زوجها، كانما استيقظت من غفوة. وقالت، فى هدوء:

– إننى ... إننى أعتقد أننى محظوظة لأننى تزوجتك. إنك تصدقنى. أليس كذلك؟ تصدق أننى لا أشعر بالضيق حيال انتقال عدو المرض لى .

– أصدقك.

– عندما يكبر هذا الطفل، احرص على تزويجه.

– إننى أتفهم هذا.

– لقد عانيت كثيرا، قبل أن تتزوجينى. أليس كذلك؟ وحسبت أنك ستصاب بالمرض نفسه الذى أصيب والداك به، وأن العدوى سوف تنتقل إلى زوجتك كذلك، وإنك سيكون لك طفل يصبح مريضا بدوره. ولكن زواجنا جعلنى امرأة سعيدة، وأحسب أن هذا يكفينى؛ ولذا فإن عليك ألا تدعه يعرف حزنا لا ضرورة له، أو يعانى ، معتقدا أن الزواج أمر سئ. اسمح له بأن ينال متعة الزواج. هذه هى وصيتى الأخيرة.

ـ ٤ مذكرات الزوج

الليلة، اتحذت زوجة

عندما عانقتها – ياللطراوة الأنثوية!

كانت أمى امرأة كذلك

بدموع منهلة، قلت لعروسى الجديدة:

فلتصبحى امرأة طيبة !

فلتصبحى امرأة طيبة!

لأننى لم أعرف أمى قط.

(١٩٢٦)

أظافـر صباحــية

أقامت فتاة فقيرة فى غرفة مؤجرة بالطابق الثانى من دار متداعية. كانت فـى انتظـار الزواج من خطيبها، ولكن فى كل ليلة، كان رجل مختلف يصعد إلـى غرفتهـا. ولـم تكـن شـمس الصبـاح تشرق على هذه الدار. وغالبا ماعمدت الفتاة إلى غسل الملابس، أمـام البـاب الخلفـى، منتعلـة خفـا خشبيا، رجاليا، باليا.

فى كل ليلة يقول الرجال الشئ ذاته:

- ماهذا؟ أليس لديك ناموسية؟

- آسفة. سأظل ساهرة طوال الليل، أبعد البعوض، أرجو أن تسامحنى!

تعمد الفتـاة، فـى عصبيـة إلـى إضـاءة مصبـاح أخضـر مـن النـوع المخصـص للتعـامل مـع البعوض، تطفئ المصباح العادى. وبينما هى تحدق فى الوهج الصغير، تستعيد ذكريـات طفولتهـا. وتمضـى علـى الـدوام فـى إبعـاد البعـوض بالمروحـة عـن أجسام الرجـال. كـانت تحلـم بتحريـك المروحة.

كان الخريف قد أطلت مطالعه.

أقبل عجوز إلى الغرفة الواقعة بالطابق الثانى، وهو أمر غير مألوف.

- ألن تعلقى ناموسية.

- آسفة. سأظل ساهرة طوال الليل، وأبعد البعوض، أرجو أن تسامحنى!

- أوه، انتظرى لحظة !

قالها العجوز، وهو ينبعث واقفا.

تشبثت به الفتاة، قائلة:

- سأبعد البعوض حتى الصباح. لن أنام على الإطلاق.

- سأعود.

هبط العجوز الدرج. أبقت الفتاة المصباح العادى مضاء. وأضاءت المصباح الأخضر، وإذ جلست وحيدة فى الغرفة المضاءة على نحو متوهج، وجدت أن من المستحيل أن تستعيد ذكريات أيام طفولتها.

عاد العجوز فى غضون ساعة، فانبعثت الفتاة واقفة.

- أنا سعيد، لأن لديك فى السقف كلابات لتعليق الناموسية.

علق العجوز الناموسية البيضاء الجديدة فى الغرفة المتهالكة. دلفت الفتاة إلى داخلها، وبينما هى تمد أطرافها، ازداد خفق قلبها حيال ملمسها المنعش.

- كنت أعلم أنك ستعود؛ ولذا انتظرت من دون إطفاء المصباح، فقد أردت النظر إلى هذه الناموسية الجديدة وقتا أطول فى الضوء.

ولكن الفتاة راحت فى نوم عميق تاقت إليه من شهور، بل إنها لم تعرف متى غادر العجوز الغرفة فى الصباح على وجه الدقة.

- أنت ... أنت!

أفاقت من نومها على صوت خطيبها .

- بعد كل هذا الوقت، يمكننا، أخيرا، الزواج غدا ! .... هذه ناموسية جميلة، ومرآها ذاته يجعلنى أشعر بالانتعاش.

أزاح الناموسية، وهو يتحدث، واجتذب الفتاة من تحتها، ووضعها فوقها، وأضاف :

- اجلسى ها هنا على الناموسية، فهى تبدو كزهرة لوتس عملاقة، وهى تجعل الغرفة تبدو نقية مثلك!

جعلها ملمس الكتان الجديد تحس بأنها عروس جديدة.

- سأقص أظافر قدمى.

جلست على الناموسية البيضاء، التى ملأت الغرفة، وبدأت، فى براءة، تقص أظافرها، التى أهملتها طويلا.

(١٩٢٦)

فتاة سـوروجـا

- أوه، أتمنى لو أننا كنا نقطن حول "جونتبا". المسافة ساعة ونصف الساعة.

كان القطار قد وصل إلى محطة "جونتبا". رفعت الفتاة ركبتيها معا، كالجندب، وداست على أرضية عربة الركاب. مضت، وقد التصق وجهها بالنافذة ترقب مايجرى، بينما زميلاتها فى الصف يلوحن تلويحة الوداع على نحو طفولى. تحدثت كأنها تود أن تهز كتفيها فى ضجر.

فى "جونتبا"، يشعر المرء، فجأة، بالوحدة فى القطار. ومن قاموا برحلة طويلة بالقطار المحلى، وليس بالقطار السريع، سيعرفون هذا. فى السابعة أو الثامنة صباحا، وفى الثانية أو الثالثة من بعد الظهر، يمتلئ القطار بباقات من الزهور. ما أشد مايصبح الجو متألقا وحافلا بالضجيج مع حشد الفتيات اللواتى يذهبن إلى المدرسة ويعدن منها على متن القطارات! وماأقصر هذا الوقت المترع بالحيوية! عند المحطة التالية، التى لاتبعد مسيرة عشر دقائق، لاتعود هناك فتاة واحدة على الإطلاق من بين خمسين فتاة. ومع ذلك ففى رحلاتى بالقطار تلقيت انطباعات بالغة التنوع عن العديد من الفتيات من أماكن مختلفة.

غير أننى فى هذه المرة لم أكن فى رحلة طويلة، وإنما كنت فى طريقى من "إيزو" إلى "طوكيو". كنت فى ذلك الوقت أقيم فى جبال إيزو. ومن إيزو تغير القطار فى "ميشيما" لتمضى على خط "توكايدو". وفى قطارى كان هناك على الدوام وقت للزهور. كانت الفتيات طالبات من مدارس الطالبات فى "ميشيما" و"تومازو" وقد مضيت إلى "طوكيو"، مرة أو مرتين كل شهر، وفى غضون عام ونصف العام وصلت إلى تعرف حوالى عشرين فتاة بمجرد النظر اليهن. وتذكرت مشاعر ذلك الوقت الذى كنت أمضى فيه إلى مدرستى الثانوية مستقلا القطار. وانتهى بى الأمر إلى أن أعرف بصفة عامة، أى عربة من القطار تستقلها هاته الفتيات.

فى هذه المرة، أيضا، كنت فى العربة الثالثة من ناحية آخر القطار. وعندما قالت الفتاة "المسافة ساعة ونصف الساعة" كانت تقصد المسافة بين "نومازو" و"وسوروجا". وقد كانت فتاة من "سوروجا"، ولو أنك ممن مضوا إلى ماوراء "هاكونى" بالقطار لعرفت "سوروجا"، فهى مدينة تلوح فيها العاملات بمصنع النسيج الكبير، الواقع عبر النهر الجبلى بمناديل بيضاء، للقطار من نافذة

المصنع وأراضيه. وربما كانت هذه الفتاة ابنة مهندس أو فنـى يعمل فـى شركة الحرير. وكـانت تستقل، عادة، العربة الثانية من ناحية آخر القطار. وهى تعد أجمل الفتايت وأكثرهن تمتعا بـالروح المعنوية العالية.

ساعة ونصف بالقطار، كل يوم، جيئة وذهابا، ولابد أن المسافة بالغة الطول بالنسبة لها إلـى حد أن جسمها الشاب المترع بالنشاط حل به السأم والقلق. وفضـلا عن ذلك، فقد كـان ذلك فـى الشتاء، ويتعين عليها أن تغادر الدار بينما الظلام لا يزال مرخيا ستائره، وتعود إليها بعـد أن يحل الظلام أيضا. وقد وصل القطار إلى "سوروجا" فى الساعة الخامسة والدقيقة الثامنـة عشرة. ولكن بالنسبة لى كانت هذه الساعة والنصف ساعة وقتا بالغ القصر. كانت وقتـا بـالغ القصـر لمراقبتها، على نحو خفى. من دون التطلع إليها، وهى تثرثر وتخرج كتابا مدرسيا من حقيبتها، وتقوم بالنسج باستخدام الإبر الطويلة أو تداعب صديقاتها الجالسات فـى المقـاعد الأخـرى. ولـدى الوصـول إلـى "جونتبا" لا يبقى من الوقت ما يزيد على ثلث الساعة.

وشأنها، مضيت أرقب الطالبات، وهن يسرن على الرصيف، الذى أنهال عليـه المطـر، إلـى أن احتجبن عن الأنظار. ولما كان هذا الشـهر هـو ديسـمبر، فـإن الأضـواء كـانت تتـألق نديـة فـى الغسق. وعلى الجبال البعيدة طفت ألسنة لهب حريق غابة مترعة بالحيوية والتوهج.

وبجدية، لاتتاسب الحيوية التى أبدتها حتى الآن، شـرعت الفتـاة تحـادث صديقـة لهـا همسـا، فهى ستنهى دراستها الثانوية فى مارس المقبل، وستلتحق بكلية الطالبـات فـى "طوكيـو". وقـد كـان جليا أن هذا هو ما راحتا تتحدثان عنه.

وصلنا إلى "سوروجا". من الآن فصاعدا لن تكون هناك طالبـة واحـدة فـى القطـار. اندفعـت قطرات المطر نحو النافذة التى ألصقت بها وجهى، وأنا أرقبها تمضى مبتعدة.

– أوه، يا آنسة!

ألم تكن هناك فتاة أخرى مضت تعدو إليها عندما ترجلت من القطار وعانقتها؟

– أوه!

– لقد انتظرتك. كان يمكن أن أمضى بقطار الثانية، لكننى أردت رؤيتك قبل ذهابى.

تحـت المظلـة، وفـى غمـار تناسيهما للمطـر، تماسـت وجنتاهمـا، تقريبـا، وراحتـا تتجاذبـان أطراف الحديث مسرعيتن وبمزيد من الانشغال . أطلق القطار صفيره. فسـارعت الفتـاة الأخـرى إلى ركوبه، وأطلت برأسها من النافذة.

– عندما أذهب إلى "طوكيو"، يمكننا أن نلتقى. أرجو أن تحضرى إلى القسم الداخلى بكليتى.

– ليس ذلك بمقدوري.

– أوه، ولم لا ؟

ارتسمت إمارت الحزن ومشاعر الـوداع علـى وجهيهمـا معـا. لا بـد أن الفتـاة الثانيـة كـانت عاملة فى مصنع النسيج. وهاهى تغادر الشركة، وتمضى إلى طوكيو لكنها انتظرت ثلاث سـاعات تقريبا للقاء هذه الطالبة.

– دعينا نتقابل فى المدينة إذن.

– نعم.

– إلى اللقاء.

– إلى اللقاء.

غرقت كتفا فتاة المصنع بتأثير المطر، وربما كان الشئ نفسه قد حدث لكتفى الطالبة.

(١٩٢٧)

يوريـــكـــو

عندما كانت "يوريكو" فى المدرسة الابتدائية، حدثت نفسها قائلـة: "لشـد مايسـاورنى الشـعور بالأسف على "يوميكو"؛ فهى مضطرة لاستخدام قلم رصاص أصغر من إبهامها وتحمل معها حيثما مضت حقيبة كتب شقيقها الأكبر"

هكذا، فقد قررت أن تكون لها الأشياء نفسها التى لأحب صديقاتها، فقطعت قلمها الرصـاص الطويل إلى أقلام عديدة صغيرة بالمنشار الصغير المرتبط بمطواتها. ولما لم يكن لها أخ أكبر منها، فقد توسلت لأبويها، بعين دامعة، أن يبتاعا لها حقيبة مدرسية مما يستخدمه الفتية.

وعندما التحقت بمدرسة الطالبات، حدثت نفسها قائلة: " "ماتسـوكو" شـديدة الجمـال. وعندما تحمر شحمتا أذنيها وأصابعها، وتتشقق من البرد اللازع، فإنها تبدو رائعة الحسن".

وهكذا، فإنها لتغدو كأحب صديقاتها تماما. مضت تغمر يدها لوقت طويل فـى مـاء الغسيل البارد. وإذ تبلل أذنيها، فإنها تنطلق إلى المدرسة فى ريح الصباح الباردة.

عندما أتمت دراستها، وتزوجت، فإنه من المسلم به أنها قد أحبت زوجها إلى حد الانشـغال. وهكذا، فإنها فى غمار تقليدها لأحب شخص فى حياتها، قامت بقـص شـعرها، ووضعت عوينـات غليظة، ورعت الزغب على شفتها العليا، آملة أن يصبح شاربا، ودخنت باستخدام غليون بحـارى، ودرجت على قول "أنت" لزوجها، وسارت بخطى رجل متقافزة، وحاولت الالتحاق بالجيش. ومن المدهش أن زوجها منعها من القيام بكل هذه الأمور، بل أنه أعرب عن شكواه عن قيامهـا بـارتداء ملابس داخلية طويلة مثله. وعلا التجهم وجهه، شـأنه، عندمـا لا تضـع أى أحمـر شـفاه أو ذرور. وهكذا، فإن حبه لها أصبح مكبل اليدين والقدمين. وشأن نبات انتزعت براعمه، مضى يزوى علـى مهل.

حدثت نفسها قائلة: "ياله من شخص كريه! لماذا لايدعنـى أفعل الأشياء نفسـها التـى يقـوم بها؟ الأمر موح بالوحدة الشديدة، عندما أصبح ومن أحبه مختلفين".

تحولت "يوريكو" بحبها إلى الرب. ومضت تبتهل : "ربـاه، فلتتجـل آلاؤك لـى. فلتظهـر لـى شيئا من رضـاك، فإننى أرغب فى أن تكون قدوتى ومثالى وأن أكون على شاكلتك"

تردد من عليين صوت بالغ الجلاء:

- لسوف تصبحين زهرة سوسن مثل مقطع "يورى" فى اسمك. وشأن السوسنة لن تحبى شيئا. شأن السوسنة ستحببن كل شئ.

- نعم.

قالتها "يوريكو"، فى استخذاء، وهى تتحول إلى سوسنة.

(١٩٢٧)

العظـــام

تلقى السيد "كاساهارا سايتشى"، المدير الإدارى لشركة سيارت ترولـلـى الضواحـى، و "تاكامورا توكيجيرو"، الممثل فى الأفلام التاريخية، و "تسـوجار موريـو" الطـالب بكلية الطب فى إحدى الجامعات الخاصة، والسيد "ساكوما بنجى"، صاحب مطعم كانتون – تلقى كل منهم الرسالة نفسها من "يوميكو"، النادلة بمقهى "البلشون الأزرق":

"إننى أرسل لك العظام، عظام وليدى، وليدى الذى عاش يوما ونصف اليوم. ولم يؤت شيئا من القوة، منذ ميلاده. ولم أحر إلا التطلع، بينما الممرضة تمسك به من قدميه، مقلوبا رأسا على عقب، وهى تهزه. وفى نهاية المطاف، انفجر باكيا. بالأمس، عند الظهيرة، تم إبلاغى بأنه تثاءب مرتين، ومات. وماإن ولد الصغير حتى تسرب منه دفق من البول، ومات، فى التو.

لم يشبه صغيرى أحدا، بل أنه لم يكن شبيها بى أدنى الشبه. كان مثل دمية صغيرة جميلة، فحسب. تخيل، لطفا، وليدا له أجمل محيا فى العالم. وليست به علامات يستدل بها عليه، ولا عيوب تذكر فيه، وله وجنتان ممتلئتان، وشفتاه مطبقتان، علاهما خيط رفيع من الدم بعد موته. وبخلاف ذلك لا يمكننى تذكر أى شئ. أشادت به الممرضات، قائلات إنه طفل محبوب للغاية، وله بشرة رقيقة.

إذا كان قدره أن يكون طفلا تعسا، وإذا كان سيغدو طفلا ضعيفا، حتى وإن قدرت له الحياة، فإننى أعتقد أنه من الأفضل أنه مات قبل أن ألقمه ثديى، وقبل أن تند عنه ضحكة واحدة. بكيت حزنا على هذا الطفل الذى ولد من دون أن يشبه أحدا. ألم يقل هذا الوليد لنفسه فى قرارتها الوليدة، بينما كان لا يزال فى الرحم: ليس بإمكانى أن أشبه أحدا ؟ لقد جاء إلى الدنيا بنوعية التفكير البائسة هذه. ألم يغادرها محدثا نفسه: يتعين على أن أموت قبل أن أبدأ فى الاقتراب بالشبه من أحد؟

أنت – لا، من الأفضل أن أقول بوضوح: أنتم جميعا، أنتم جميعا، حتى الآن، حتى وإن كنت قد ضاجعت مئة رجل، ألف رجل، كنتم ستبادرون باكتساب مظهر من لامعرفة له بالأمر وكأنما هذه النوعية من الأشياء لاتزيد أهميتها عن عدد كتل تمهيد الطريق الخشبية. ومع ذلك

فإننى عندما أصبحت حاملا، ياللضجة التى أثرتموها جميعا! أنتم جميعا أيها السادة –إن ذلك أقرب إلى طبائعكم – أقبلتم بمناظيركم الذكورية الضخمة المكبرة لتحدقوا فى أسرار امرأة.

الراهب "هاكوين" – إنها قصة تعود إلى الأيام الخوالى– احتضن بذراعيه طفلا ولدته امرأة عزباء، وقال: "هذا طفلى". ولقد أنقذ الرب طفلى أيضا، قال الرب للجنين فى الرحم، عندما مضى فى حزن يفكر فى من يتعين أن يكون شبيها له: " أيها الصغير الحبيب، فلتكن شبيها بالخير، الذى يتجلى فى الاتى وفى ما أمنحه لعبادى !"

وبسبب تفكير هذا الوليد الذى يجعل القلب ينفطر، لا يمكننى القول أيكم أردت أن يشبه طفلى؛ ولذا فإننى أرسل لكل منكم نصيبا من رماده".

على نحو مختلس، قام المدير الإدارى، الذى دس العلبة الورقية الصغيرة مسرعا فى جيبه، بفتحها داخل السيارة. ولدى وصوله إلى المكتب، استدعى الفتاة الجميلة التى تضرب على الآلة الكاتبة ليملى عليها بعض الرسائل، وقرر أن يدخن سيجارة. وعندما دس يده فى جيبه، خرجت علبة الرماد مع علبة السجائر.

قام صاحب المطعم، الذى تشمم الرماد، بفتح خزائنه وأودعها العلبة مستخرجا إيصالات الأمن لإرسالها إلى المصرف.

كان طالب الطب ينطلق فى رحلة بخط السكك الحديدية الحكومية، عندما سحق علبة الرماد الورقية فى جيبه فخذ طالبة أحمر مورد، كانت حركة القطار قد دفعتها نحوه. وقال محدثا نفسه: "أحسب أننى سأتزوج هذه الفتاة" فقد أثارته انتفاضة شهوة مترعة بالحيوية.

دفع الممثل السينمائى علبة الرماد الورقيه فى حقيبة سرية، يحفظ فيها جلود أسماك القرن ومادة الذبابة الأسبانية المهيجة، وانطلق مسرعا لموعد تصوير فيلم يشارك فيه.

بعد شهر أقبل "كاساهارا" إلى مقهى "البلشون الأزرق" وقال ل "يوميكو": ينبغى أن تدفنى ذلك الرماد فى معبد. لماذا تتشبثين به؟

– من ؟ أنا؟ لقد أعطيتكم جميعا الرماد بكامله. لم يتعين أن يكون لدى، شئ منه؟

(١٩٢٧)

ابتسامة خارج الكشك الليلى

توقفت، فجأة. لا بد أن ساعتين قد مرتا، منذ أحكم "هاكوهين"، وهو مبنى يوصد على الدوام أبوابه فى الوقت عينه فى المساء، إغلاق هـذه الأبـواب. وكنـت قد وقفت، وظهـرى لـه فـى قلـب "يوئينو"، الذى ينبض عادة بالحركة، أمام منصة الألعاب النارية وكشك للبصريات. وقد مضيت أتطلع إلى الحشود المنطلقة على الرصيف من صدر المساء إلى الليل، وبدت لى الحوارى والأزقة الجانبية المتربة، التى عرضها هو المسافة بين مبنى "هاكوهين" والأكشاك الليلية - بدت لى واسعة، على نحو يثير الفضول، بحيث شعرت بالخجل من السير فى منتصفها. وفى كل مرة يمر أحد المارة المتأخرين فى الانصراف عن الوقت المألوف، كان لون التراب المتماسك، المرشوش بالماء يغوص فى ذاته، على نحو أكثر إيغالا فى السواد. كان ذلك فى وقت متأخر من الليل، وانطلقت مبتعدة عربة بائع أوصد متجره. وفى منصة الألعاب النارية اصطفت فى صفوف حمراء قاتمة عصى الألعاب النارية المغلفة، وفاونيا أزوما، والعجلات الزهرية، وأوراق الصنوبر ذات الألوان الثلاثة المغلفة فى علب من الورق الملون. وفى كشك البصريات اصطفت فى صفوف كذلك النظارت العتيقة، النظارت المخصصة لمن يعانون من قصر البصر، النظارت ذات اللون الخفيف، النظارات الاستعراضية ذات الأطر الذهبية (وربما المطلية بالذهب) وذات الأسلاك الفضية والذهبية، والنحاسية والفضية، وذات الأطر المصنوعة من عظام السلاحف، والنظارت الميدانية والواقية من الغبار، والمستخدمة خلال السباحة، والمعظمة، وما إلى ذلك. ولكننى لم أكن مركزا انتباهى على الألعاب النارية ولا على النظارت.

كانت المسافة الفاصلة بين منصة الألعاب النارية وكشك البصريات حوالى ثلاثة أقدام. ولما لم يكن هناك أحد ينظر إلى السلع المعروضة، فقد خرج البائعان من موضعيهما، وبدا أنهما يقومان بشئ ما سويا فى مساحة الأقدام الثلاثة هذه. وإذا كان بائع البصريات قد تحرك قدمين إلى هذه المساحة، وتحركت بائعة الألعاب النارية قدما واحدا، فإن لم يكن راجعا إلا لأن بائعة الألعاب النارية قد نقلت مقعد متجرها بدوره، بينما بائع البصريات ترك مقعده وراءه. ولم يبد أنه يفتقده.

وقفت الرجل على أطراف أصابعه، وقد باعد بين ساقيه قليلا، وضغط بقوة على ركبته اليسرى بمرفقه الذى أسند إليه ثقل جذعه المنحنى، وبخف الفتاة القصير المصنوع من خشب الخيرزان، والذى تدلى من يده اليمنى بين ساقيه، عكف على كتابة حروف على التراب.

مضت الفتاة تقرأ، بمزيد من الانتباه، من إعلى إلى أسفل، عمود الحروف التى عكف الرجل على كتابتها. وكان المقعد الذى جلس عليه خفيضا، وخفاها لهما أسنان ترفعهما، بحيث أن ركبتيها ارتفعتا، وتباعدتا قليلا. تدلت ميدعتها التى تستحدمها فى المتجر بين ساقيها، وانحنت بحيث أن نهديها الصغيرين ضغطا على ركبتيها، وتدلى ذراعاها حولها، وارتاحت كفاها بخفة، وراحتاهما إلى أعلى، على مشطى قدميه. وكان الكيمونو الصيفى الذى ترتديه بزخارفه الفجة مبتلا إلى حد ما، من جراء العرق، وقد تهدل قليلا شعرها الملفوف فى إطار قصة "الخوخة الشقوقة". ولأن نهديها كانا يضغطان على ركبتيها المتباعدتين قليلا، فإن طوق الكيمونو الذى ترتديه تشبث بقفاها، وكشف من الأمام القليل من صدرها.

توقفت غير بعيد عنهما، ومضيت أرقبهما والأرض التى تتوالى كتابة الحروف عليها. وعلى الرغم من أننى كان بمقدورى استيعابهما معا فى مجال بصرى، إلا أننى عجزت عن تبين الحروف، التى مضى الرجل فى كتابتها باستخدام الخف الخشبى. لم يكن الرجل يمحو ما كتب من حروف ليدون حروف جديدة، وإنما يكتب فوقها، وواصل القيام بذلك حرفا بعد الآخر، وعلى الرغم من ذلك فربما كان بمقدور بائعة الألعاب النارية أن تقرأها. وعندما يكتمل معنى ما هنالك على الأرض، فإن الاثنين من دون تفكير فى ذلك المعنى، أو إلمام كلى به، ربما كانا سيرفعان رأسيهما فجأة وينظر أحدهما إلى الآخر. ولكن قبل أن يستطيع أحدهما الابتسام أوقول شئ للآخر، بعيونهما أو بشفاههما، كانت الفتاة تخفض عينيها ويبدأ الرجل الكتابة من جديد. وحظيت الفتاة بالأصابع الرشيقة والخصر الناحل الذى يتمتع به من يولد لعائلة فقيرة فى قلب "طوكيو" العتيق، ولكنها بدا أنها قد سبقت عمرها.

عندما كتب الرجل ثلاثة حروف أو أربعة جديدة، انحنت الفتاة، فجأة، إلى الأمام، مبتعدة عن المقعد. مدت يدها اليسرى التى استندت على مشط قدمها، وحاولت انتزاع الخف من الرجل، لكنه سحب يده فى خفة. تبادلا النظرات، لكن أيا منهما لم يقل شيئا، ولم يبد أى منهما تغيرا فى المشاعر التى ارتسمت على ملامحه. وكان ذلك غريبا. أعادت الفتاة يدها، بلطف، إلى مشط قدمها. وغرس الرجل كعبيه بقوة فى الأرض، وباعد ما بين ركبتيه بشكل أكبر، وبدأ فى كتابة حرف آخر. هذه المرة، وقبل أن يكمل الحرف، أطلقت الفتاة يدها اليسرى كالبرق، لكن يد الرجل كانت أسرع. استسلمت بائعة الألعاب النارية، وسحبت يدها فى لطف مجددا، وبينما كانت تعيد

يدها إلى مشط قدمها، تحولت بوجهها جانبا، فالتقت عيوننا، ولم أكن على استعداد لهذا اللقاء. وبشكل تلقائى منحتنى ابتسامة صغيرة، وبشكل تلقائى منحتها ابتسامة بدورى، فى معرض الرد.

نفذت ابتسامة بائعة الألعاب النارية إلى فؤادى مباشرة. وبينما كنت أرقب أوضاع هذا الثنائى وتصرفاته، اجتذبت الفتاة إلى السطح الابتسامة التى كانت فى فؤادى بكل نقائها. كانت ابتسامة بريئة.

تطلع إلى الرجل، الذى اجتذبه اتجاه نظر الفتاة. منحنى ابتسامة ماكرة، ثم قطب فى التو. فجاة، أحسست كأننى قد تجمدت بردا، فقد رفعت الفتاة، التى احمرت خجلا على نحو ما، يدها إلى شعرها الذى يحمل قصة الخوخة المشقوقة، كأنما لترتبه، فاحتجب محياها وراء ردن الرداء. ووقع هذا كله فى وقت جد قصير، بعد أن مدت الفتاة يدها لتنزع خفها من الرجل. وعلى الرغم من أننى رددت سوء الطوية فى النظرة التى رمقتنى بها، إلا أننى شعرت بالخجل لسرقتى أسرار الآخرين، فمضيت مبتعدا.

يابائع النظارت إن استياءك أمر يمكن تفهمه، وربما لم تعلم هذا، لكن احمرار الفتاة خجلا وقيامها بحجب وجهها بردن ردائها كان بسببك، لأننى سرقت منك ابتسامة صغيرة تبرعمت على نحو خاطف خارج الكشك الليلى. بالطبع، وعلى الرغم من أنكما كنتما تتطلعان أحدكما إلى الآخر، فإنكما كنتما عاكفين على ما تقومان به إلى حد أن وجهيكما تجردا من أى تعبير. وهكذا فإن ابتسامة الفتاة كانت ينبغى أن تمنح لك. ولو أننى لم أكن أتطلع لكما، لربما منحت الفتاة الابتسامة ذاتها فى معرض الرد. غير أنه إذا كنت قد اختلست نظرة ولحظة من ذلك الوقت قبل أن يجئ والد الفتاة أو أخوها الأكبر لاصطحابها، وإذا كانت ابتسامتى البريئة فى تلك اللحظة ابتسامة الفتاة، ألم ترمقنى أنت بنظرة قاسية جنبا إلى جنب مع ابتسامتك الماكرة؟ وإذا كان لى أن أستخدم تعبيرا مستمدا من مهنتك، فإن نظارة فؤادك مضببة قليلا وبؤرتها ليست دقيقة، لكن هناك مساء الغد والمساء الذى يليه، فاكتب ألوفا ومئات الألوف من الحروف على التراب إلى أن تصل إلى قلب الأرض!

يافتاة الألعاب النارية ! أيتها العسراء! بالنسبة لك، ربما كان الأمر سواء، ولكننى أحس بالقلق حيال أنه فيما تحدقين فى البئر التى يحفرها تاجر النظارات بكتابة ألوف ومئات الملايين من الحروف، قد تصابين بنوبة دوار وتسقطين فى تلك البئر، وليس بمقدورى القول بما إذا كان من الأفضل أن تسقطى فى مثل هذه البئر أو أن تحذرى من السقوط فيها. ربما كان من الخير لك أن تمضى وراء العربة التى يمضى بها أبوك أو أخوك الأكبر، والتى أقبل بها من أجلك، وأن تفكرى فى تاجر النظارات وأنت تمضين عبر طرق الحى المهجورة... ولكن كيف سيكون الأمر لو أنك

أطلقت فى التو كل الألعاب النارية المصطفة فى الكشك الذى تعملين به - فاوانيا أزوما والعجلات الزهرية والألغام البرية والثلج والقمر والزهور وأوراق الصنوبر ذات الألوان الثلاثة، جاعلة زهرة من نار تتفتح فى الليل المتشح بالوحدة؟ لئن فعلت ذلك، فإن بائع النظارت، ربما ينتفض، فى دهشة مطلقة، ويلوذ بالهرب.

(١٩٢٧)

الضرير والفتاة

لم تفهم "أو-كايو" السر فى أن رجلا بإمكانه العودة بنفسه، عبر خط السكك الحديدة الحكومية من محطة الضاحية هذه، يحتاج لمن يمضى به، يدا بيد، على امتداد الشارع المستقيم المفضى إلى المحطة. ولكن على الرغم من أنها لم تتفهم السر فى ذلك، إلا أن هذا أصبح، فى وقت من الأوقات، واجبا يتعين عليها القيام به.

- أو-كايو، امضى به، لطفا إلى المحطة !

بعد أن غادرا الدار بقليل، نقل "تامورا" عصاه الطويلة إلى يده اليسرى، وتلمس باحثا عن يد "أو-كايو". وعندما رأت يده تسبح، فى اضطراب، إلى جانب صدرها، تضرج وجهها خجلا، مكتسيا لونا قرمزيا، ولم تستطع إلا أن تمدها إليه.

كان "تامورا" قد قال:

- شكرا لك، إنك لا تزالين فتاة صغيرة.

حدثت نفسها بأنها سيتعين عليها أن تساعده على أن يستقل القطار، ولكن تامورا عندما تلقى تذكرته، ودس قطعة نقود معدنية فى يدها، دخل من بوابة التذاكر مسرعا، معتمدا على نفسه. وشق طريقه، على امتداد القطار، متلمسا إياه بيده على نحو مستمر، عند ارتفاع النافذة، إلى أن بلغ المدخل، حيث بادر فاستقله. اتسمت حركته بالمهارة التى صقلتها الممارسة. وأحست "أو-كايو"، التى كانت ترقبه بالارتياح. عندما انطلق القطار، لم تستطع حجب ابتسامة صغيرة ارتسمت على شفتيها. بدا لها أن هناك فضيلة غريبة فى أطراف أصابعة تحدث أثرها، كأن هذه الأصابع عيون مبصرة.

كان هناك كذلك هذا النوع من الأشياء - إلى جوار النافذة، التى ينهل منها سنا الشمس الموغلة فى الرحيل، كانت أختها الكبرى "أو-تويو" تصلح من شأن زينتها التى اضطرب شأنها.

كانت قد قالت لتامورا:

- هل يمكنك رؤية ما ينعكس على صقال هذه المرآة ؟

بدا سوء الطوية الكامن فى هذه الملاحظة واضحا، حتى بالنسبة لأو-كايو. ألم يكن جليا أن صورة "أو-تويو"، التى مضت تصلح من زينتها قد انعكست على صقال المرآة؟

لكن توق "أو-تويو" إلى الإغاظة نبع من عشقها لصورتها على نحو ما انعكست فى صقال المرآة. تردد صوتها، وهو يلف سمع "تامورا"، حاملا الافتراضات الضمنية.

- امرأة بهذا الجمال تسدى إليك صنيعا بكونها على هذا القدر من اللطف معك.

عندما زحف فى صمت إلى جانبها من حيث كان يجلس على الطريقة اليابانية، بدأ يمسد زجاج المرآة بأطراف أصابعه، ثم اجتذب حامل المرآة .

- آه، ما الذى تفعله؟

- هناك غابة منعكسة فى صقالها.

- غابة؟

انزلقت "أو-تويو" على ركبتيها أمام المرآة، كأنما اجتذبتها هذه الأخيرة إليها اجتذابا.

- الشمس الغاربة تتألق عبر الغابة.

تطلعت "أو-تويو"، على نحو متشكك، إلى "تامورا"، بينما مضى يحرك أطراف أصابعه على امتداد سطح المرآة، ثم ضحكت ساخرة، وأعادت حامل المرآة إلى موضعه. ومن جديد عكفت على إصلاح زينتها.

لكن "أو-كايو" أدهشتها الغابة التى فىالمرآة، فتماما على نحو ماقال "تامورا" نفذ من الشمس الغاربة، عبر الغابة، سنا أرجوانى، وتلقت وريقات الشجر الخريفية السنا من ورائها، وتوهجت بشفافية دافئة. كان مساء يعمه السلام على نحو غامر، يقبل فى نهاية يوم خريفى وارف الظلال. ومع ذلك فقد كان الإحساس الذى تثيره الغابة فى المرآة مختلفا تمام الاختلاف عن ذلك الذى تثيره الغابة الحقيقية. ربما لأن الطابع الدخانى الرقيق للضوء، وكأنه ينسل من خلال شاش حريرى لم ينعكس على صقال المرآة، وكانت هناك برودة عميقة صافية تلفه. كان يشبه مشهد فى قاع بحيرة. وعلى الرغم من أن "أو-كايو" كانت معتادة على رؤية الغابة الحقيقة من نوافذ دارها كل يوم، إلا أنها لم تتطلع إليها بمزيد من الانتباه قط. أما وقد وصفها الرجل الضرير فقد بدت وكأنها تراها للمرة الأولى. ترى هل كان بوسع "تامورا" أن يرى تلك الغابة حقا. هكذا راحت تتساءل. أرادت أن تسأله عما إذا كان يعرف الفرق بين الغابة الحقيقية والغابة على نحو ما ترتمى على صقال المرآة. غدت يده، التى تتلمس المرآة، شيئا بالغ الغرابة بالنسبة لها.

وهكذا فإنه عندما أمسك "تامورا" بيدها، عندما كانت توصله إلى المحطة، أفزعتها فجأة . ولكن بما أن ذلك قد تكرر كجزء من واجبها فى كل مرة يجئ تامورا إلى الدار، فقد نسيت خوفها.

- إننا أمام حانوت الفاكهة. أليس كذلك؟

- هل وصلنا إلى مكان متعهد الدفن ؟

- هل متجر السلع الجافة أمامنا؟

بينما هما يمضيان فى الشارع نفسه مرارا وتكرارا، كان "تامورا" غالبا ما يسألها هذا النوع من الأسئلة، من دون أن يكون هازلا كل الهزل، ولا جادا كل الجد. إلى اليمين هناك متجر بائع الطباق، موقف الريكشو، محل الأحذية، متجر الحقائب السلال، الكشك الذى يقدم حساء الفاصوليا الأحمر مع كعكات الأرز، وإلى اليسار عيادة طبيب الأسنان، متجر السوشى، متجر الأدوات والمعدات، متجر أدوات التجميل، وكيل الساكى(٦) وكيل الجوارب اليابانية - وتماما على نحو ماعلمته "أو-كايو"، تذكر الترتيب الدقيق للمتاجر على امتداد كتل المبانى الست او السبع القائمة على جانبى الطريق إلى المحطة. وأصبح من وسائل إزجاء الوقت بالنسبة له أن ينطق بأسماء المحال واحدا بعد الآخر، وهما يمران بها. وهكذا فإنه عندما يبرز جزء بسيط جديد من المشاهد التى ترى على جانب الطريق، مثل افتتاح متجر للخزائن اليابانية أو مطعم على الطريقة الغربية، فإن "أو-كايو" تبادر بإبلاغه به. وحدثت نفسها بأنه قد وقع على هذا النوع الحزين من الألعاب لإلهائها، ووجدت أنه لا يزال من الغريب أنه يعرف الدور على امتداد الطريق تماما كرجل مبصر. لكن اللعبة أصبحت عادة، من دون أن تعرف متى حدث هذا على وجه الدقة.

وعلى الرغم من هذا، فإنه ذات مرة، عندما مرضت أمها وغدت طريحة الفراش، تساءل "تامورا":

- هل هناك زهور اصطناعية اليوم فى نافذة العرض لدى متعهد الدفن؟

أحست "أو-كايو" بأن ماء قد ألقى عليها، فرمقت "تامورا" بنظرة ملؤها الانزعاج.

وفى مرة أخرى قال على نحو عرضى:

- هل عينا أختك الكبرى على هذا القدر من الجمال؟

- نعم . إنهما جميلتان.

- هل هما أجمل من عينى أى شخص آخر.

لم تحر "أو-كايو" ردا.

- هل هما أجمل من عينيك ياكايو تشان؟

- ولكن من أين لك أن تعرف؟

- تقولين من أين لى أن أعرف؟ لقد كان زوج أختك ضريرا. ومنذ وفاته وهى لم تعرف إلا من كف بصرهم. وأمك ضريرة. ومن هنا فإن من الطبيعى أن تصل أختك إلى الاعتقاد بأن عينيها جميلتان على نحو فذ.

ولسبب من الأسباب غارت هذه الكلمات فى أعماق فؤاد "أو-كايو". غالبا ماكانت "أو-تويو" تقول متنهدة، على مسمع من أمها: "إن لعنة العمى تدوم ثلاثة أجيال" وعلى الرغم من أن الطفل نفسه قد لا يكون ضريرا، إلا أنها ساورها الشعور بأنها إذا كانت طفلة، وليس طفلا، فإن من المحتمل أن تصبح زوجة رجل ضرير، وهى نفسها قد تزوجها رجل ضرير، لأن أمها ضريرة، ولم تكن تختلط إلا بالقائمين على أعمال التدليك ممن كف بصرهم، وخشيت احتمال أن يوجد لها زوج ابنة مبصر. وبعد أن مات زوج "أو-تويو"، أمضى رجال عديدون الليل فى الدار، ولكنهم جميعا كانوا من المكفوفين، فالواحد منهم يحادث الآخر فى هذا الشأن. وأصبحت العائلة مثقلة بالشعور بأنها إذا باعت أجسامها لأى رجل لايكون كفيفا، فإنهم سيلقى القبض عليهم فى التو. وبدا الأمر كما لو أن المال الضرورى لإعالة الأم المكفوفة لا بد أن يأتى من مكفوفين.

ذات يوم، أحضر أحد هؤلاء العاملين بالتدليك "تامورا" معه. و"تامورا"، الذى لم يكن من مجموعة العاملين بالتدليك، كان شابا ثريا، قيل إنه منح مدرسة للمكفوفين والصم عدة آلاف من الينات. وفى وقت لاحق جعلت "أو-تويو" منه زبونها الوحيد. وعاملته باعتباره شخصا بالغ الحمق، وكانت تحيط به هالة من الوحدة على الدوام، ويطيب له أن يحادث الأم الضريرة. وفى مثل هذه الأوقات كانت "أو-كايو" تتطلع إليه فى هدوء وبمزيد من الاهتمام.

ماتت أمها من جراء مرضها.

قالت "أو-تويو":

- الآن ، ياكايوكو، نجونا من محنة العمى، وبرئت ساحتنا.

بعد وقت قصير، أقبل الطاهى الذى يعمل فى المطعم الذى يدار على الطراز الغربى، فأجفلت "أو-كايو" فى خوف، من افتقاره كشخص مبصر للتهذيب، ثم حل الوقت الذى افترقت "أو-تويو" فيه عن "تامورا". وللمرة الأخيرة ودعته "أو-كايو" بتوصيله إلى المحطة. عندما انطلق القطار مبتعدا ، استشعرت وحدة، كأنما حياتها قد بلغت نهايتها. استقلت القطار التالى، ومضت ساعية وراء "تامورا". لم تكن تدرى أين يقيم ولكنها ساورها شعور بأنها ستعرف فى أى طريق مضى رجل أمسكت بها يده كل هذا العدد من المرات.

(١٩٢٨)

عندما تبحث الزوجة

من نوافذ قطار السكك الحديدية الحكومية تدفق عبق وريقات الأشجار، مضت المرأة، متشبثة بالنطاق الجلدى، تعطس بصورة متوالية. كانت قدماها قد استقرتا. وقد برزت أصابعها، فى وقفة قوية، وأيا كان الشكل الذى ينظر به المرء إليها، فإنها كانت تبدو متشبثة بموضعها. وبينما هى تمسك بالنطاق الجلدى، تدلت مظلة برتقالية اللون من ذراعها، ورد ردن ردائها إلى الوراء. كشف شعرها، الذى عقص فى شكل كعكة خفيضة، كأنما عقصت بيد واحدة، ومن دون اكتراث، قفاها المزرق، الذى نزع عنه الشعر، بحيث أنها حتى من وراء بدت وكأنها تنظر ساخرة. ولاح "الهورى" الذى ترتديه، والذى تميز بخطوط زمردية، بسيطة ، تبرز من أرضية نيلية قاتمة، بحاجة إلى الغسيل. انحنى جسمها بزاوية باتجاه الجانب الذى مالت فيه المظلة، نتأت عظام وركيها تحت "الهورى". وكان كل ما استطاع القيام به هو ألا يقرع النتوء بأشاجعه.

فى هذا الوضع، مضت المرأة تعطس، رافعة قبضة لامبالية إلى أنفها. وكانت تتثاءب فى الوقت نفسه بعمق بالغ. انفجر "أسادا" ضاحكا؛ فقد بدت المرأة كأنما سقطت من فراشها إلى القطار مباشرة فى هذا الأصيل من شهر مايو. وربما حسبت أن الخضرة اليانعة الممتدة خارج النافذة هى الخضرة اليانعة خارج نافذة غرفة نومها. وبدت المرأة متراخية حتى العظام، ولاحت رياح مايو الخضراء وكأنها تهب من خلال جسمها مباشرة.

جلس "أسادا"، الذى سخرت منه عينا قفا المرأة المجرد من الشعر، قبالتها فى زيه الجامعى الأنيق. وعلى الرغم من أنه عرف أنها زوجة "أندو"، زميله فى المدرسة الذى يكبره سنا، إلا أنها ربما لن تتذكر محياه، وفضلا عن ذلك، فإنه لو عرض عليها مقعده، فلربما صدرت ملاحظة ساخرة، وجعلته يحمر خجلا.

بعد المحطة التالية، كان يجلس قبالة زوجة "أندو". فكر، فجأة، فى أن يحييها، ولكن على الرغم من أنها كانت تدير عينيها فى كل الأرجاء حولها، كأنما دب الذعر إليها، إلا أنها لم يبد عليها أنها ترى شئ. وضعت المظلة القصيرة فى حجرها ثم رفعتها فى خفة إلى إحدى كتفيها،

على نحو مايفعل طفل بلعبة على شكل بندقية. بعد ذلك، ومتناسية كل ما حولها، تثاءبت مرة أخرى بشدة. وربما بسبب كون شفتيها رقيقتين ولدنتين للغاية، فقد كان التثاؤب صادرا عن فم دائرى على نحو مذهل. وبدت أسنانها منتظمة على نحو جميل، بحيث يبدو الأمر كما لو أنها تتثاءب لتظهر أسنانها الجميلة. ولكن السيدة، بلا مبالاة كعهدها، مضت تبعد دموع النعاس بسلسلة من طرفات العين التى كان بمقدور المرء على وجه التقريب، سماع صوتها -باتشى، باتشى، باتشى- ماسحة عينيها الرطبتين بماسحات جفونها، وراحت تعمل، على نحو مزعج، عينيها فيما حولها.

أحس "أسادا" بالرغبة فى الضحك الهادر، أراد أن يفزع المرأة، على نحو ما، حيث بدا عليها أنها نسيت أمورا من نوع الدهشة والخوف، وهكذا فإنها عندما ترجلت من القطار تبعها مسرعا.

– السيدة أندو ، أليس كذلك ؟ إنى أسادا.

– آه، نعم.

– الآن توا، على القطار ...

– أوه، هل كنا نستقله معا؟ لم أرك؟ ما أشد افتقارى للمجاملة!

– لا، على الإطلاق، بل كان الافتقار إليها من جانبى. لقد قابلتك مرة فى منطقة جيمزا مع السيد أندو. وقد تعرفت عليك فورا.

– هل الأمر كذلك؟

– غريب. إنك تبدين تماما مثل شينكيتشى، شقيق أندو الأصغر.

– أوه.

حدث "أسادا" نفسه قائلا: "لقد أثرت دهشتها" وطفت على شفتيه ابتسامة رقيقة.

– إنك تبدين وقد تحولت، تدريجيا ، لتشبهى شنكيتشى.

– إننى أعرف أن لزوجى أخا أصغر منه ، لكننى لم أقابله قط. هل يمكن أن يحدث أمر كهذا؟ هل قابلت هذا الأخ الأصغر مؤخرا؟

– نعم، مرات عديدة.

كانت كذبة كطلقة، فهو لم ير هذا الأخ منذ ثلاث سنوات أو أربع.

فى مكتب أندو، وعلى قمطره، كانت هناك وفرة من الليلك المترف، تشبه ذيل طاووس أبيض. وأعطت رفوف الكتب، التى أسندت إلى الجدار، انطباعا يوحى بأنها خزانة هائلة. على الجدران، وفى مشهد نفذ بأسلوب يابانى بديع، تناثرت وريقات أشجار خريفية منفذة بحبات عرق اللؤلؤ، وبدت الحديقة كتلة من الأزالية الأرجوانية المتقدة لهبا.

جلبت لهما زوجة "أندو"، وهى لا تزال مرتدية ثياب الخروج، بعض الشاى الأسود. وكانت قد سرقت ابتسامة "أسادا".

- يقول السيد أسادا أننى تحولت، تدريجيا، فأصبحت أشبه السيد شنكيتشى.

- ماذا؟

اكتسى "أندو" شحوبا يفوق الليلك. غادرت زوجته الغرفة، وقد ارتسمت على ملامحها أمارات تبدو على من لايعرف شيئا، أو يتظاهر بذلك. وأحس "أسادا" بنظرة "أندو" الحارقة وكأنها تحرق جبينه.

فى الزيارة التالية لدار "أندو"، كانت هناك وردة صفراء وحيدة على قمطر رب الدار. وغدا لون الأزالية قاتما مع تراجعها، كأنه دم هولة مسفوح.

عندما غادر "أندو" الغرفة لبعض الوقت، أقبلت زوجته.

- ياسيد أسادا ! لقد قلت شيئا رهيبا. ومنذ ذلك الحين ساد فى هذه الدار هدوء كالذى يسبق العاصفة.

- العاصفة؟

- نعم.

- إنك تمزحين. أليس كذلك؟

- لئن كان الأمر مضحكا، فإنك لا تبدو مغربا فى الضحك

- لكن ... هذا شئ اختلقته، وقلته على نحو عرضى.

- ذلك كذب.

- أتقولين إنه كذب؟ فى تلك المرة فى القطار، بدا أنك تنظرين إلى باستخفاف، ولذا فكرت فى إعداد مفاجأة لك، لمرة واحدة ....

- ليس أمرا طيبا أن يكون المرء مخادعا. يبدو أن زوجى يصدق ماقلته، ولذا فليس بمقدورى ألا أصدقه. ولست أدرى ما هو شكل السيد شنكيتشى. انظر. فى آخر مرة كنت هنا، عاليا هنالك...

قالتها الزوجة وأشارت إلى لوحة لزهور الخشخاش.

– فى السابق كانت هناك لوحة لأبيه. وما إن غادرت الدار حتى انتزعها زوجى من الجدار. وقد نسيت متى قال لى زوجى، فى أحد المرات، أن أخاه الأصغر شابه أباه أكثر مما شابهه هو. وكانت اللوحة الطبيعية ، التى علقها، تصور حديقة دار، يمكنك منها أن تشاهد المحيط. وهناك مقعد مستطيل إلى جوار حوض زهور. وعندما تطلعت إلى هذه اللوحة ساورنى الشعور بأننى أتذكر هذه الحديقة، بشكل ما، وأننى قد سبق لى الجلوس على هذا المقعد. وحدثت نفسى قائلة: ألا يمكن أن تكون حديقة دار السيد شنكيتشى. كان ذلك هو تصورى الخيالى. وقد أردت أن تشاهد تلك اللوحة. أليس هناك حوض زهور تحيطه مرجة فى حديقى السيد شنكيتشى وألا تتألق فى تمام تفتحها زهور حمراء خفيضة –لست أدرى مانوعها– هناك؟ وربما لأن زوجى قد أدرك شعورى هذا فقد غير اللوحة مجددا ووضع بدلا منها لوحة زهور الخشخاش هذه. والآن، ها أنا أبدأ فى التساؤل عما أذا لم يكن هناك بعض زهور الخشخاش المتفتحة فى دار السيد شنكيتشى.

– لكننى لم ألتق السيد شنكيتشى، منذ أربع سنوات، دعى جانبا أن أمضى إلى داره. أما اختلاق شئ كهذا من قلب نكتة ... إن زهرة الوهم هى التى تتفتح فى تربة ضجر البشر. ركزى مشاعرك على شئ أكثر انعاشا قليلا!

– لا، إنه لغز ولد لتوه.

كان "أسادا" زميلا فى الدراسة بالمدرسة الثانوية لشنكيتشى، وقد غادر هذا الأخير داره عندما تزوج من قريبة ريفية شابة له، كان قد عهد إلى أبويه برعايتها. وكل ماعرفه "أسادا"، علىوجه اليقين، هو أن تلك الفتاة لم تكن خطيبته شقيقه الأكبر، "أندو". وبخلاف ذلك، فإنه لم يدر كيف سارت الأمور.

فى الطقس الخريفى النقى، أمضت والدة "أسادا" الوقت، بشكل متقطع فى العناية بالحديقة. تناثرت ذرات من أجنحة فراشة عتيقة، كالغبار من مصباح كهربائى. وبينما مضى "أسادا" يفكر فى استبعاد البرسيم البرى الموجود فى الركن التزيينى، أقبلت زوجة "أندو" فى زيارة، على نحو غير متوقع، وبصحبتها حاضنة لطفلها.

فى غرفة "أسادا" ، التقطت زوجة أندو الطفل من بين ذراعى الحاضنة. وكان الطفل الذى لف فى الحرير يغط فى نومه.

– أيها السيد أسادا! أريدك أن ترى هذا الطفل. إنه طفلى. انظر إليه، لطفا، وتوصل إلى قرار حول ما إذا كان يشبه السيد شنكيتشى من عدمه.

- ماهذا الذى تقولينه؟

داهمه شعور بالصدمة، فتطلع إلى وجه المرأة. على الرغم من أن وجنتيها لاحتا متهدلتين، إلى حد ما، إلا أن لونها لم يكن ممتقعا، وبدت البشرة عند ركنى عينيها، على نحو غامض، وقد لحق بها ضرر كبير. تجمدت نظرتها المنصبة بتركيز أحادى على الطفل الجاثم فى حجرها.

- لا تنظر إلى! أريدك أن تنظر إلى هذا الطفل.

- سيدتى ! إننى لم أقابل شنكينشى منذ زمن بعيد، و ...

- لاتزال تحاول أن تكون مراوغا ...

- هذا أمر عبثى تماما !

- العاصفة انطلقت هوجاء، فقد طردت من دارى مع طفلى حديث الولادة. ويعتقد زوجى أننى ألتقى السيد شنكينشى سرا، وأن هذا الوليد هو طفله ... على الرغم من الحقيقة المتمثلة فى أننى لم أقابل السيد شينكينشى قط. ولكننى أيضا لدى شعور بأن ما يقوله زوجى صحيح. وربما يشبه هذا الطفل السيد شنكينشى حقا. هل يعنى ذلك أننى أحب السيد شنكينشى؟

- إنه لايشبهه على الإطلاق. ولو أنك كنت تقيمين مع السيد شنكيتشى فمن المحتمل أن يتحول ليصبح شبيها به. ولكن ...

- آه. آه. صمتا! صمتا!

مضت تهدهد الطفل فى أحضانها، وفجأة فاضت دموعها:

- ستكتشف أمك من يكون أبوك الحقيقى. سننطلق سويا بحثا عن أبيك. ياسيد أسادا ، يمكننا أن نتعاون فى هذا. خذنى، لطفا، إلى دار السيد شنكيتشى. أرجوك أن تأخذنى إلى هناك توا!

فى غمار نظرة المرأة الحدقة إلى "أسادا" مباشرة، تذكر "شنكيتشى"، على نحو ماعرفه ذات يوم . وللمرة الأولى أدرك ان كلا من الأم والوليد يشبه شنكيتشى، بالفعل.

(١٩٢٨)

حبة عين أمـها

أقبل طفل صاحب الخان، الذى لا يتجاوز الثالثة من العمر، وقد ارتسم الخوف على محياه، وأوشك على السقوط، عدوا إلى غرفتى. انتزع قلمى فى مقلمتـه الفضيـة مـن فـوق قمطـرى، ولاذ بالهرب، من دون أن تند عنه كلمة واحدة.

بعد قليل أقبلت الخادمة، وقالت:

- لا بد أن هذا القلم لك.

- نعم. هو قلمى، لكننى منحته للطفل الذى كان هنا.

- لكنه كان بحوذة الخاضنة.

- لابد أنها أبعدته عن الطفل، وكان ينبغى عليها أن تدعه يحتفظ به.

ابتسمت الخادمة؛ فقد تبين أن القلم قد عثر عليـه فـى أسـفل صـنـدوق الحاضـنـة الخـيزرانى. وكـان الصـنـدوق مليئـا بـالأغراض المسـروقة. كـان هنـاك بطاقـة أحد الـنزلاء، الملابـس الداخليـة الطويلة لإحدى المالكات العقاريات والمشط الخشبى الذى كان لإحدى الخادمات وحلية على شـكل أنشوطة وخمس ورقات نقدية أو ست.

بعدأسبوعين، قالت لى الخادمة:

- لم يقع شئ محرج على هذا النحو من قبل قط. هذه الفتاة فضيحة حلت بنا.

كان ميل الحاضنة المرضى إلى السـرقة قـد واصـل التفـاقم بـالفعل، فقد قـامت نقـدا بشـراء مقاطع بكاملها من القماش طول كل منهـا ٤٠ يـاردة، مقطعـا إثـر الآخـر. وكـان ذلـك أمـرا بـاهظ التكلفة بالنسبة لامرأة من طبقتها، من متجر القرية. وقد بعث المتجر، سرا بكلمـة فـى هذا الصـدد إلى النزل. وبناء على طلب المالكة، قامت الخادمة بالتحقيق مع الفتاة.

- إذا كنت ستتحدثين على ذلك النحو فسوف أمضى إلى السيدة وأحدثها بجلية الأمر بنفسى.

قالتها الفتاة، واندفعت خارجة من الغرفة.

- بدا الأمر كأنها كما لو أنها تقول: لن أعترف لخادمة مثلك فحسب.

وفقا لما روته الخادمة، فإن الحاضنة جلست أمام المالكة، وفى براءة أمالت رأسها، وأعلنت الأغراض، واحدا إثر الآخر، مع تذكرها لها. راكمت معا ما أخذته من النزلاء ومن مكتب الاستقبال، فبلغت قيمته حوالى مئة وخمسين ينا.

- قالت إنها أعدت لنفسها ثلاثة كيمونوات أو أربعة ومعطفا يابانيا. وبعد ذلك بعثت أمها إلى المستشفى فى سيارة.

عندما صحبها الكاتب الأول إلى دار أبويها. استقبلاها من دون مؤشر محدد للاستياء.

بعد ذهاب الحاضنة الجميلة بوقت قصير، غادرت النزل. ووراء العربة التى يجرها حصان أقبلت سيارة مسرعة للحاق بنا، كأنها تشق الطريق نشرا وسط الغابات الخضراء، فأفسحت العربة ذات الحصان الطريق لها. وتوقفت السيارة فجأة إلى جوارها، وترجلت منها الحاضنة مسرعة، وأطلقت صيحة ابتهاج، وهى تندفع إلى العربة.

- إنى سعيدة للقائك. وأنا ماضية مع أمى للطبيب فى المدينة، فأمى المسكينة تفقد إبصار إحدى عينيها. لم لا تستقل سيارتنا ؟ سأصحبك إلى المحطة.لا بأس بذلك.

ترجلت من العربة. أى بهجة مشرقة تلك التى ارتسمت على محيا الحاضنة!

فى نافذة السيارة كانت الضمادة التى تغطى عين أمها جلية كبقعة من بياض.

(١٩٢٨)

رعد فى الخريف

أقيم حفل زفافنا فى قاعة بأحد الفنادق وسط عزف ناى خيزرانى على الطراز القديم. كان ذلك فى أوائل الخريف، عندما عادت الفتيات من البحر، ومضين يتهادين فى أرجاء المدينة كمهرات كستنائية. فجأة، التمع البرق فى النافذة، وقصف الرعد، كما لوكان سينفض جمع الحفل، اربد وجه عروسى ذات السبعة عشر ربيعا مكتسيا بلون الرماد، فأغمضت عينيها، وشرعت فى الانحناء كأنها علم مبتل.

– أغلقوا النافذة... أسدلوا الستار!

بعد انتهاء الاحتفال، تحدث حماى:

– ربما كان خوف الفتاة من الرعد لعنة قديمة.

ثم روى هذه القصة التى تتحدث عن ابن بار من مقاطعة تامبا القديمة.

" كان "يوشيدا شيتشيزايمون" من قرية "هاجى"، فى منطقة "أمادا"، بمقاطعة "تامبا"، شديد البر بوالديه إلى حد أن حاكم المنطقة أشاد به، لبره بأبويه، وأعفاه من دفع الضرائب المقررة على الأرض. على أى حال، فإن أم "شيتشيزايمون"، كانت تعانى من خوف بالغ من الرعد، إلى حد أنها كان يغمى عليها حتى لدى سماع قرع الطبول. وهكذا فإنه عندما يدمدم الرعد، فإن "شيتشيزايمون" كان يقبل إلى الدار مسابقا الريح، بغض النظر عن الموضع الذى كان فيه، أو ماكان عاكفا على القيام به. وفى الصيف لم يكن يمضى حتى إلى القرية المجاورة. ولم يكن ذلك كل ماهنالك، وحتى بعد أن ماتت أمه، فإنه كان يعدو إلى المقبرة، ويلف ذراعيه حول شاهد قبرها، عندما يسمع قصف الرعد.

ذات ليلة، وبينما كان "شيشيزايمون" متهالكا على شاهد قبرأمه، معانقا إياه خلال عاصفة، انقضت عليه صاعقة، فمات من جرائها. وصباح اليوم التالى بدت السماء صافية وجميلة. ولكن عندما حاول أحد القرويين رفع ذراع "شيتشيزايمون" عن الحجر، تهشمت متناثرة قطعا. كان جسمه الأسود المتفحم كيانا من رماد يتهاوى متهشما إلى قطع صغيرة حينما يتعرض للمس. وكان

من الخطأ بالفعل محاولة إبعاد "شيتشيزايمون" البار عن شاهد قبر أمه. والتقطت امرأة عجوز إصبعا كان قد سقط إلى الأرض، ودسته في ردن ردائها. وانحنت عميقا، وهي تقول:

- لسوف أطعم هذا الإصبع لابني المهمل الذي لا يرعاني.

وبدأ قرويون آخرون في التقاط قطع من الجثمان.

وتم تمرير بعض هذا الرماد عبر الأجيال باعتباره كنزا عائليا. وعندما كنت طفلا، أطعمتني أمي منه. وأتساءل عما إذا كان هذا السر في أنني -وهذه الفتاة أيضا- نخاف الرعد".

أشرت إلى زوجتي الجديدة بالأسلوب الذي اعتمده أبوها:

- هذه الفتاة أيضا ... هل أعطيتها بعضا منه بدورها؟

- لا، لقد أهملت القيام بذلك، على نحو من الأنحاء. ولكن إذا أراد أبوك أن يعطيها بعضه، فسأرسل قليلا منه في لفافة.

في دارنا الجديدة بضوحي المدينة، وثبت أربعة جنادب من وراء مكتب عروسي الجديدة، ولم يكن الغطاء الأبيض قد أزيل بعد. وكانت عروسي الجديدة تحظى بتألق باقة من ليلك الصيف الباكر، ثم من جديد دوى قصف الرعد، كأنما الصيف سيقضي على نفسه. وبينما أمسكت بعروسي الصغيرة التي استبد بها الخوف، كان أول ما أحسست به عبر بشرتها هو أن هناك شيئا كامنا فيها لايعدو أن يكون أما. منذا الذي يستطيع القول إنني لن أصبح جثة متفحمة عندما أعانق القبر الدافئ اللدن هذا؟

لمع البرق. ودمدم فوق السقف رعد، بدا أنه يحول فراش زوجنا إلى فراش احتضار.

- أغلقوا النافذة ... أسدلوا الستار!

(١٩٢٨)

دار

العمى الذى أشير إليه هنا لايعنى بالضرورة عمى العينين فحسب.

أمسك الرجل بيد امرأته الضريرة، وقادها صعودا على التل لمشاهدة دار للإيجار.

- ماهذا الصوت؟

- إنه زفيف الريح فى أجمة خيزران.

- بالطبع. لقد مر وقت طويل منذ خرجت من الدار، ونسيت صوت حفيف وريقات الخيزران ... الدرج فى الدار التى نقيم بها الآن ضيق على نحو بالغ الفظاعة. وعندما انتقلنا إلى هناك لم أستطع فى البداية احتمال ازعاج ارتقائه. أما الآن وقد بدأت أشعر لتوى بأننى قد اعتدته، تقول لى إننا بسبيلنا إلى البحث عن دار جديدة مجددا. المرأة الضريرة يتعين عليها أن تعرف كل ركن ومنعطف فى دارها. وهى تألفها كما تألف جسمها. وبالنسبة للشخص المبصر، فإن الدار تعد ميتة، ولكنها بالنسبة للشخص الضرير، إنها تضج بالحياة. إنها نبض.الآن هل سيتعين على الارتطام بكل الأركان والتعثر فى العتبة مجددا فى دار جديدة.

ترك الرجل يد امرأته، وفتح البوابة المطلية باللون الأبيض.

قالت:

- إنها توحى بالعتمة، كما لو أن الأشجار قد ألقت بظلالها على الحديقة. والشتاء سيكون باردا من الآن فصاعدا.

- إنها دار على الطراز الغربى، لها جدران ونوافذ كئيبة، ولابد أن بعض الألمان كانوا يقطنون هناك فلافتة الاسم تحمل اسم "ليدرمان"

ولكن الرجل عندما فتح الباب الخارجى، ارتد راجعا، كأنما فوجئ بضوء باهر.

- هذا رائع. إنه مبهر للغاية. لربما يكون الليل سائدا فى الحديقة، لكن داخل الدار يكون شبيها بوقت الظهيرة.

كان ورق الحائط المخطط باللونين الأصفر والقرمزى براق اللون، كالأجواخ البيضاء والأرجوانية التى تعرض فى الاحتفالات. وتوهجت الستائر كثيفة الحمرة كأنوار كهربائية ملونة.

- هاهنا أريكه ومدفأة ومائدة ومقاعد ومكتب ومصباح تزييني... كل الأثاث ها هنا. تلمسى ذلك !

أوشك أن يسقطها أرضا، وهويجعلها تجلس على الأريكة. لوحت بيدها كمتزلج على الجليد يعانى من الارتباك، وارتدت متقافزة كنابض.

- هناك بيانو أيضا.

أمسك بيدها، واجتذبها، فأوقفها على قدميها. جلست قبالة البيانو بجوار المدفأة، وبنشاط لمست المفاتيح، كأنها شئ مخيف.

- اصغ ! إنه يعمل.

بدأت فى عزف لحن بسيط، ربما كان لحن أغنية تعلمته عندما كانت فتاة صغيرة، وكان لا يزال بمقدورها أن ترى.

مضى إلى المكتب، حيث جثم قمطر كبير، وإلى جوار المكتب، اكتشف غرفة نوم بفراش مزدوج. ها هنا مجددا كان هناك ورق حائط مخطط باللونين القرمزى والأبيض ... وهذه المرة كانت هناك بطانية خشنة ملفوفة حول حشية للرقاد ملئت قشا. وثب عليها، فأحس بها لينة ومتقافزة، وبدأ عزف زوجته يتردد مفعما بمرح أكبر. لكنه استطاع كذلك سماعها تضحك كأنها طفلة، عندما كانت تخطئ بين الحين والآخر فى عزف نغمة ... ياللحزن الذى يواكب العمى!

- تعالى ها هنا وتلمسى هذا الفراش الكبير!

كان ذلك أمرا مخيفا، ولكن المرأة سارت بحدة، عبر الدار الغريبة، كامرأة مبصرة حتى غرفة النوم.

تعانقا، وجعلها تتقافز، كعفريت عليه، وهما يقتعدان الفراش. بدأت المرأة فى الصفير برقة. وكانا قد نسيا الوقت.

- أين يقع هذا المكان؟

- طيب،

- حقا ، أين يقع؟

- كائنا ماكان موقعه، فإنه لم يعد دارك بعد.

- كم سيكون جميلا أن تكون هناك أماكن عديدة كهذا !

(١٩٢٨)

المحــطة المــطيرة

زوجات، زوجات، زوجات، زوجات ... أوه، أيتها النساء، كم منكن، فى هذا العـالم، يطلق عليهن اسم المرأة؟ إننى أعرف أنه ليس من غير المألوف بالنسبة لكل الفتيات أن يصبحن زوجـات لرجال، ولكن ياصديقاتى هل رأيتن حشدا كبيرا من الزوجات؟ إنها مفاجأة مؤلمة، شأن رؤية حشد من السجناء.

ليس بوسعكن تصـور الفـارق بين حشد مـن الزوجـات وحشـد مـن الطالبـات، أو عـاملات المصانع، فالطالبات أو العاملات يجمعهن شئ يربط بينهن. وباختصار فقد حررهن ذلك الشـئ من بيوتهن. ولكن حشدا من الزوجات يتألف من أفراد منعزلين، أقبلت كل منهن من دارها، كأنما من عنابر عزلة هذا العـالم. ولـو أن الأمـر كـان متعلقـا بسـوق خيريـة أو رحلـة التقـاء جديـد لصـف دراسى، فإن بمقدور المرء القول إنه حتى الزوجات يصبحن طالبات لوقت قصير، ولكن مثل هذا التجمع، الذى لا يحدث إلا بسبب الحب الـذى تكنـه كـل زوجـة لزوجهـا يتشـكل بـالمثل مـن أفـراد منعزلين. غير أن هذه ليست قصة عن الحشود التى يسودها الشعور بالوحدة.

فلنـأخذ، مثـلا، إحـدى محطـات قطـارات الضـواحـى، ولتكـن محطـة "أومـورى". لقـد مـلأت السحب سماء الخريف الصافية منذ الظهيرة، ولنقل أن المطـر مضـى يهطـل. هـو ذا كـاتب يـودع زوجتـه. وحيـث أنهـا، لسـوء الطـالع، ليسـت مريضـة فـى عنـبر عزلـة، وإنمـا راقصـة فـى قاعـة "شيجينو"، فإن زوجة الجار تدفع له بمظلة عند بوابة التذاكر، وهى تقول:

– عد إلى الدار الآن، من دون أن تبتل بالمطر، فقد أحضرت مظلة لك.

لم يكن ما دفع نحوه مظلة فحسب، وإنما شعور "زوجة" ذاته. احمرت زوجة الجـار خجـلا حتى عنقها، وابتسمت له. ولم يكن هذا إلا أمـرا طبيعيا. وقـف حشـد كبـير مـن الزوجـات، وكـل واحدة منهن تحمل مظلتين، فى أرجاء مدخل المحطة، وهن يحدقن بدافع واحد نحو بوابة التذاكر.

– أشكرك. هذا اليوم يشبه يوم أول نوار الزوجات.

قالها، وهو يبدو أكثر اهتياجـا وارتباكـا مـن زوجـة الجـار، ووسـارع بـالهبوط علـى الـدرج الحجرى، شأن خطيب مهتاج، على نحو مجنون.

عندما اجتاز حصار النساء، وتوقف ليلتقط أنفاسه، تنفس الصعداء، وفتح المظلة. ولدهشته كان مافتحه مظلة امرأة، ذات لون أخضر مائى، مع تصميم يضم سوسنات كبيرة زوقاء. وسواء أكانت فى غمار اضطرابها قد سلمته المظلة الخطأ، أو جلبت له مظلتها، فإن الشعور الرقيق الخاص بامرأة أقبلت إلى المحطة فى مطر أواخر الخريف قد انساب إلى فؤاده، كالماء.

غالبا ما كان يحدق، من مكتبه الواقع فى الطابق الثانى، فى اللحم الذى يعلو كاحليها، وذلك خلال وقوفها وهى تدفع بالماء من طلمبة البئر، على أطراف أصابعها، وقد فتح أسفل الكيمونو، الذى ترتديه قليلا. عندما التقت عيونهما، جعلته ابتسامتها يفكر فى رياح الخريف التى تهب على الفاكهة الناضجة الملونة. كانت ذلك النوع من النساء. ولكن الآن، وهو يرفع مظلتها ذات الزخارف الزهرية، ويفكر فى زوجته، وهى ترقص كالمجنونة بين زراعى رجل بعد الآخر، فحلت به الوحدة القديمة المألوفة.

من الطرق الثلاثة الرئيسية التى تصب فى المحطة، مضى جمع من ربات البيوت، وهن يشهرن فى مظلاتهن حبا عائليا- عائليا للغاية- يتأهب للهجوم . جعلت أقدامهن المسرعة، وما يبدو عليهن من دون تكلف من صحة واهنة، وعدم تعودهن على الضوء الخارجى، وتواضعهن، المرء يفكر، على العكس، فى هجوم غاضب يشبه السجناء المسحوقين والضعفاء.

مضى يحدث نفسه، وهو ينطلق فى مواجهة المد، ضد تقدم لا نهاية له من جانب الزوجات، كل منهن تحمل مظلة زوجها: " يوم أول نوار الزوجات ... كان ذلك تشبيها جيدا، وإذا جاز لى ان أقول ذلك. هاته الزوجات اللواتى أقبلن من مطابخهن من دون أن يتجملن ... إنهم صور طبق الأصل من بيوتهن غير المرتبة، إنه معرض لدور موظفى الشركات"

ابتسم ابتسامة شبيهة بالسماء الخريفية المطيرة ذاتها. ولكن زوجات المحطة المطيرة لم يبتسمن، بل كانت هناك زوجات على وشك البكاء، من فرط ضجرهن من الانتظار.

ولم تسلم زوجة الجار بالفعل المظلة الثانية لزوجها.

وعلى الرغم من أن هذه التفاصيل ستكشف النقاب عن الحقيقة القائلة بأن أحياء الضواحى التى توجد بها هذه المحطات المطيرة ، ومنها على سبيل المثال محطة "أومورى" وما يجاورها هى أحياء مزدحمة بالأزواج الشبان، حيث لا يركب الموظفون السيارات، وليس لدى الزوجات اللواتى يرتدين الكيمونوهات الحريرية المألوفة، خادمات، إلا أنه يتعين على الإقرار بأنه ليس من غير المألوف رؤية حشد الزوجات بمظلاتهن الخشنة المصنوعة من الورق المقوى، وقد شد أطفالهن الصغار إلى ظهورهن، وعجائز ريفيات يستخدمن مظلات أزواجهن المطوية كعصى يتوكأن عليها، كذلك زوجات شابات بلا معاطف خريفية واقية من المطر يرتدين معاطف شتوية

صوفية قاتمة الحمرة... وهن اللواتى ينتمين إلى هذا السرب من الزوجات، الزوجات، الزوجات، ما إن يرصدن رجالهن خلال خروجهم من بوابة التذاكر، عندما ينتهى يوم العمل، حتى تبادر الواحدة منهن إلى العودة جنبا إلى جنب مع زوجها، وقد تماست مظلتاهما، أو ربما تحت مظلة واحدة بشعور من الارتياح والطمأنينة والسعادة والبهجة، يميز هذا الوقت من اليوم الذى تعيد بهجة شهر العسل . ومع ذلك فإن أعدادهن، التى تواصل الضغط على نحو مستمر حول مخرج المحطة، تذكر المرء بسوق لنساء العالم وهن يبحثن عن أزواجهن، فى تجسيد لنموذج سوق الزواج، المجردعلى نحو مطلق من التجمل والرومانسية.

غير أن زوجة الجار كانت تأمل فى أن تكون السلعة الوحيدة المطروحة فى هذا السوق التى تظل من دون بيع. كان الخوف يستبد بها إلى حد الارتجاف من أن يصل زوجها المسكين ويخرج عبر بوابة التذاكر، ذلك أنها عندما سلمت المظلة للكاتب كانت منافستها القديمة فى الحب قد أقبلت صاعدة الدرج نحوها.

- مر وقت طويل منذ التقينا. هل تقيمين بدورك فى "أمورى"؟

- أنت!

ابتسمت زميلتا الدارسة، وكأنما تعرفت إحداهما على الأخرى لتوها:

- ألم يكن هذا هو السيد "نينامى"، الكاتب ، الذى كان هنا قبل قليل؟

- بلى .

- أه، هكذا الأمر، إذن أليس كذلك؟ إننى استشعر الغيرة. متى تزوجتما؟

- تقولين متى؟

- يالك من إنسانة غريبة! أتقصدين أنك بلغت سعادتك فى زواجك الحد الذى نسيت معه يوم زفافك؟

قالت الزوجة ، فجأة، بلهجة التأكيد.

- كان ذلك فى يوليو الماضى.

لم تكن قد جلبت المظلة من أجل الكاتب . ولكنها عندما رأت منافستها القديمة، صارعت مشاعرها. وبدافع من اللحظة ووحيها سلمت المظلة للكاتب الناجح "نينامى".

- مضى عام على ذلك بالفعل. أليس كذلك؟ ها أنت تحمرين خجلا وكأنك تزوجت ليلة البارحة.

- يسعدنى أننى قابلتك.

- يسعدنى ذلك أيضا. لابد من أن تسمحى لى بزيارتك قريبا، فأنا قارئة متحمسة لكتابات السيد "نينامى". وها أنا استشعر الغيرة. والحقيقة ، يا"تشيوكو"، إننى لمحتك قبل قليل. ولكن، على نحو ماكانت الأمور عليه، فلربما مضيت فى طريقى فحسب. ولم أدر ما إذا كان على أن أقدم نفسى أم لا. ولكننى عندما أدركت أنك زوجة السيد "نينامى"، شعرت بالحرية والتحرر من الارتباك. ففى نهاية المطاف، وحسبما اتضح، كنت أنت من فازت بورقة اليانصيب الرابحة، وذلك بفضل حصولى على ورقة خاسرة قبلك. وبدلا من التمسك بعداء ينتمى إلى الماضى، يتعين عليك الإعراب عن شكرك لى. وما مضى قد مضى. ما مضى قد مضى، ولم يعد له وجود. إنه كابوس نسيت كل مايتعلق به. لأنك سعيدة الآن. وعندما أدركت أن بمقدورنا أن نكون صديقتين مجددا على نحو ماكنا، فقد استخفنى الفرح، وغلبتنى مشاعرى، واستبدت بى السعادة. أردت أن أهنئك وهكذا أقبلت لتحيتك.

إنك تكذبين. إننى الرابحة. أصاب الخدر، زوجة الجار. وشلتها السعادة.

- ألا تزالين تنتظرين أحدا ؟

- بلى، فقد أرسلت إحدى طالباته للقيام ببعض التسوق فى "ماتسويا".

فى هذه المرة تردد صوتها مرحا، وموحيا بالثقة والحزم.

وعودة، مرة أخرى، إلى استخدام تشبية "نينامى"، فإن بوابة التذاكر تعد بوابة سجن هائل من سجون المجتمع، فالرجال، وهم متهمون مدانون يمضون حياة هى سجن مؤبد مع الأشغال، يقبلون عبر البوابة، وجنبا إلى جنب مع المريضات اللواتى أقبلن للقياهم، يعدن إلى الدار، إلى عنابر عزلتهم. غير أن هاتين الزوجتين كانت تخشيان إطلاق سراح زوجيهما من السجن. وفى كل مرة يتوقف القطار بالمحطة، كانت تشعران برجفة خوف جليدية تخترق فؤاديهما. ترى زوج من سيصل أولا.

كانت زوجة الجار تحب زوجها حبا شديدا يحول بينها وبين العودة إلى الدار واضعة على وجهها قناع زوجة "نينامى". وتماما كما قالت منافستها القديمة، فإنها قد نسيت تماما حبيبها القديم بسبب عشقها لحبيبها الجديد. ولكن رؤية لهبها القديم يلقى التقدير من منافستها سيكون أمرا مؤلما، لتمزيق القناع عن وجهها. ومع ذلك، فإن قيود العادة وأغلال القدوم لملاقاة الزوج كبلت الزوجة وربطتها بالمحطة المطيرة فى هذا الأصيل الخريفى.

ومن جانبها، لم ترغب المنافسة فى أن تشاهد زوجها، الذى لم يعد الطالب الجامعى الذى أحبتاه معا، الشاب الوسيم الذى تدور حوله ذكريات المرأة الأخرى، وإنما غدا موظفا محدود

الراتب، استنزفته الحياة. وماكان هذا الزوج ليبدو جائزة تذكر، وليس فى نقوده مايصل إلى قيمة رحلة بسيارة الأجرة، وهو يرتدى بدلة عمله التى نحلت خيوطها فى عدة مواضع، وهى البدلة التى ارتداها فى زفافهما قبل أربع سنوات، وظل يرتديها منذ ذلك الحين، وقد بللها حتى الجلد مطر أواخر الخريف. ولكنها لم يكن بوسعها العودة إلى الدار ومشاعر الهزيمة تستبد بها.

– حقا إن سماء الخريف تعنى زوجة تتهل دموعها. ليس الأمر اليوم كذلك، ولكن فى معظم الأيام سرعان ماتختفى سيارات الأجرة. وهكذا نجتذب إلى خارج بيوتنا فيما يشبه منافسة فىإبداء الولاء للأزواج. الأمر يشبه سوق الثياب النسائية القديمة. أليس كذلك؟

أدركت المنافسة أنها ليست ندا للمرأة الأخرى فى هذا الحديث عن الأزواج فبادرت إلى مهاجمة موضوع التضامن.

– انظرى إلينا الآن ! إنه إنجاز، أياكان مدى استخدامنا لملابسنا، أن نعمد إلى بعض التزيين الخفيف، وأن نجئ إلى المحطة، إنها انتفاضة نسائية.

– قال زوجى إنها يوم نوار النساء.

– آه، أصاب كبد الحقية. الأمر كذلك . إننانفضح عار أزواجنا، حيث نبدو بهذه الفظاعة.

كانت المنافسة، التى ارتدت ثيابا متألقة، وصولا حتى خفيها المطليين باللون الأصفر، قد عمدت إلى بعض النزين، الذى وضعت لمساته حديثا، وعادة كانت زوجة الجار تجئ من المطبخ إلى المحطة على نحو ماهى عليه. ولم تنس منافستها أن تعمد إلى التزين حتى وإن كان ذلك لمجرد ملاقاة رجلها عند المحطة المطيرة بمظلة واقية من المطر... كان ذلك هو الأمر الذى جعلها تسلب زوجة الجار صديقها الذى تحبه. ولكن زوجة الجار كانت قد تجملت بالزعم بأنها زوجة كاتب، وقد أسعدها هذا التجمل. لقد أوقعت الهزيمة بمنافستها.

– ولكننى أعانى من عقدة نقص، فأنا أخشى اجتذاب انتباه الناس.

– ذلك هو قدرك السعيد، فقلة ممتازة هى وحدها التى تعرف أنك زوجة السيد نينامى. وإذا أحببت، فإننى سأعلن الأمر بصوت عال.

قالتها الأخرى، ماضية إلى أبعد مماكان يمكن لزوجة الجار أن ترغب فى قيامها به، ثم بدأت المنافسة، كاستراتيجية ثالثة لها، فى إصلاح زينتها. وفى غضون ذلك، مضت على نحو استعراضى تتباهى بمعرفتها كهاوية بالموسيقى و"المسرح الجديد".

عندئذ، على وجه الدقة، من ترى عساه يقبل فى هذا الطريق إلا ممثل المسرح الجديد الشهير الذى يقطن، "أومورى" وقد علا جبينه مرتفعا عن القبعات اللبادية اللدنة، التى يعتمرها

الموظفون، وكأنه زهرة بيضاء، وعبر الجسر الذى يعلو قضبان السكك الحديدية. بعد أن راقبته زوجة الجار وهو يعود فى وقت متأخر من الليل متأبطا ذراع الراقصة زوجة "تينامى"، فإنها كانت تعرفه بمجرد رؤيته، وقد كان الشخص الذى راجت شائعات حول أنه ومنافستها القديمة تربطهما، هذه الأيام، مشاعر تتجاوز الصداقة.

- آه، إنه ناكانو توكيهيكو !

لدى صيحة الدهشة هذه التى ندت عن زوجة الجار، اندفعت المنافسة المتزينة مسرعة نحو بوابة التذاكر.

- السيد ناكونو. أليس كذلك؟ لقد كنت فى انتظارك. تعال معى، لطفا، تحت مظلتى كأننا عاشقان.

همست المنافسة بهذه الكلمات ومضت نحوه، على نحو مغناج، وكان من حسن حظها أن "تاكانو"، الذى كانت تقابله للمرة الأولى، كان ممثلا لأدوار العشاق. أخفت كتف الرجل تحت المظلة التى فتحتها بيد واحدة على نحو بارع، وانعطفت فى مسيرتها.

- سأمضى قدما.

قالتها ظافرة، وغاصت فى بحر مظلات الزوجات.

مثل حقل من الراوند المستنقعى تلفه ريح، أصدرت المظلات فى الساحة الواقعة خارج المحطة حفيفا، وتأرجحت بعداء مائلة نحو هذين الاثنين المتجملين على نحو رائع. وفى التو غدا الحشد جمعا منتظما من النساء الشريفات، فيلق ربات البيوت. ولكن زوجة الجار كانت لا تزال أكثر انتشاء بانتصارها فى غمار التجمل من أن تنضم إليهن. هذه المرأة قد تكون عشيقة الممثل، ولكنها ليست زوجة. أما أنا فزوجة كاتب شهير، وعلى الرغم من أنهما حقا قد عكفا على التزين، إلا أن زينتها هى، وليس زينة العشيقة التى سرعان ماتزوى، ويتغير لونها، هى الزينة ذات اللون الطبيعى التى تتجمل بها زوجة مخلصة. وهكذا، فإنها لن تخون زوجها الحقيقى أبدا. وتحت المظلة ستحكى له هذا الاشتباك فى المحطة المطيرة. وستبلغه، فى هذا اليوم عينه، والدموع فى عينيها، بالقصة التى احتفظت بها سرا، والمتصلة بحبيبها القديم. وهكذا، فإنها حتى عندما ثملت بفعل انتصار تجملها المزعوم، كانت خواطرها مع زوجها. والآن، وقد انصرفت عدوتها، فإن بمقدورها انتظاره من دون أن يسقط ظل على فؤادها.

ولكن هل سعادة التجمل والاختلاق شبيهة بثمرة عالية فى شجرة؟ لم تكن زوجة الجار لاعبة أكروبات، معتادة على الانطلاق عاليا على شجرة التجمل والاختلاق، شأن غريمتها. وعلى

الرغم من أنها قامت، راكبة على ظهر غريمتها، بمد يدها نحو ثمرة كونها زوجة كاتب، إلا أن غريمتها قد حلقت بعيدا عن أعلى الشجرة مستعينة بجناحى الزنا الذين يرفان محدثين صوتا عاليا. ومالم يمد أحد إليها يده، فإنها لن تستطيع النزول إلى الأرض للانضمام إلى حشد النساء الشريفات، وعلى الرغم من أنها راحت تنتظر وتنتظر، إلا أن زوجها لم يقبل لإنقاذها. وانفضت الزوجات، الزوجات، الزوجات، اللواتى مضين بأزواجهن، أزواجهن، أزواجهن مبتعدات فى الغسق المطير. وجعل المطر الشتائى، الذى لايكف عن الهطول جفونها تتجمد بردا. وتراجع تجملها تماما، فأحست بجوع قاهر. وإذ عجزت، أكثر من أى وقت مضى عن الابتعاد عن المحطة، فقد انتظرت، ببساطة ولهفة، مقدم زوجها، بوعى عصبى محتدم، كمنفى، فى جزيرة الهولات.

فى نهاية المطاف، وعند الساعة التاسعة، وبعد ان انتظرت خمس ساعات، هنالك، عند بوابة التذاكر، التى اجتذبت نحوها، كظل متطاول، لم يبد زوجها، وإنما حبيبها القديم ... باختصار، زوج غريمتها، وبدلا من العثور على القوة لاستعادة رباطة جأشها، اكتسحها حزن اندفع متصاعدا فى أعماقها. وبالإعياء البائس لإنسان خرج لتوه من السجن، هبط الرجل الدرج الحجرى، متطلعا على نحو مضطرب بحثا عن زوجته. عندما رفعت زوجة الجار، من دون أن تفوه ببنت شفة مظلتها فوق رأسه، انهمرت دموعها كأنها أمطار مسائية. ولم يتفهم من الأمر شيئا.

من الطابق الثانى فىالدار، التى لم تعد إليها الراقصة، زوجة الكاتب، مضى هذا الأخير يتطلع متشككا إلى الدار المجاورة التى عمها الظلام ولفها مطر أواخر الليل. عنت له هذه الكلمات الموجهة إلى أزواج، أزواج ، أزواج العالم:

– أوه، أيها الأزواج، فى الأيام التى تحفل بمطر الأصيل، وبصفة خاصة فى مساءات مطر أواخر الخريف، أسرعوا عائدين إلى المحطات التى تنتظر فيها زوجاتكم ! فليس بإمكانى الوعد بأن فؤاد امرأة، مثل مظلتها، لن يسلم لرجل آخر.

(١٩٢٨)

في مكتب الرهونات

على زجاج الباب الذى أناره انعكاس الثلج على نحو براق ألقت زينات العام الجديد فى شجرة الصنوبر ظلالها. جلس ابن صاحب مكتب الرهونات، مستعرضا قميصا أبيض جديدا تحت الكيمونو الذى يرتديه فى المكتب. كانت لهذا الفتى شفتان فى حمرة شفتى فتاة تزينت بأحمر الشفاة، وحظى اللحم اللدن حول عنقه ببريق يحاكى ما تتمتع به الفتيات. اكتسب الخشب الذى لم يصقل بعد ولم يتم طلاؤه فى الأبواب المصممة بشكل شبكى، والذى بدا جليا أنه تغير فى نهاية العام، البريق المصطنع لديكور مسرحى. وكان الزائر قد تبادل عبر الأبواب الشبكية المفتوحة التهنئة بالعام الجديد مع الفتى. وقد كان ذلك هو السبب فى أنهما، وقد راحا يبتسمان فى هدوء لبعض الوقت، مضيا يتحدثان عن نقود ذات معدل فائدة عال، فبمعدل يبلغ عشرة فى المئة شهريا يصل الأمر إلى فائدة قيمتها ثلاثون ينا عن ثلاثمئة ين...

قال الفتى:

– طيب، إذا كان لديك ألف وخمسمئة ين أو ألفا ين، ألا يمكنك العيش بشكل رائع اعتمادا على الفائدة؟ من الغريب أن الجميع لايعمل بالاقتراض.

– ذلك هو السر فى أنه سيكون من الأفضل ألا تقترض مالا، فالفائدة تستقطع مسبقا، دع جانبا المبلغ المستقطع لمن جلب العميل ومصاريف التحقق من قدرته على السداد، وينتهى بك الأمر إلى مايقل كثيرا عن القيمة الإسمية للقرض.وقرض بلا ضمان إضافى ... ذلك أمر صعب.

– إننى فى موقف دقيق، وإذا كانت عائلتك تعرف مقرضا للنقود فى الحى، فإننى سأقدر قيامكم بتقديمى له.

– طيب، الآن.

على الرغم من أن الفتى كان يبتسم له بود، كالذى تبديه فتاة، إلا أن صوته كان يتسم بالمخاتلة المحنكة، التى يتمتع بها مراب ماكر.

حدث الزائر نفسه، قائلا: لو أننى واصلت الحديث معه على هذا النحو، فلربما يقول إننا سنقرضك المال. ولكن أمله الأنانى شبه اليائس هذا ماكان يمكن الكشف عنه فى التعبير المرتسم على محياه. وفكر فى زوجته التى تنتظر فى الخارج، فى الطريق الذى كساه الجليد. عندئذ على وجه الدقة، انفتحت البوابة، فأثارت انزعاجه. لكن من أقبل لم يكن زوجته، وإنما كان رجلا.

مضى الرجل، شأن شخص سقط مريضا على الطريق، وأفلح بالكاد فى الوصول إلى داره ليلقى حتفه هناك، فى التأرجح إلى الأمام وإلى الوراء، متشبثا بالباب الزجاجى، الذى أوصده. احتكت كتفه بالجدار وهو يمضى على امتداده وقد انحشرت قباله، وأمسك بقوة بشبكة النضد الخشبية.

– إنها المرة الأولى التى أقترض فيها. أريد أن تقرضنى بعض النقود رهنا على هذا.

أظهر للفتى رداء تحتانيا طويلا مما تستخدمه النساء، وقد اتسخت حافته الموصلينية من جلد المرأة. فأشاح الزائر الأول بناظريه بعيدا. عند أسفل الكيمونو الذى يرتديه الرجل، بدت ملابسه الليلية الخفيفة للعيان، وعلق الطين والثلج بباطن خفيه الثقيلين، وبدت السيور الغليظة سائبة للغاية.

– إذا كانت تلك هى المرة الأولى بالنسبة لك، فليس بمقدورى قبول الرهن إلا بعد زيارة دارك.

– مرة قبل هذه، عند نهاية العام، جئت، وقيل لى الشئ نفسه. وفى تلك المرة أحست زوجتى بالخجل من الجيران، لكنها تقول إننا تجاوزنا أمورا كالخجل والسمعة، وأنه لا بأس من قدومك للدار، فمنذ نوفمبر لم نترك فراشينا، وقد جئت من وراء المحطة على هذا النحو، وقد لايكون باستطاعتى العودة مجددا، فكل ما أستطيعه هو السير ببطء شديد. ولكن إذا ظفرت بعودتك معى، هل يمكنك إقراضنا ينا وحمسين سينا.

– العام الجديد يطرق الأبواب، وليس هناك من يمكننى إرساله معك.

– أرجوا أن تتذكر أننى مريض، وقد استغرق الأمر منى ساعة لقطع ميل بالكاد.

قالها الرجل متداعيا، وقد مضى يسعل فى قطعة من ورق صحيفة. ضمت ركبتاه فى إحكام فى وضع الجلوس الرسمى. ومضت أصابعه المتسخة ترتجف مع الصحيفة. وشرع بصوت متصلف، متغطرس، كأنما يخاطب الفتى من عل فى سرد ألوان البؤس التى تعرض لها مجددا. ولكن الفتى، شأن فتاة عنيدة، لم يحر ردا.

– مع ذلك، فإنك ...

هتف الرجل بهذه الكلمات، وهو يمسك بالثوب التحتانى الطويل بقوه وبدأ فى لفه فى الصحيفة. سارع بإخفاء ذلك الجزء منها الذى تخضب بالدم، وهو يصرخ:

- هل يجرى دم فى عروقك؟ هه؟ دم إنسان؟

- آسف، ليس لدى منه الكثير، بحيث يمكننى أن أبصق بعضه خلال نوبة سعال.

- ماذا؟

قالها الرجل، وبسعلة عنيفة نثر رذاذا من دم ولعاب على الخشب، الذى يأخذ شكل الشبكة، وقال:

- هذا دم إنسان. عليك أن تتذكر ذلك فحسب!

نفرت العروق فى جبينه، وغامت عيناه، وبدا على أهبة السقوط، فتدخل الزائر الأول فى المسألة.

-عفوا إذا كان ين وخمسون سينا مبلغا مناسبا، فسوف أقرضك إياه.

دهش الرجل، وتطلع إليه، وعندئذ بدا أن قوته قد تخلت عنه. فى غمار تردده فتحت البوابة مجددا، ودس الزائر الأول النقود فى يده، قائلا:

- أرجو أن تقبل هذا!

حاول الرجل أن يعطيه الثوب التحتانى الطويل. وعندما رفض، مبتسما، أحنى الرجل رأسه بعمق بالغ، حتى أن شعره المسترسل تهدل إلى الأمام. وغمغم بكلمات لاتبين، وخرج من مكتب الرهونات، متعثرا، وجلب الفتى من غرفة داخلية مطهر، ومسح الدم عن الشبكة الخشبية.

- يبدو كما لوأنه جاء من الجحيم ليبتزنى.

- كيف كان يمكننى قبول ذلك الشئ الذى بدا شبيها بوكر لجراثيم السل؟ وبحديثه على ذلك النحو المتعالى بدا كأنه شرير على خشبة المسرح. أراهن على أنه شيوعى.

وقف زبون جديد، كان قد ولج المكتب كأن هناك من يطارده، فىأحد الأركان، من دون أن يحاول الاستماع لحديثهما. ولكن عندما عاد الفتى إلى النضد، تقدم منه مسرعا. أخرج من الكيمونو الذى يرتديه لفافة صغيرة لفت بإحكام فى ورقة، وسلمها للفتى.

- كم تبلغ؟

عندما فتح الفتى اللفافة بدا أنها رزمة من الأوراق المالية. ولكى يحجب الفتى، فيما هو يحصى النقود، عن عينى الزائر الآخر، أمسك الرجل بالشبكة الخشبية، بحيث أن ردنى ردائة امتدا عبرها، كجناحى خفاش، كانت هى الشبكة الخشبية نفسها التى مسح عنها الدم منذ قليل. بدا مشهد الرجل من الخلف، الذى يشبه الخفاش، مهلهلا ومنذرا بالسوء. عندما تلقى إيصالا بما أودعه

من الفتى، اندفع مسرعا خارج المكتب بالافتقار للحس الاجتماعى الذى يتصف به رجل يحيا فى ظل الفاقة.

– كان ماالديه فى تلك اللفافة يتجاوز مئة ين. ما الذى رهنه بحق السماء لكى يدفع فائدة تتجاوز مئة ين عنه؟

استرد الفتى، أخيرا، ابتسامته النسوية، وقال:

–هذا البلغ ليس فائدة. الأمر سر، لكننى أوضح لك أن هذا الرجل يرهن رأسماله.

– أهو لص؟ أيكما يدفع للآخر فائدة؟

– هو الذى يدفعها، تماما كما فى حالة رهن أى شئ آخر، وهو يقول إنه يفعل ذلك بسبب جيرانه، فهو يرغب فى جعلهم يعتقدون أن أهل بيته يمضون على الدوام إلى مكتب الرهونات، ولذا فلابد أنهم فى ضائقة مالية. إنه على النقيض تماما من ذلك الرجل الآخر.

– إذا كان من الضرورى، بالنسبة له، على هذا النحو الملح، أن يبدو فقيرا، فلابد أن المال تشوبه الشوائب. ماهو عمله؟

– إذا ساد الاعتقاد بأنه فقير، فلن يتعين عليه أن ينفق الكثير، ولن يجئ الناس إليه طلبا للمال.

– طيب، الآن، الناس يجيئون لى طلبا للمال، ولست أدرى ماذا عساى أفعل، فلم لا تقرضنى هذا المال الغريب؟

– طيب، حالا.

اختفى الفتى داخل الدار، ثم على نحو ودود كأنه فتاة شابة، أقبل يعدو من جديد.

– يقول العجوز إنه لا بأس بذلك. المبلغ نصف الثلاثمئة ين التى ذكرتها من قبل.

خرج الزائر مسرعا من مكتب الرهونات إلى الجليد الذى أنارته الشمس. ابتسمت زوجته له، ابتسامة مشرقة ، وعابثة، وهى تقف وسط الأطفال، الذين كانوا يصنعون من الثلج تمثالا لرجل الجليد، عند حافة الغابة.

(١٩٢٩)

مــرحـــــاض

حدث ذلك ذات ربيع، منذ وقت طويل، طويل، فى "أراشياما"، فى "طوكيو".

أقبلت سيدات من عـائلات "كيوتـو" البـارزة، وبنـاتهن، وفتيـات الجيشـا مـن أحيـاء الـهـوى، وعاهرات يرتدين أفضل ثيابهن المعدة لفصل الربيع، للاستمتاع بمشهد براعم الكرز(٧)

- آسفة لطلب ذلك، ولكن هل لى فى استخدام مرحاضكم؟

كانت النسوة ينحنين، وقد احمرت وجوههن خجلا، عند بوابة دار ريفيـة، شـديدة التواضـع. وعندما يمضين إلى مؤخرة الدار كن يجدن المرحاض قذرا وعتيقا، تتدلى حوله من الخلف حصـر من القش، وفى كل مرة يهـب النسيم كـانت بشـرة نسـاء "كيوتـو" تقشـعر لفظاعـة الرائحـة. وكـان بوسعهن سماع بكاء الأطفال فى البعيد.

تفتق ذهن أحد الفلاحين عن خطة، عندما أدرك مدى شعور نسوة "كيوتو" بالكرب والضيـق، وبنى مرحاضا صغيرا، مرتبا، وعلق لافتة كتـب عليهـا بحـبر أسـود "مرحـاض-أجـرة الاسـتخدام ثلاثة مونات" وخلال موسم الاستمتاع بمشاهدة الزهور حقق المرحاض نجاحا هائلا. وغدا الفـلاح رجلا ثريا.

قال أحد القرويين، وقد استبدت به الغيرة من هـذا الفـلاح، الـذى يدعـى "هاشـيهاى"، محادثـا زوجته:

- أصبح هاشيهاى، مؤخرا، ممن يملكون مبلغا جسـيما مـن المـال، بفضـل مرحاضـه المعد للاستخدام بأجر. أحسب أننى سأقوم، فى الربيع المقبل ببنـاء مرحـاض ومنافسـته فـى عملـه حتـى القضاء عليه. مارأيك فى ذلك؟

- سيكون ذلك تقديرا سيئا للأمور من جانبك، فربما تبنى مرحاضـا، ولكـن "هاشـيهاى" هـو الذى كرس عملا غدا مستقرا، وله زبائنه، وستكون أنت القادم الجديد، وإذا لم يقدر لعملك الإفـلاح فى منافسته فسوف تغدو أكثر فقرا.

- مايغيب عنك هو أن المرحاض الذى أفكر فيه لن يكون قذرا، كمرحاض هاشـيهاى. لقد سمعت أن حفل شرب الشاى غدا رائجا فى العاصمة، ولذا فإننى أعتزم إقامة مرحاض على غرار

أسلوب بناء الغرفة التى يقام فيها حفل الشاى. وفـى المقـام الأول، وبالنسبة للأعمدة الأربعـة فـإن كتل خشب "يوشينو" ستكون قـذرة، ولـذا فـإننى سأسـتخدم خشـب "كيتايامـا". وسـيكون السـقف مـن البردى، ولسوف أستخدم سلسلة سميكة بدلا من الحبل. فكـرة . ألا تعتقديـن ذلـك؟ ولسـوف أحـدث نوافذ تحت مستوى الأرضية. والقواعد ستكون من خشب "الزلكوفا"، وستطلى الجدران بطبقتن من الجص، وسيكون الباب من خشب السرو. ولسوف أكسو السقف على نحو متداخل بخشب الأرز، وأستخدم حجر "كوراما" للدرجة التى يصعد بها إليه، وسأجعل حوله تعريشة من الخـيزران، وإلـى جـوار حـوض الغسـيل الحجـرى، سـأغرس شـجرة مـن أشـجار الصنوبـر الأحمـر. ولسـوف أبنيـه لاجتذاب السنكى، الإنشو، الأوراكو، الهايامى ، وكل المـدارس الأخـرى التـى تقـام وفقـا لقواعدهـا حفلات الشاى.

استمعت الزوجة لما يقوله الرجل، بذهن شارد، ثم قالت متسائلة:

– وكم ستتقاضى على استخدامه؟

أفلح الرجل بشكل من الأشكال، وعبر الكثير من العناء، فى بناء مرحاض رائع، فى الوقت المناسب لموسم مشاهدة براعم الكرز. وجعل كاهنا يكتب بأسلوب التانج الاستعراضى: "مرحاض– أجرة الاستخدام ثمانية مونات"

اكتفت نساء العاصمة بالتحديق فى المرحاض، على محو يوحى بالتوق لاستخدامه، ومضين يحدثن أنفسهن بأنه أجمل من أن يستخدمن، فلطمت امرأة الرجـل الأرض بقدميهـا غاضبـة، وهـى تقول:

– هل رأيت ؟ ذلك هو السر فى أننى قلت لـك إن عليك ألا تبنيـه. لقد اسـتثمرت كـل ذلـك المال، والآن ما الذى سيحدث؟

– ليس هنـاك مـايدعوك إلـى كـل هـذا الغضـب. غـدا عندمـا أتجـول لاجتذاب مسـتخدمات المرحاض، فإنهن سيتجمعن مثل صف من النمال. عليك بالنهوض مبكرة بـدورك، وإعـداد بعـض طعام الغذاء لأخذه معى، فسوف أقوم ببعض الجولات، وسيتجمع الناس كما فى سوق القرية.

حلت السكينة بنفس الرجل، ولكنه فى اليوم التالى لم يستيقظ إلا بعد موعده المألوف، وذلـك فى الساعة الثامنة، فارتدى الكيمونو، وتأبط لفافـة طعـام غذائـه المتدليـة مـن حـول رقبتـه، وبـادل زوجته النظر مبتسما، وقد لاح الحزن فى عينيه:

– طيب، يا أم البنيـن، لقـد قلـت لـى أن هـذا حلـم، حلـم أحمـق. واليـوم سـترين مـا إن أقـوم بجولاتى، حتى تقبل الزبونات جماعات. وإذا امتلأ وعاء استقبال الفضلات، فعلقى لافتة أنه مغلق، واجعلى جارنا جيروهاى يكسح منه حملين !

حدثت زوجة الرجل نفسها بأن الأمر كله غريب؛ على نحو فظيع. كان قد قال إنه "سيقوم بجولات" فهل يعتزم التجول فى العاصمة صائحا " مرحاض! مرحاض!؟" وبينما هى غارقة فى تساؤلاتها أقبلت فتاة سريعا، وألقت ثمانية مونات فى صندوق النقود، وولجت المرحاض. وبعد ذلك أقبلت الزبونات، إحداهن إثر الأخرى، من دون انقطاع، فتحيرت الوجة، واتسعت عيناها دهشة، وهى تعنى بأمر النقود، وسرعان ماعلقت اللافتة التى تفيد الإغلاق، وساد الهرج بينما كان الوعاء يتم إفراغه. وقبل أن ينتهى النهار، كانت قد جمعت ثمانية كانات، وأفرغت الوعاء خمس مرات.

– لا بد أن زوجى هو تناسخ "البوذيساتفا مونجو"(٨) هذه هى المرة الأولى التى تتحقق فيها أحلامه.

سرت المرأة أشد السرور، فابتاعت بعض النبيذ، ومضت تنتظر قدوم زوجها، ولكنها فوجئت بجثته تحمل إليها على نحويثير الرثاء.

– مات فى مرحاض "هاشيهاى"، من مرض القطان على مايبدو.

كان الزوج قد بادر، فور مغادرته داره فى صباح ذلك اليوم، بدفع موناته الثلاثة، وولج مرحاض "هاشيهاى"، وأحكم رتاج الباب. وعندما يحاول أحد الدخول كان يصدر نحنحة تفيد وجوده بالداخل. واستمر هذا إلى أن وصل حد التخشب فى جلسته بالمرحاض، وفى نهاية النهار الربيعى المتطاول لم يستطع الوقوف.

سمع سكان العاصمة بالقصة.

– يالها من فجيعة حلت مع موت هذا الرجل الطيب!

– كان مبدعا لامثيل له.

– أكثر عمليات الانتحار إيغالا فى حداثة الصرعة.

– ما أعجب هذا الحدث الذى اتخذ من المرحاض مسرحا له.

قلائل فحسب هم أولئك الذين لم تتردد على ألسنتهم هذه الكلمات.

(١٩٢٩)

الرجل الذى لم يبتسم

اتشحت السماء بظل غامر، وبدت مثل سطح آنية خزفية، جميلة، ضاربة إلى الخضرة الشاحبة. أطللت من فراشي على نهر كامو، حيث اكتسى الماء عند حوافه بلون البكور.

على امتداد أسبوع مضى، تواصل تصوير الفيلم، خلال انتصاف الليل، لأن الممثل الذى يضطلع بالبطولة كان من المقرر أن يظهر فى عرض مسرحى فى غضون عشرة أيام. وماكنت إلا المؤلف؛ لذا كان كل ماعلى، مراقبتة التصوير على نحو عرضى. لكن جلد شفتى تشقق، واستبد بى التعب، إلى حد لم يكن بمقدورى معه مواصلة فتح عينى، حتى خلال وقوفى إلى جوار المصابيح المتوهجة لحد البياض. وقد عدت إلى غرفتى بالفندق، فى ذلك الصباح، حوالى الوقت الذى تشرع فيه النجوم فى الاختفاء.

غير أن السماء ذات اللون الأخضر الشاحب أنعشتنى، وأحسست بأن حلما جميلا من أحلام اليقظة يوشك على التشكل.

فى البداية، تواردت إلى خاطرى مشهد شارع "سيجو". وكنت، فى اليوم السابق، قد تناولت طعام الغذاء فى "كيكو سوى"، وهو مطعم على الطراز الغربى، قرب "أوهاشى". لاحت الجبال أمام ناظرى. واستطعت رؤية خضرة الأشجار الجديدة فى "هيجاشياما"، خارج نافذة الطابق الثالث. وكان ذلك أمرا متوقعا، ولكن بالنسبة لى، أنا الذى قدمت لتوى من "طوكيو"، كان أمرا جديدا، على نحو يدعو للانتفاض، وعقب ذلك، استعدت ذكرى قناع كنت قد رأيته معروضا فى واجهة أحد حوانيت التحف. وكان قناعا عتيقا، باسما.

– هو ذا ملك يمينى، عثرت على حلم يقظة جميل.

همست بها، وقد استبدت بى النشوة، فيما اجتذبت ورقة بيضاء، مما تدون فيها الملاحظات، وجمعت أطراف حلم اليقظة، فحولته إلى كلمات. وأعدت كتابة المشهد الأخير فى سيناريو الفيلم. وعندما انتهيب، أضفت رسالة إلى المخرج:

"لسوف أجعل المشهد الأخير حلم يقظة. ستظهر فى شتى أرجاء الشاشة أقنعة رقيقة باسمة. ولما لم يكن بمقدورى أن آمل فى إظهار ابتسامة متألقة فى نهاية القصة الكئيبة، فإن بوسعى على الأقل، أن أسدل على الواقع قناعا جميلا باسما".

مضيت بالمخطوط إلى الاستديو. وكان الشئ الوحيد الموجود فـي المكتب جريدة الصبـاح، وقد عكفت المرأة العاملة فى المقصف على تنظيف النشارة أمام غرفة المواد التى يستعان بهـا فـى الاخراج.

- هلا تركت هذا إلى جوار فراش المخرج؟

تجرى أحداث هذا الفيلم فى مستشفى للأمراض العقلية، وقـد بعـث الألـم فـى نفسـى أن أرى الحياة التعسة، التى يعيشها المجانين، الذين نصورهم كل يوم.

وكنت قد بدأت فى الاعتقاد بأننى سأشعر باليأس، مالم أستطع بشكل من الأشكال أن أضيـف نهاية مشرقة. وساورنى خوف من أننى لم أستطع العثور على نهاية سـعيدة، لأن شـخصيتى أكـثر كآبة من أن تحقق هذا.

لذا فقد ابتهجت، لأننى فكرت فى الأقنعة، وداخلنـى شـعور سـار. عندمـا تصـورت مـن فـى مستشفى الأمراض العقلية، عن بكرة أبيهم، وهم يضعون على وجوههم أقنعة ضاحكة.

تـألق سـقف الاسـتوديو بـاللون الأخضـر. وكـان لـون السـماء قد أشـرق علـى مقدم النهـر، وأحسست بالارتياح، ومضيت عائدا إلى غرفتى، وغرقت فى نوم عميق.

عاد الرجل الذى مضى لابتياع الأقنعة إلى الاستوديو، فى حوالى الساعة الحادية عشرة مـن تلك الليلة.

- تجولت فى كل محطات الألعاب الكبيرة فى "كيونو"، منذ الصباح، ولكـن لاوجـود لأقنعـة جيدة فى أى مكان.

- دعنى ألقى نظرة على ما أحضرته!

أصابنى شعور بخيبة الأمل، عندما فتحت اللفافة.

- هذا ؟ طيب.

- أعرف، إنها لن تجدى نفعا. ظننت أننى سيكون بوسعى العثور على أقنعة فى أى مكـان. وأنا واثق من أننى رأيتها فى كل أنواع المحال، لكن هذا هو الشـئ الوحيد الـذى استطعت جلبـه، بعد بحث دام طوال النهار.

- ماتصورته هو شئ يشبه قناع مسرح النـو(٩) إذا لـم يكـن القنـاع نفسـه عمـلا فنيـا، فإنـه سيبدو مثيرا للسخرية فى الفيلم.

قلتها، وأحسست كأننى مقدم على البكاء، فيما أمسكت فـى يـدى بقنـاع مـن المهـرج الورقـى الذى يلهو به الأطفال.

– ضع فى الاعتبار عنصرا واحدا، هذا اللون سيبدو كالأسود الناصل لدى تصويره. وإذا لم تكن للقناع ابتسامة أكثر رقة مع بريق مائل للبياض يعلو البشرة، فإنه ....

برز اللسان الأحمرمن الوجه بنى اللون.

– إنهم يجربون الطلاء الأبيض عليه الآن فى المكتب.

كان تصوير الفيلم قد توقف مؤقتا، وهكذا خرج المخرج بدوره من مشهد قاعة المستشفى، وحدق فى الجميع، وضحك. لم يكن هناك سبيل لجمع ما يكفى من أقنعة، وتعين عليهم أن يصوروا المشهد الأخير فى الغد. وإذا لم يكن بإمكانهم الحصول على أقنعة عتيقة، فقد أراد على الأقل أقنعة من "السليوليد".

– إذا لم يكن هناك أى أقنعة فنية، فمن الخير أن نتخلى عن الأمر.

قالها رجل من قسم السيناريو، ربما فى معرض التعاطف مع شعورى بخيبة الأمل.

– هل لنا فى الانطلاق للبحث مرة أخيرة؟ الساعة لم تتجاوز الحادية عشرة، وربما لا يزالون مستيقظين فى "كابوجوكو".

– هل لك فى ذلك؟

انطلقنا بالسيارة مسرعين، على امتداد جسور نهر كامو. انعكست الأضواء المشعة من نوافذ المستشفى الجامعة، القائم على الضفة المقابلة على الماء. ولم أستطع تصور أن هناك الكثير من المرضى يعانون الآلام فى المستشفى، مع وجود كل هاتيك النوافذ المشعة على نحو جميل، ورحت أتساءل عما إذا كان بإمكاننا عرض الأضواء المشعة فى نوافذ المستشفى بدلا من الأقنعة، إذا لم نستطع العثور على الأقنعة المناسبة.

مضينا إلى متجر من متاجر اللعب فى "سنكايوجوكو"، فيما كانت تشرع فى إغلاق أبوابها.عرفنا أن الموقف لا أمل فيه. ابتعنا عشرين قناعا من أقنعة السلاحف. وكانت لطيفة، ولكنها لايمكن أن توصف بأنها أقنعة فنية. وكان شارع "شيجو" قد أغفى بالفعل.

قال رجل قسم السيناريو، منعطفا فى زقاق:

– انتظر لحظة! هناك الكثير من المحال هنا تبيع أدوات المذابح البوذية، وأحسب أن لديها أيضا أدوات لمسرح النو.

ولكن لم يكن هناك شخص مستيقظ فى الشارع، ورحت أختلس النظر إلى داخل المحال عبر الأبواب.

- سأعود مرة أخرى، فى حوالى الساعة السابعة صباحا، وسوف أسهر الليل كله على أى حال.

قلت:

- سآتى معك بدورى، أرجو أن توقظنى!

ولكنه فى اليوم التالى مضى بمفرده. وعندما استيقظت، كانوا قد شرعوا بالفعل فى تصوير الأقنعة؛ فقد عثروا على خمسة منها، استخدمت فى عروض موسيقية قديمة. وكانت فكرتى تدور حول استخدام عشرين أو ثلاثين قناعا من النوع نفسه، ولكننى أحسست بالارتياح، وقد تأثرت بما يمكن أن يكون عليه الحال، حين تطفو الابتسامات الرقيقة لتلك الأقنعة الخمسة. وأحسست بأننى قد قمت بمسؤوليتى حيال المجانين.

- لقد استأجرتها، لأنها كانت أغلى من أشتريها، وإذا لوثتموها، فلا سبيل إلى إعادتها؛ لذا عليكم أن تلزموا الحرص!

بعد حديث رجل قسم السيناريو، غسل الممثلون جميعا أيديهم والتقطوا الأقنعة بأطراف أصابعهم، وحدقوا فيها، كأنهم يتأملون كنزا.

- لو أنها غسلت فإن الطلاء سيتقشر، أليس كذلك؟

- طيب، سأشتريها إذن.

لقد اردت الأقنعة بالفعل. وغرقت فى حلم يقظة، كأننى انتظر المستقبل، وعندما يغدو العالم متناسقا، وتبدو وجوه الناس جميعا بالقدر ذاته من الرقة والتهذيب، كهذه الأقنعة.

ما إن عدت إلى دار فى "طوكيو"، حتى مضيت مباشرة إلى غرفة زوجتى بالمستشفى.

ضحك الأطفال مبتهجين، وهم يضعون الأقنعة على وجوههم، واحدا إثر الآخر. ساورنى شعور غامض بالرضا.

- بابا، ضع أحدها على وجهك!

- لا.

- ضع أحدها، لطفا!

- لا.

- ضع أحدها!

نهض ابنى الثانى واقفا، وحاول رفع القناع ووضعه على وجهى، صحت به:

- توقف !

أنقذتنى زوجتى من هذه اللحظة الحافلة بالارتباك، قالت:

- هاكم، لسوف أضع أحدها على وجهى.

وسط ضحك الأطفال كسانى الشحوب.

- ما الذى تفعلينه أنت مريضة !

كم هى فظيعة رؤية هذا القناع الضاحك على وجهها وهى فى فراش المرض!

عندما نزعت القناع، تحول تنفسها إلى لهاث، ولكن ذلك لم يكن ما أدخل الشعور بالذهول والفزع فى نفسى، ففى اللحظة التى نزعت القناع، بدا وجهها قبيحا على نحو ما. تندت بشرتى، مكتسية بالعرق، فيما رحت أحدق فى الوجه، الذى كساه الإعياء. وقد صدمت إزاء اكتشاف وجه زوجتى للمرة الأولى.

كان قد احتواها على امتداد ثلاث دقائق، تعبير القناع الجميل، الهادئ، الباسم، ومن ثم كان بمقدورى الآن أن أدرك قبح محياها للمرة الأولى. ولكن لا، ليس القبح، وإنما بالأحرى التعبير المفعم ألما، الذى يعلو وجها سحقه سوء الطالع. وبعد أن حجب القناع الجميل وجهها تكشف عن ظل الحياة التعسة هذا.

- بابا، ضع القناع على وجهك!

عاود الأطفال الإلحاف.

- الآن حان دور بابا.

- لا.

قلتها، وانبعثت واقفا. فلو أننى وضعت القناع على وجهى، ثم نزعته، لبدوت لزوجتى كائنا قبيحا. ساورنى الخوف من القناع الجميل. وأثار فى هذا الخوف شكوكا حول أن وجه زوجتى الهادئ، الباسم أبدا، قد يكون هو ذاته قناعا، أو أن ابتسامة زوجتى قد تكون مصطنعة، تماما كالقناع.

القناع ليس شيئا جميلا، والفن ليس شيئا جيدا.

كتبت برقية، لأبعث بها إلى الاستوديو فى كيونو: احذفوا مشهد القناع !

ثم مزقت البرقية، فغدت وريقات ضئيلة.

(١٩٢٩)

سليلة الساموراى

فى هدأة الأصيل، ومع انعكاس الأطراف العليا لأشجار الغابة فى شهر يونيو على سطح الماء فى حوض استحمامه، مضى يصغى لأصوات النسوة المنبعثة من حمام النساء. وتمثل ماتناهى إلى سمعه فى الثرثرة المألوفة، التى تنبعث عندما تستعرض كل امرأة صغيرها، وقد أمسكت به قبالة بطنها التى تشبه بطن الضفدع.

- هذا الطفل، ياسيدتى، لايحب الألعاب الصغيرة. وعندما يبدأ فى المشى عما قريب، فإنه سيحدث ضجة، مالم ننتقل إلى دار أكثر رحابة. وذلك هو ماكنت أحدث به زوجى.

- ياله من طفل مميز! أيها الصغير إذا حولت دارك إلى لعبة، فإنك ستصبح مثل عفريت صغير. كن بطلا أعظم من "يانا جاوا شوهاتشى"، لطفا !

- نعم، ولكن العصر اليوم، ياسيدتى هو عصر التعليم ....

- أوه، ذكرتنى، هذا الفتى الماثل ها هنا غريب للغاية، فهو مولع بالصحف والكتب المصورة، وعندما أعطيه إياها، فإنه يقبل عليها فى هدوء ولوقت طويل للغاية.

- كم هذا مؤثر فى النفس! هذا الطفل، ياسيدتى، يلتهم الأشياء التى من قبيل الصحف التهاما، بل أنه يمزق الكتب المصورة ويأكلها، ويدس كل شئ فى فمه، وقد عجزت تماما عن ملاحقته وتدارك ما يفعله فى هذا الصدد.

- طيب، هذا الفتى لايفعل شيئا كدس الأشياء فى فمه.

- إنه جميل للغاية، ويشبه صغيرا لا يحب الأكل على الإطلاق.

أطلقت النساء، عندئذ، تلك الضحكة النسائية الحادة، التى تبدو ودودة لكنها لا تفصح عن شئ.

لدى خروجه من حوض استحمامه، ألقى نظرة عابرة على حمام النساء. وفى صقال مرآة غرفة ارتداء الملابس كانت نهود كالأخطبوط النافق، ورؤوس أطفال كتلك النهود تهتز على نحو متقلقل من جراء الضحك.

وعلى نحو مماثل تماما لانقطاع صحو في موسم مطير، كانت كومة من الحصى تجف إلى جوار جانب الطريق المبتل، وفوقها سحبت فتاة ذات بشرة جميلة لوح الرسم على حجرها، قريبا من صدرها، عندما رأته.

- إنه الفنان القادم من هناك.

همست بها للفتيات المجاورات لها، وقد احمر وجهها خجلا، وأشارت باتجاه مرسمه. اجتذبه خفرها، فحدق فى لوح الرسم الذى أدنته من صدرها، فألفى عليه لوحة بالألوان المائية تصور الكوخ ذا السقف المكسو بالأغصان الواقع على الجانب المقابل من الطريق مباشرة، ولكن بدلا من التطلع إلى لون السقف، تطلع برفق إلى لون ثديي الفتاة الناهدين هونا داخل ملابسها الصيفية المحبوكة. وامتدت ساقاها العاريتان على الحصى كسويقى زهرتين.

- هلا أريتنى رسمك !

وضع يده، وهو يقولها، على لوح الرسم. ومن دون توقع سقط اللوح مبتعدا عن صدرها فى يسر، فندت عنها صرخة حادة.

- أماه !

أجفل الفنان، والتفت إلى الوراء. كانت المرأة التى رفعت صغيرها عاليا، قبل قليل، تقف عند بوابة الدار الواقعة عبر الطريق. انبعثت الفتاة واقفة، من دون أن تنظر إلى الأم التى نادتها، وذلك على نحو فجائى، فيما غلبه التردد. بدا الأمر كما لو أن زهرة بيضاء قد دفعت باتجاهه. تطلعت الفتاة خلسة إلى اللوحة المائية الموجودة فى يده، وانزلقت هابطة كومة الحصى. اختفت الأم فى الدار، ووقفت الفتيات الأخريات بدورهن، ورحن ينتظرن نقده للوحة.

- هل هذه دارك الواقعة هناك؟

- نعم هى كذذلك.

- أخوك الصغير هو أصغر قراء الصحف فى العالم سنا.

أمالت الفتاة رأسها كسنونوة. ابتسم ابتسامة رقيقة، وأمطرها بالمزيد من السخرية:

-داركم هى مسكن سلالة ساموراى(١٠). هذا أمر واضح.

كان فى طريقه من الحمام وإليه قد اعتاد على التطلع إلى اللوحة غير المألوفة التى تحمل الاسم والموجودة على دار الفتاة "أوكياما كانيتاكى، سلالة ساموراى قبيلة داتى" . وعندما فكر فى الرجل الذى كان لايزال بمقدوره أن يأخذ على عاتقه عناء وضع هذه اللوحة خارج هذه الدرا العتيقة المؤجرة فى إحدى ضواحى طوكيو، لم يستطع الحيلولة دون ارتسام ابتسامة ساخرة على

شفتيه. وكان كل ما توارد على ذهنه لدى تفكيره فى قبيلة "داتى" هو فيلم بعنوان "ياناجاوا شوهاتشى" كان قد مضى لمشاهدته كنوع من الترفيه فى بلدة ريفية تحفل بالينابيع الحارة. وعندما أدرك أن المرأة التى كانت فى الحمام، والتى حدثت الطفل الصغير بأن عليه أن يكون بطلا أعظم من "ياناجاوا شوهاتشى" هى زوجة سليل الساموراى، أحس بأنه يود أن يلطم ركبتيه بيديه وينفجر ضاحكا. تجلت له بوضوح وحيوية حياة هذه العائلة من خلال القصة التى دارت حول الصغير الذى يتصفح الجرائد والكتب المصورة. ولكن ربما كانت زوجة سليل الساموراى لاتعرف عن قبيلة زوجها ما يتجاوز اسم بطل القصة التى يضمها كتاب. ألم تقبل هذه الفتاة التى ترتدى ثوبا غريبا يعكس العفوية فى الاختيار والمظهر، محلقة من الدار ذات اللافتة المتعاظمة تماما كأى سنونوة؟ والسنونوات لاتعرف السخرية.

– الألوان جيدة، لكن كونى أكثر تحررا بالنسبة للخطوط، ولا تصورى كسليلة ساموراى!

أراد أن يقول، على سبيل المثال، ارسمى خطا كخط ساقك، العارية حتى مطالع الفخذ. ولم تحر الفتاة حيال هذه السخرية الثالثة بدورها إلا الابتسام، وقد ازدادت شبها بزهرة بيضاء.

– إذا كنت تحبين اللوحات، فتعالى إلى دارى، حيث لدى كل أنواع كتب اللوحات.

– هل يمكننا الذهاب إلى هناك توا؟

عندما أومأ موافقا، ارتسم التصميم على ملامحها، ومضت وراءه بنشاط. مضى يصفر لحن أغنية لاهية ليخفى ابتسامته الساخرة، وغذ السير متطلعا إلى قدميه. أدرك، فجأة، أن هذه الفتاة بدورها هى سليلة ساموراى. لقد جمعت حولها فتيات هذا الحى المتواضع بينما هى ترسم لوحة بالألوان المائية، ومضت تغازله، هو الفنان، ونادت أمها، وتركت رفيقاتها، وأقبلت معه وحيدة إلى داره، لقد قامت بكل هذه الأمور لأنها أرادت الاحساس بأنها، بدورها، سليلة ساموراى.

أرخى راحة يده على كتف الفتاة، كما لو كان يلطمها، وكرس قوة فى أصابعه وكأنه يريد أن يفتت سليلة الساموراى هذه، وقال:

– سوف أرسمك فى لوحة.

– أوه، ذلك يسعدنى أشدالسعادة. هل ستفعل ذلك حقا؟

– سأقوم بذلك حقا. اليوم سأرسمك فى هذا الثوب الأبيض، ولكن لابد أنك تعرفين من ارتياد المعارض أن الفنان لايمكنه أن يرسم جسدا بشريا إلا إذا كان عاريا. مالم تكونى عارية فليس بمقدورى أن أرسم جمالك الحق. فى المرة المقبلة، هل تقفين أمامى عارية لأرسمك؟

أومأت الفتاة موافقة، وقد توتر محياها، مفصحا عن الإذعان كمحيا عروس. وأدهشه ذلك كأنما اخترق دبوس جلده.

غير أن ذلك بدا أيضا بمثابة الشجاعة الفائقة التى تبديها فتاة تنحدر من صلب ساموراى. لماذا؟ لأنه عندما انفرد بالفتاة فى المرسم، بدأ الشعور بالروح الأخلاقية للساموراى بين جوانحه، على الرغم من أنه، شأن الطفل الصغير الذى يلتهم الصحف، أراد أن يغوص بأسنانه فى لحمها ويلتهمها التهاما، صعودا من ساقيها اللتين تشبهان ساقى زهرة، هذه الفتاة المنحدرة من صلب ساموراى.

(١٩٢٩)

الديك والفتاة الراقصة

كرهت الفتاة الراقصة الأمر، بالطبع. كرهت حمل ديك تحت إبطها، أيا كان مدى تأخر الوقت وإيغال الليل فى مسيرته خلال قيامها بذلك.

لم تكن الفتاة الراقصة هى التى تعنى بالدجاج. وإنما كانت أمها هى التى تقوم بذلك.

ولو قدر للفتاة أن تغدو راقصة عظيمة، فإن أمها ستكف عن العناية بالدجاج.

- إنهن يؤدين التمرينات الرياضية عاريات على السقف.

استبد الذهول بأمها.

- ليس من يرقص فتاة ولا اثنتين، وإنما هناك أربعون أو خمسون فتاة، تماما كما فى مدرسة الفتيات. عاريات... طيب، سيقانهن عارية.

تدفق السنا الربيعى منهلا من السقف الأسمنتى. أحست الفتيات الراقصات بأذرعهن وسيقانهن تمتد وكأنه شتلات أشجار خيزران صغيرة.

- حتى فى المدارس الابتدائية، لم تعد ممارسة التمرينات الرياضية تتم على الأرض.

كانت أم الفتاة قد جاءت من حجرة تغيير الملابس للقاء ابنتها.

- لقد صاح الديك ليلا. هذا هو سبب قدومى، فقد خطر لى أن سوءا حل بك.

انتظرت الأم فى الخارج حتى انتهاء البروفات.

- اعتبارا من الغد سأرقص عارية أمام الجمهور.

لم تكن قد أبلغت أمها بالأمر من قبل. أضافت:

- كان هناك رجل غريب ها هنا. وكان فى حمام حجرة تغيير الملابس إلى جوار الموضع الذى انتظرت فيه مباشرة. قال أحدهم أن هناك رجلا كان يقف هناك متطلعا فى شرود على امتداد ساعة ... على الرغم من أن النافذة عالية والثلج يضبب زجاجها. وماكان بمقدوره حتى أن يلمح ظلا. قالوا إنه اكتفى بمراقبة القطرات التى تكونت على الزجاج وهن ينطلقن ركضا بحذاء النافذة.

- لا عجب أن الديك صاح ليلا.

كانت هاك عادة تتمثل فى التخلى لمعبد "كانون" فى "أساكوسا" عن الديكة التى تصيح ليلا. وكانوا يقولون إنك بالقيام بذلك يمكنك تجنب حلول كارثة بك.

ومن الجلى أن الديكة التى عاشت وسط حمائم معبد كانون كانت جميعها بمثابة حاملين مخلصين للنذر الموجهة إلى من قاموا برعياتهم.

ذهبت الفتاة إلى دارها فى مساء اليوم التالى، ثم مضت عائدة إلى "اساكوسا". عابرة جسر "كوتوتو" من "هونجو". وكانت تحمل ديكا ملفوفا فى قماش تحت إبطها.

فكت الحزمة فى معبد "كانون". وما إن لمس الديك الأرض حتى رفرف بجناحيه، وانطلق مبتعدا على وجه السرعة.

- الديكة بلهاء حقا.

ساورها شعور بالإشفاق على الديك، الذى ربما كان قد جثم خائفا، وسط الظلال، وتطلعت حولها باحثة عنه، لكنها لم تستطع العثور عليه.

ثم تذكرت أنها قيل لها أن عليها أن تبتهل.

- ياصاحب المعبد، هل رقصت مرة منذ وقت بعيد؟

قالتها، وقد أحنت رأسها، وعندما رفعتها، أجفلت.

حدقت فى الأغصان العالية لشجرة "جنكو" ورأت أربعة ديكة او خمسة، وهى تصيح.

- ترى ما الذى حل بذلك الديك.

فى الطريق إلى المسرح، توقفت الراقصة أمام معبد كانون.

بدأ الديك الذى كانت قد حملته أمس الأول فى الاقتراب منها، احمر وجهها خجلا، ولاذت بالهرب، فطاردها الديك.

حدق الناس فى الحديقة فيها، وقد فغروا أفواههم، بينما الديك يطاردها.

يوما عقب الآخر، أصبح الديك طائرا بريا وسط حشود الناس الذين يمضون فى الحديقة.

بدأ يحلق جيدا، واكتسى جناحاه بالغبار، وتحول لونهما إلى اللون الأبيض. ولكنه مضى يلتقط بمنقاره حبات اللوبيا إلى جانب الحمام، باللامبالاة التى يبديها أحد الجانحين من أحداث "أساكوسا"، ويتأرجح فى مشيته فوق صندوق نزور المعبد.

لم تحاول الفتاة الراقصة بعد ذلك قط المرور أمام معبد "كانون".

وحتى لو أنها كانت قد مرت بجواره، فإن الديك قد نسيها.

فى دار الفتاة الراقصة، فقس البيض، وخرج منه عشرون من الصيصان.

- ربما ليس من نذر السوء أن تصيئ الصيصان ليلا.

- بالنسبة للبشر، فإن الطبيعى أن يصرخ الطفل ليلا.

- من الغريب بالنسبة لأحد الكبار أن يصرخ ليلا.

نطقت الفتاة الراقصة بهذه الكلمات التافهة، لكنها بدأ يساورها الشعور بأنها لها معناها.

غالبا ماكانت تسير مع فتية من الطلاب. ويبدو أن الفتيات الراقصات اللوات لسن مميزات فى رقصهن على نحو خاص يسرن، فى بعض الأحيان، مع الطلاب .

عندما وصلت إلى الدار قالت أمها:

- ترى ما الأمر. لقد صاح ديك ليلا من جديد. امضى وابتهلى فى معبد كانون.

شعرت الفتاة بأن سرها قد انكشف، لكنها ابتسمت، محدثة نفسها: "عشرون صوصا خرجت من بيضها. وهكذا فربما كان صياح الديك يعنى أنه لابأس بسيرى مع عشرين رجلا، وهذا كاف طوال العمر."

ولكنها كانت على خطأ، حيث لم تكن إشارة الديك المستقبلية متعلقة بمصاحبة الطلاب.

تعقب رجل غريب خطى الفتاة الراقصة، وهى تحمل الديك ملفوفا بالقماش على شكل حزمة تحت إبطها. ولكن الفتاة، بسبب الديك كانت تحس بالحرج بأكثر مما تشعر بالخوف، ثم أن الفتاة الخجولة -ذلك صحيح- يتعين علينا أن نهتف بها محذرين إياها.

من المؤكد أن مشهد فتاة راقصة تحمل ديكا كان مشهدا غريبا، ويقينا أن الرجل حدث نفسه بأن الموقف موات لما يريده.

- أيتها الشابة، ألا تودين المشاركة فى خطة للحصول على مال وفير معى؟ إننى أفتش فى سلة النفايات، كل يوم، عند المسرح الذى ترقصين فيه، لا لألتقط اللقم أو أى شئ من ذلك القبيل، فالنفايات مليئة بالرسائل العاطفية الموجهة إلى الراقصات، وهى رسائل يلقين بها بعيدا.

- أوه؟

- لقد فهمت ما أرمى إليه. أليس كذلك؟ بإمكاننا استغلال تلك الرسائل فى الحصول على قليل من المال من الرجال، الذين كانوا من الحماقة بحيث يبعثون بها للراقصات. ولو كان لدى شخص فى صالة الرقص يمكن أن يساعدنى، فذلك من شأنه أن يجعل العمل أسهل بكثير.

حاولت الفتاة الهرب بعيدا، لكنه أمسك بها فى إحكام. ومن دون تفكير دفعت الفتاة بوجهه جانبا بيدها اليمنى، اليد التى تمسك بالديك.

دفعت بالحزمة، بما فيها الديك والقماش، فى وجه الرجل، فرف الديك بجناحيه. وكيف كان يمكن للرجل أن يحتمل ذلك؟

لاذ الرجل بالهرب صارخا، فلم يكن يعرف أن ما رف فى الحزمة ديك.

فى صبيحة اليوم التالى، وعندماحاولت الفتاة السير أمام معبد كانون، كان ديك الليلة الماضية هناك، وأقبل مسرعا إلى قدميها. كتمت ضحكة أوشكت أن تصدر عنها، ولكنها فى هذه المرة لم تهرب، وإنما غادرت المكان فى هدوء.

ما إن دخلت غرفة تغيير الملابس، حتى قالت:

– احرصن جميعا، لطفا، على رسائلكن، دعنا لانلقى بها فى سلة المهملات، ولنرسل تحذيرا فى هذا الشأن إلى المسارح الأخرى، حماية للأخلاق العامة.

ربما بهذا، بالطبع، ستصبح الفتاة راقصة عظيمة.

(١٩٣٠)

تجـــميل

تواجه نافذة حمامى مرحاض قاعة "ياناكا" الجنائزية، والفراغ الضيق القائم بين المبنيين هـو المكان الذى تتخلص فيه القاعة من نفاياتها، حيث يلقون بعيدا بباقات الزهور الجنائزية.

كان ضجيج الحشرات الخريفية قد ارتفع عاليـا فـى المقبرة التابعـة للقاعـة الجنائزيـة، علـى الرغم من أن مسيرة الخريف لم تتجاوز بعد منتصف سـبتمبر. وضعـت يـدى علـى كتـف زوجتـى ومضيت بها وبأختها الأصغر سنا عبر الدهليز لأريها شيئا. كان الليل قد حل. بينما كنت أفتح باب الحمام فى نهاية القاعة، فعمت أنفى رائحة زهور الأقحوان. دهشت زوجتى وأختها، وانحنتا باتجاه النافذة فوق حوض الغسيل. كانت النافذة تبدو مزدهرة بزهور الأقحوان البيضـاء. انتصبت عشرون باقة بصورة متتابعة، كجزء مما تخلف عن إحدى الجنازات. وبينما مدت زوجتى يدها كأنما لتـأخذ زهرة، مضت تتساءل، بصوت عال، كم من السـنين مضـت منـذ رأت كـل هـذا العدد مـن زهـور الأقحوان دفعة واحدة.

أضأت النور، فتألق ورق تغليف الباقات الفضى. وبينما عكفت على العمل فـى تلـك الليلـة، كانت رائحة زهور الأقحوان تفعم أنفى فى كل مرة أمضى إلـى الحمـام، وأحسسـت بإعيـاء العمـل طوال الليل يتبدد فى عبق الزهور. وفى نهاية المطاف، وفى ضوء االنهار، بدت الزهور البيضـاء أشد بياضا وشـرع الـورق الفضـى فـى التوهـج. وبينمـا كنـت عاكفـا علـى عملـى، لاحظـت طـائر كنارى، جاثما فوق الزهور، وربما كان طائرا تم إطلاقـه فـى حفـل الأمـس الجنـائزى، اسـتبد بـه الإعياء، ونسى أمر إعادته إلى متجر الطيور.

وعلى الرغم من أن هذا المشهد كان جميلا، إلا أننى كنـت مضطـرا كذلـك إلـى التطلـع مـن نافذة حمامى إلى الزهور الجنائزية. فى أيـام أخـرى، وهـى تتحلـل. وحتـى الآن، وأنـا أكتـب هـذه السطور فى بداية مارس، فقد شاهدت باقة من زهور الجريس والورود الحمراء على امتداد أربعـة أيام أو خمسة، وأنا أتساءل عن النحو الذى ستتبدل به الألوان بينما الباقة تذوى.

أتمنى لو أن هذه الزهور كانت فوق نباتات حية.

وأنا مجبر كذلك على النظر إلى الناس فى نافذة مرحاض القاعة الجنائزية، هناك الكثير من الشابات. ويبدو أن عددا محددا من الرجال يمضى إلى المرحاض، وكلما طال مكوث النساء المتقدمات فى العمر فى المرحاض، قل شبههن بالنساء. ومعظم الشابات يقضين هنالك لحظة، ثم يضعن لمسات التجميل على وجوههن. وعندما أرى هامة النسوة فى ثياب الحداد، وهن يتجملن فى المرحاض، ويستخدمن أصابع أحمر شفاه قاتمة اللون، فإن الرعدة تأخذنى، وأتراجع، كأننى رأيت الشفتين الدمويتين لشخص لعق جثة. يبدو عليهن جميعا الهدوء واستتجماع شتات النفس، وتفصح أجسامهن عن شعور بالخطيئة، كأنهن يقترفن فعلة شريرة خلال اختبائهن.

لا أريد مشاهدة مثل هذا التجمل الفظيع، ولكن النافذتين تواجه إحداهما الأخرى طوال العام، وهكذا فإن مثل هذه الحوادث المثيرة للاشمئزاز ليست من الأمور نادرة الوقوع على الإطلاق. وأنا أسارع على الدوام بالنظر بعيدا. وأحدث نفسى بأننى ربما أبعث برسائل للنساء اللواتى يرقن لى،. أبلغهن فيها بأن عليهن ألا يمضين إلى مرحاض قاعة "ياناكا" الجنائزية، حتى لو أقبلن لشهود الجنازة، وذلك لإبعادهن عن هاته الشمطاوات.

على أى حال، لقد رأيت ذات يوم فتاة فى السابعة عشرة، أو الثامنة عشرة من عمرها فى نافذة المرحاض، وهى تمسح دموعها بمنديل أبيض. وعلى الرغم من أنها مسحت عينيها مرارا وتكرارا، إلا أن الدموع واصلت التدفق. ارتجفت كتفاها وهى تنخرط فى البكاء. وفى نهاية المطاف، عندما أطبق الحزن قبضته عليها، انحنت قبالة الجدار، واستسلمت لدموعها من دون قدرة على تجفيف وجنتيها.

كانت الوحيدة التى لم تحضر إلى هذا المكان لتختبئ وتضع لمسات التجميل. وإنما من المؤكد أنها جاءت لتحتجب عن العيان ولتنخرط فى البكاء.

اكتسحت هذه الفتاة بعيدا المشاعر السيئة نحو النساء التى نمت فى إعماقى من جراء النظر عبر تلك النافذة. ولكن،عندئذ، ومن دون توقع، أخرجت الفتاة مرآة صغيرة، وارتسمت على شفتيها ابتسامة سريعة، وغادرت المرحاض مسرعة. فاستبدت بى الدهشة، وشعرت بأن أحدهم ألقى على ماء باردا، وكدت أهتف بها مناديا.

كانت تلك ابتسامة محيرة.

(١٩٣٠)

الزوج والرباط

من المؤكد أنه ليس هناك شك فى أن الأزواج مرتبطون بزوجاتهم.

ومع ذلك، فإنه يحدث فى بعض الأحيان أن الزوج يربط بالمعنى الحرفى للكلمة، من يده أو قدمه، بخيوط أو أسلاك، أو ما إلى ذلك، إلى زوجته. وعلى سبيل المثال، فإن الزوجة عندما تمرض. ولا تستطيع مبارحة فراشها، ويمضى الزوج فى رعايتها، فإن المريضة يتعبها أن ترفع صوتها على نحو كاف لإيقاظ الزوج النائم. وربما كانت الزوجة المريضة تنام بمفردها، والزوج ينام فى فراشه. فكيف يمكن للزوجة أن توقظ الزوج فى منتصف الليل؟ إن أفضل طريقة هى ربط خيط فى ذراع الزوج، وعندما يحين الوقت، يتم جذب هذا الخيط.

والزوجة الراقدة فى فراش المرض هى مخلوقة يستبد بها الشعور بالوحدة. فلنقل إن الريح قد هبت فأطاحت بوريقات من الشجرة، أو أنه تراءى لها حلم أقض مضجعها، أو أن فأرا أحدث جلبة أيقظتها، فلسوف توقظ الزوج متعللة بذريعة أو بأخرى لتحادثه. ومن شأن حقيقة أنه غاف إلى جانبها، وهى مؤرقة، أن تبعث الضيق فى نفسها.

- مؤخرا لم تعد تستيقظ عندما أجذب الخيط، أريد أن أعلق جرسا صغيرا فى الخيط، جرسا فضيا.

لسوف تقول الزوجة هذا وهى تفتعل هذه اللعبة البهيجة، وهكذا فإنه، على سبيل المثال، فى قلب الليل الخريفى، أى موسيقى كئيبة تلك التى ستصدر عن ذلك الجرس الذى ستوقظ به الزوجة طريحة الفراش زوجها.

الآن، صحيح أن "رانكو" كانت تربط زوجها بخيط يلتف حول ساقه. ولكنها كانت امرأة عاشقة للموسيقى المتدفقة بالحياة، النقيض على وجه الدقة للموسيقى الكئيبة التى تصدر عن جرس الزوجة العليلة، حيث كانت راقصة فى المسرح الغنائى الساخر. ومع ازدياد برد الخريف كانت "رانكو" تحس بلذعته، وهى تترك بصمتها على لحمها العارى الذى يعلوه الزرور، ولكن الرقص على إيقاع موسيقى الجاز كان يجعل العرق يكسو سريعا مواد تجميلها. ترى منذا الذى كان

بمقدوره، إذ يحدق فى ساقيها، وهما توغلان فى الرقص، كأنهما تحظيان بحياة خاصة بهما، أن يتصور أنهما مرتبطان بزوج لا ثانى له؟ وفى الحقيقة فإن الزوج لم يربط ساقيها، وإنما هى التى ربطت إحدى ساقى زوجها.

كانت الساعة تدق العاشرة، لدى إغلاق المسرح وولوجها حمام حجرة تغيير الملابس. وماكان بمقدورها إلا فى أربع ليال من كل عشر ليال أن تتمكن من العودة إلى الشقة قبل أن يلفها الشعور بالبرد الشديد، الذى يعقب الحمام. أما فى الليالى الست الأخرى فقد واصلت البروفات حتى الساعة الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل، وربما حتى انبلاج الفجر. وعلى الرغم من أن البناية السكنية التى تقيم بها، قرب حديقة "أساكوسا"، قد ضمت بين سكانها العديد من العاملين بالمسرح، إلا أنها كانت توصد أبوابها االخارجية بحلول الواحدة بعد منتصف الليل.

– لدى خيط يتدلى من غرفتى بالطابق الثالث.

ندت عنها هذه الكلمات، عفو الخاطر، ذات ليلة فى غرفة تبديل الملابس. أضافت:

– الخيط مربوط فى ساق ذلك الشخص. وعندما أجذبه من أسفل، فإنه ينخر، وينهض من نومه.

– آه، ضلع مساعد حقيقى. أليس كذلك؟

(فى عالم المسرح يقال للرجل الذى يعيش من كد امرأة "ضلع مساعد")

– لقد قلت شيئا فظيعا، ياسيدة رانكو، وهو أمر خطير، فعلى سبيل المثال، ماذا لو أننى مضيت وجذبت ذلك الخيط؟ إن ذلك الشخص، بحكم استيقاظه لتوه من النوم، سيحدث نفسه قائلا: "إنها السيدة رانكو" ويبادر إلى فتح الباب. وحتى إذا صعدت إلى الطابق الثالث، فإنه لن يلاحظ أن فى الأمر ماليس مألوفا. لسوف أذهب إلى هناك توا. وأجرب ذلك. شكرا لك لإبلاغى بالأمر.

لو أن هذا المزاح لم تترام أصداؤه إلى خارج حجرة تغيير الملابس، لكان هذا أمرا طيبا وجيدا، غير أن سر الخيط بلغ مسامع مجموعة من الشبان الجانحين، الذين يرتادون المسرح. وكانوا يحصلون على بطاقات مجانية لدخول المسرح من مصدر ما، ويجلسون معا فى مجموعة ملتفة فى شرفة المسرح، ويعكفون على الهتاف بأسماء الراقصات اللواتى يرقصن على المسرح. وتحدثوا عن الذهاب لجذب خيط "رانكو".

– الليلة، قد يجئ بعض الأوغاد من صبية الحوانيت هؤلاء، ويجذبون الخيط ....

عندما اتصلت "رانكو" هاتفيا بالشقة، من حجرة تغيير الملابس، رد زوجها بصوت ناعس.

– هل الأمر كذلك؟ سأسحب الخيط إلى أعلى إذن.

- لا، لاتفعل ذلك، فلدى فكرة طيبة.

قالتها، وهى تبتسم أمام سماعة الهاتف. أضافت:

- إنهم ليسوا إلا صبية حوانيت مشاكسين، ولكنهم يهتفون بإسمى عندما أظهر على خشبة المسرح. وهم بمثابة وكلاء دعاية مهمين بالنسبة لى. وأنا أفكر فى شكرهم بطريقة بارعة. وسيكون من المناسب الاستعانة بشئ يؤكل، مثل كعك الفاصوليا. أرجو أن تربط بعض الكعكات بالخيط. فهم ربما لم يتناولوا شيئا منذ الصباح، وسيبتهجون كثيرا. وسيقولون كم أنا سيدة بارعة، وستزداد شهرتى عن ذى قبل.

- أوه -هه.

على الرغم من أن الشاعر، الذى أناخ عليه الفقر، قد وافق، خالطا التثاؤب مع موافقته، إلا أنه لم يكن لديه من المال مايكفى لشراء هذه الكعكات. وعندما تطلع فى أرجاء الغرفة، لم يكن هناك شئ إلا باقة زهور جلبتها "رانكو" من السرح.

الآن، طيب، هل انتهى تماما النبل المتمثل فى استشعار السرور من جراء الحصول على الزهور على نحو يفوق الحصول على الخبز.

عندما قام الفتية، وهم يضحكون ضحكة نصف مكبوتة، بجذب الخيط لم يجدو مقاومة، خلافا لما توقعوه، وسقط عليهم شئ ملفوف فى ورق جريدة، وهو يصدر حفيفا. ماهذا؟ تطلعوا إلى أعلى، لكن نافذة الطابق الثالث كانت موصدة. وعندما فتحوا اللفافة وجدوا زهورا، وزهورا، ومزيد من الزهور. كانت هى الزهور التى انتزعها زوج رانكو من الباقة، فعلت أصوات الشباب بالهتاف.

- يالها من سيدة ماهرة!

- أداء رائع! أننا معجبون بها حقا!

- دعونا نلق بهذه الزهور على خشبة المسرح عندما ترقص "رانكو" غدا !

دس كل منهم زهرة فى زنار الكيمونو الذى يرتديه، وامتلأت أكمامهم بالزهور، وانطلقوا مبتعدين.

- أيها الشباب، ربما لم تكن "رانكو" هى التى فعلت هذا.

- صحيح، ربما كانت لاتزال فى المسرح.

- لا بد أن زوجها هو الذى فعل هذا.

- أليس ذلك أفضل؟

فى الليلة التالية، ألقوا بتلك الزهور على خشبة المسرح، عندما مضت "رانكو" ترقص.

غير أنه بما أن "رانكو" إحدى راقصات "أساكوسا"، فلم تكن عودتها إلى البيت متأخرة راجعة إلى البروفات الليلية. فهى غالبا ماكانت تمضى مع زميلاتها الراقصات إلى مطعم يقدم وجبات المعكرونة فى حى الهوى فى "يوشيوارا"، حيث يمكنك تناول الشراب حتى الثالثة بعد منتصف الليل. وكان الزبائن يدعونها كذلك إلى حجرة الممثلين الخضراء التى يمكن قضاء الليل فيها بطوله. وقد رأى فتية الحوانيت ذلك، ومنذ هدية الزهور أصبحوا حلفاء زوج "رانكو".

- دعونا نلقن "رانكو" درسا. لسوف يمضى بعضنا فى نزهة مع زوجها. وبينما هى فى الخارج، سيذهب أحدنا إلى الشقة، ويربط ملابس "رانكو" فى حزمة مع أدوات التجميل ويربطهما بالخيط. وعندما تعود "رانكو"، وقد استبد بها السكر، وتجذب الخيط، فإن الحزمة ستسقط عليها وستصلها الرسالة : " أيتها الزوجة انصرفى" تلك هى الخطة.

فى الليلة التى استكملت فيها الترتيبات كلها، على نحو ماهر، وثب أحد فتية الحوانيت على "رانكو" بينما كان أحد الزبائن يمضى بصحبتها.

- ألا تخشين أن يطردك زوجك إذا مضيت تعبثين على هذا النحو؟

- عفوا، ولكننى أربط زوجى بخيط.

(١٩٣٠)

عادة فى الرقاد

أجفلت من جراء ألم حاد، كأنما شعرها يحتذب جذبا، واستيقظت ثلاث مرات أو أربع. ولكنها عندما أدركت أن خصلة من شعرها الفاحم قد التفت حول عنق حبيبها، ابتسمت لنفسها. وفى الصباح، مضت تحدث نفسها قائلة: "شعرى طويل الآن. وعندما نرقد معا، فإنه يزداد طولا حقا".

بهدوء تغمض عينيها.

- لست أرغب فى النوم. لماذا ينبغى أن ننام؟ وحتى على الرغم من أننا عاشقان، فما أغرب أن نضطر للنوم من بين كل الأشياء!

فى الليالى التالية التى لايكون هناك بأس ببقائها معه، كانت تقول هذا لنفسها، كأنه لغز بالنسبة لها.

- سيتعين عليك القول إن الناس يتطارحون الغرام، على وجه الدقة، لأنهم يتعين عليهم النوم. حب لايعرف النوم ... إن الفكرة نفسها تبعث على الخوف. شئ ابتكرته هولة رهيبة.

تلك هى الحقيقة، فما إن تغفو، حتى يسحب ذراعيه من تحت عنقها، ويقطب من دون وعى، وهو يفعل ذلك. وهى بدورها، وأيا كان شكل عناقها له كانت تجد عندما تستيقظ أن القوة قد تسربت من ذراعها.

وكانت تلف ردن الكيمونو الذى ترتديه ليلا حول ذراعه، وتحكم الإمساك به. ولكن الحال ظلت على ماهى عليها، فقد كان النوم يسرق القوة من أصابعها.

- ليكن، إذن، فكما يقول القول السائر القديم: لسوف أقيدك بحبل مجدول من شعر امرأة .

وإذ تقول هذا، فإنها تلف خصلة طويلة من شعرها الأسود الفاحم حول عنقه.

غير أنه فى ذلك الصباح ابتسم حيال ماقالته.

- ماالذى تقصدينه بأن شعرك قد ازداد طولا؟ إنه مشعث إلى حد أنك لايمكنك تمرير مشط فيه.

بمرور الوقت، نسيا هذاالنوع من الطرح. فى تلك الليالى كانت تنام كأنها نسـيت أنـه هنـاك. ولكن إذا تصادف أنها استيقظت، فإن ذراعها كانت على الدوام تمسه، وذراعه تمسها. والآن، وقـد كفا عن التفكير فىالأمر، أصبح ذلك عادتهما فى الرقاد.

(١٩٣٢)

مظـــلة

لم يكن المطر الربيعى من الغزارة بحيث يجعل الأشـياء تبتـل. كـان خفيفـا حتـى ليوشـك أن يشبه الضباب، ولاتتجاوز نداوته مايرطب البشرة قليلا. انطلقت الفتاة تعدو إلـى الخـارج، ولمحـت مظلة الفتى.

- أوه، إنهاتمطر.

بينما كان الفتى يمر أمام المتجر، فتح مظلته ... ليحجب خجله بأكثر من حمايته لنفسـه مـن المطر.

وعلى الرغم من ذلك، فقد مد يده الممسكة بالمظلة نحو الفتاة، فوضعت كتفـا واحـدة تحتهـا. وشرع الفتى يبتل الآن، ولكنه لم يستطع إجبار نفسه على الاقتراب بشكل أكبر مـن الفتـاة، ليسـألها عما إذا كانت ستشاركه الاحتماء بها. وعلـى الرغـم مـن أنهـا أرادت أن تضـع يدهـا علـى مقبـض المظلة مع يد الفتى، إلا أنها بدت كأنما توشك على الركض بعيدا.

مضيا كلاهما إلى ستديو المصور الفوتوغرافى، فوالد الفتى يوشك علـى أن ينقـل فـى إطـار وظيفته بالخدمة المدنية، وهذه الصورة ستكون صـورة وداعهما.

- أتجلسان معا هنا لطفا؟!

قالها المصور، وهى يشير نحو الأريكة. ولكن الفتى لم يسـتطع الجلـوس إلـى جـوار الفتـاة، وإنما وقف وراءها، وهو يمسك عباءتها بخفة، باليد التى أرخاها على ظهر الأريكة، وقـد أراد أن يشعر بأن جسديهما متصلان على نحو من الأنحاء. وكانت تلك هـى المرة الأولـى علـى الإطـلاق التى يمسها فيهـا. وجعلتـه حـرارة الجسـم، التـى كـان بمقـدوره أن يستشـعرها مـن خـلال أطـراف أصابعه، يحس بالدفء الذى كان يمكن أن يغمره لو أنه قدر له أن يعتنقها عارية.

لسوف يتذكر، طوال عمره، دفء جسمها، عندما يتطلع إلى هذه الصـورة.

- أتودان أن ألتقط صورة أخـرى؟ بمقـدورى التقـاط صـورة عـن قـرب أكـبر لكمـا أحدكمـا بجوار الآخر.

اكتفى الفتى بالإيماء موافقا.

همس للفتاة قائلا:

– ماذا عن شعرك؟

تطلعت إليه، وتضرجت وجنتاها خجلا، وتوهجت عيناها بنشوة متألقة، ومضت مذعنة إلى الحمام.

كانت، عندما رأت الفتى يمر بجوار المتجر في وقت سابق، قد انبعثت واقفة، من دون أن يتاح لها من الوقت ماترتب فيه شعرها. والأن ساورها الشعور بالقلق لأن شعرها مشعث، كأنما أزالت عنه لتوها الغطاء الواقي الذي تضعه خلال الاستحمام. واستبد بها الخجل إلى حد أنها لم تستطع البدء في ترتيب خصلات شعرها النافرة على نحو سليم أمام رجل، ولكن الفتى كان قد حدث نفسه بأنه سيجعلها أشد شعورا بالإحراج لو أنه طلب منها أن ترجل شعرها مجددا.

وبينما كانا يوشكان على مغادرة الاستديو، تطلع الفتى حوله بحثا عن المظلة، ثم لاحظ أن الفتاة قد سبقته، وأمسكت بها. وعندما لاحظت أن الفتى يرمقها، خطر لها فجأة أنها قد أخذت مظلته، وجعلتها الفكرة تجفل، ترى هل أظهر تحركها العفوي للفتى أنها تشعر بأنها بدورها تنتمي له؟

لم يستطع الفتى أن يعرض عليها الإمساك بالمظلة، ولم تتمكن هي من إجبار نفسها على تسليمها له. كان الطريق يبدو الآن بشكل من الأشكال مختلفا عن ذلك الذي أقبلا عبره إلى استديو المصور، فقد أصبحا كلاهما فجأة، من الكبار، وعادا إلى داريهما، وهما يشعران كأنهما زوجان ... حتى وإن اقتصر هذا الشعو على حادثة المظلة هذه.

(١٩٣٢)

قناع الموت

لم يدر كم كان لها من العشاق قبله. ولكنه كان من الجلى، على أى حال، أنه سيكون العاشق الأخير، لأن حتفها كان يدنو وئيدا منها.

– لو أننى علمت أننى سأموت سريعا على هذا النحو لتمنيت أن القى حتفى فى تلك الأيام الخوالى.

ابتسمت ابتسامة مشرقة، وهى تقول هذه الكلمات. وحتى فيما هو يحتضنها، بدت النظرة المرتسمة فى عينيها وكأنها توحى بأنها تستعيد ذكرى الرجال العديدين الذين عرفتهم.

حتى فيما النهاية توشك على الحلول، فإنها لم تستطع نسيان جمالها، ولم يكن بمقدورها نسيان قصص حبها العديدة. ولم تدرك أن هذا جعلها تبدو متألمة.

– أراد الرجال جميعا قتلى. وعلى الرغم من أنهم لم يصارحونى بذلك، إلا أنهم أرادوه فى قرارة أنفسهم.

لم يستشعر الرجل الذى كان يحتضنها القلق حول أنه سيفقدها ليظفر بها آخر، ولذا فربما كان محظوظا بالمقارنة بعشاقها السابقين الذين عرفوا العذاب، وهم يدركون أنه مامن سبيل للاحتفاظ بقلبها إلا بقتلها. ولكنه أحس بالتعب وهو يحتضنها. لقد طاردت الهوى الجارف على الدوام. وحتى بعد مرضها، لم يكن بوسعها الرقاد فى سلام مالم تستطع الشعور بذراعى رجل حول عنقها أو على صدرها.

تفاقمت حالتها على نحو تدريجى.

– أمسك بقدمى، فهما تستشعران الوحدة على نحو لا أستطيع احتماله!

استبد الشعور بالوحدة بساقيها، كأنما الموت يزحف من أطراف أصابع قدميها. جلس عند طرف فراشها، وأمسك فى إحكام بقدميها. كانتا باردتين، كالموت. عندئذ، وبلا توقع، ارتجفت كفاه على نحو غريب. كان بمقدوره أن يحس بالمرأة المتقدة حيوية عبر قدميها الصغيرتين. نقلت هاتان القدمان الصغيرتان النشوة ذاتها، إلى راحتى الرجل، التى كان قد أحس بها وهو يمس

باطنى قدميها، وهما دافئتان ومتعرقتان. داخله الشعور بالخجل من جراء إحساسه هذا الذى لطخ قداسة موتها. ولكنه إذ راح يتساءل عما إذا كان طلبها هذا بإمساك قدميها ربما كان اللجوء الأخير من جانبها إلى غوايات الهوى، تفاقمت خشيته من أنوثتها التعسة.

- إنك تحسب أن هناك شيئا يفتقر إليه هوانا، الآن بعد أن لم تعد هناك حاجة للغيرة، ولكننى عندما أموت فإن موضوع غيرتك سيتجلى للعيان، يقينا، من مكان ما.

قالتها ولفظت نفسها الأخير.

وكان الأمر على نحو ماقالت.

أقبل ممثل فى المسرح الجديد إلى السهرة بجوار جثمانها، ووضع لمسات من التجميل على وجه الميتة، وكأنما ليبعث إلى الحياة من جديد الجمال المنتعش المتوهج بالحيوية، الذى كات تلك المرأة تحظى به خلال حبها له.

فى وقت لاحق أقبل فنان ليضع الجص على وجهها تمهيدا لإبداع قناع يحمل ملامحها(١١) وجعلت لمسات التجميل التى أضفاها الممثل من قبل وجه المرأة متدفقا بالحيوية للغاية، بحيث أنه بدا كما لو أن الفنان قد غطى المرأة بالجص حتى الموت من جراء غيرته من الممثل، وأبدع قناع الموت لكى يتذكر محياها.

وإذ رأى الرجل أن معركة الحب التى أحاطت بالمرأة لم تنته مع موتها، فقد أدرك أنه حتى موتها بين ذراعيه لم يكن إلا انتصارا عابرا، أجوف، وراح يفكر فى هذا وهو ينطلق إلى دار الفنان ليحصل منه على قناع الموت.

ولكن قناع الموت بدا شبيها بامرأة، وكذلك شبيها برجل، بدا كأنه لفتاة وكذلك لعجوز طاعنة فى السن. وتردد صوت الرجل، وكأنما النار المتقدة فى صدره قد خمدت، وهو يقول:

- هذا قناعها، ولكن ليس بقناعها. وفى المقام الأول، ليس بوسعى أن أحدد ما إذا كان لرجل أم لامرأة.

تحدث الفنان وقد كست الكآبة ملامحه:

- ذلك صحيح، فلو أنك نظرت إلى قناع موت من دون أن تعرف قناع من هو، فإنك لاتستطيع، بصفة عامة، أن تحدد جنس صاحبه. وعلى سبيل المثال، فإنه فى حالة وجه قوى كوجه بيتهوفن، إذا حدقت فى قناع موته، فإنه يبدأ فى اتخاذ شبه وجه امرأة... ومع ذلك فقد ظننت أن قناع وجهها سيكون أنثويا، حيث أنه مامن امرأة كانت تفوقها فى أنوثتها. ولكنها، شأن الآخرين جميعا.. لم تستطع إلحاق الهزيمة بالموت، فالتمييز بين الجنسين ينتهى مع الموت.

- كانت حياتها بأسرها دراما فاجعة، قوامها نشوة كونها امرأة. وحتى اللحظة الأخيرة، كانت امرأة مفعمة بالأنوثة.

مد يده، وقد ساوره شعور كأنما انتهى كابوس عانى منه وأضاف:

- إذا كانت، فى نهاية المطاف، قد نجت من هذه المأساة، فإن بوسعنا، إذن، أن نتصافح الآن ... ها هنا أمام قناع الموت هذا، الذى لا نستطيع أن نميز فيه الذكر من الأنثى.

(١٩٣٢)

وجـــــوه

لم تفعل شيئا، منذ كانت فى السادسة أو السابعة من عمرها، إلى أن بلغت الرابعة عشـرة أو الخامسة عشرة، إلا البكاء على خشبة المسرح. ووقتها كان الجمهور ينخرط فى البكاء.

شكلت الفكرة القائلة إن الجمهور سيبكى على الدوام، إذا بكت، أول تصور لها عن حياتها، فبالنسبة لها بدت وجوه الناس جميعها موحية بأنهم سيأخذون فى البكاء، إذا رأوها على خشبة المسرح. وبما أنه لم يكن هناك وجه واحد لم تفهمه، فإن العالم بدا لها وجها قابلا للفهم، عن طواعية.

لم يكن هناك ممثل فى الفرقة بأسرها بمقدوره أن يدفع مثل هذا الجمهور الحاشد للبكاء على نحو ماكان بمقدور الممثلة الصغيرة أن تدفعه إليه.

على أى حال، فإنها فى السادسة عشرة من عمرها أنجبت طفلة.

قال والد الطفلة:

– إنها لاتشبهنى أدنى شبه، ليست ابنتى، ولن يكون لى شأن بها.

قالت الشابة:

– إنها لاتشبهنى على الإطلاق كذلك، لكنها ابنتى.

كان وجه طفلتها هو أول وجه لم تستطع فهمه. وربما يمكنك القول أن حياتها كممثلة صغيرة قد قضى عليها، عندما ولدت هذه الطفلة، ذلك أنها أدركت، عندئذ، أن هناك خندقا مائيا هائلا بين خشبة المسرح، حيث بكت، ودفعت الجمهور للبكاء، وبين عالم الواقع. وعندما تطلعت إلى ذلك الخندق المائى، أدركت أنه فاحم السواد، وتراءت فى الظلمة وجوه عصية على الاستفهام، لاحصر لها، كوجه طفلتها.

فى موضع على الطريق هجرت والد الطفلة.

ثم مع مرور السنين بدأت فى الاعتقاد بأن وجه الطفلة يشبه محيا الرجل الذى هجرته.

وبالفعل بدأ أداء طفلتها فى العروض المسرحية يدفع الجمهور إلى البكاء، تماما كما كان أداؤها يدفعه إلى البكاء فى مقتبل عمرها.

وفى موضع على الطريق، هجرت طفلتها بدورها.

فيما بعد، شرعت فى الاعتقاد بأن وجه الطفلة يشبه محياها هى.

بعد عشر سنوات، التقت الشابة أخيرا بأبيها، وهو ممثل جوال فى مسرح ريفى، وهناك علمت بالمكان الذى تقيم فيه أمها.

مضت إلى أمها، وما إن نظرت إليها نظرة واحدة، حتى انخرطت فى البكاء، وتشبثت بأمها، وقد هزها النشيج؛ فها هى ترى أمها للمرة الأولى فى حياتها، وللمرة الأولى على الإطلاق بكت صادقة.

كان وجه الطفلة التى هجرتها على الطريق نسخة طبق الأصل من وجه أمها هى، وكما أن المرأة لم تبد شبيهة بأمها، فإنها والطفلة لم تكونا متشابهتين، لكن الجدة والحفيدة كانتا نسختين متطابقتين.

وفيما انخرطت فى البكاء على صدر أمها، أدركت أنها كانت تبكى صادقة، عندما تنخرط فى البكاء، فى غمار التمثيل فى طفولتها.

الآن، وقد غدا قلب المرأة كقلب قديس مغسول من أدرانه، مضت عائدة إلى فرق الممثلين الجوالين، لتعثر على ابنتها ووالد ابنتها، ولتحدثهما عن الوجوه.

(١٩٣٢)

ملابس الأخت الصغرى

غالبا ماعمدت الأخت الكبرى، مؤخرا، إلى ارتداء ثياب أختها الصغرى. وقامت، فى غالب الأحوال، بنزهات مسائية فى المنتزه، حيث كانت الأخت الصغرى تتنزه مع خطيبها.

خلال الأمسيات فى المنتزه، من الربيع إلى الخريف، كانت عشرات من الفتيات والفتيان، بل المئات منهم، يتنزهون وقد تضامت أيديهم، وقد كان المنتزه محدودا فى عدد مصابيحه، ووافرا فى الظلال التى تلف أشجاره.

وكانت دارهما فى الناحية الخلفية من الحديقة.

غالبا ما كانت الأخت الكبرى تطلب من أختها أن تمضى مع خطيبها حتى موقف السيارات الواقع أمام المنتزه، وتحثها على الخروج من الدار.

غير أن الأخت الكبرى غالبا ماتمضى، هذه الأيام، إلى دار الطبيب فى الحى، الواقعة أمام المنتزه، لتجلب الدواء لأختها.

وكانت قد ابتاعت ملابس أختها، التى ترتديها هى نفسها الآن، وذلك فى معرض الترتيب لزواج هذه الأخت الصغرى.

وغالبا ماكانت أختها تشكو قائلة:

– إنك لا تشترين لى إلا ثيابا أكثر احتشاما من ثيابك.

– لست أريد لك أن تمضى حياتك مرتدية ثيابا لماعة، مجنونة، على نحو ما أفعل. ذلك هو السبب فى أننى أتجشم كل هذا العناء.

– يتعين على العمل دون أى استمتاع بوقتى ... أهذا ما تقولينه لى؟

– حتى أنت لا بد لك من أن تتمكنى من تحديد نوعية الحياة التى يعيشها المرء عندما لايكون هناك فارق بين ثياب الدار وثياب الخروج.

– سيكون ذلك خيرا من عدم القيام بأى شئ، على هذا النحو.

كانت الأخت الكبرى تغير أعمالها بسرعة تثير الذهول، فتنتقل من العمل كجيشا إلى ممثلة سينمائية فراقصة فى فرقة جوالة. وهى الآن راقصة تؤدى "الرقصة الجديدة" فى مسرح صغير للعروض الراقصة فى "أساكوسا"، وقد حملت مدير المسرح الشاب على أن يبتاع لها دارا، وهكذا فقد كان بوسعها ألا تظهر على خشبة المسرح إلا عندما يروق لها ذلك. وكانت بعد وقت قصير من عملها كممثلة سينمائية قد بعثت تستدعى أختها الصغرى من الريف، فقد أرادت أن تمنحها مابدا مستحيلا بالنسبة لها ... أى النعمة الكبرى فى هذه الحياة، والمتمثلة فى زواج جميل.

وقد اختارت الأخت الكبرى زوجا للأخت الصعرى، وأعدت لها جهاز عرسها، ورأت نفسها، كما حلمت بها، فى هذه الفتاة. وما كان أشد دأبها على العمل فى هاتين السنتين أو الثلاث سنوات -كأنما لم تكن تعمل لشئ آخر- من أجل زفاف هذه الأخت الصغرى التى أصبحت الآن بمثابة ذات ثانية لها.

- لاتعرف أختى شيئا مطلقا عن هذه الدنيا، ويبدو الأمر كما لو أنها لم تر أحدا سواى.

بينما ابتسمت لخطيب الأخت الصغرى، وهى تقول هذه الكلمات، أوشكت الدموع أن تنهل من عينيها. وساورها الشعور بأنها سكرى بنشوة قدرتها على أن تقول شيئا من هذا القبيل.

وشأن تصميم الثياب التى ابتاعتها لأختها، كان الزوج الذى اختارته رجلا عاديا.

وما كان لأختها، التى لم تتعرض لرياح الدنيا العاتية قط، أن تعرف الآلام والمشاق التى تكبدتها من أجلها، هكذا مضت الأخت الكبرى تحدث نفسها. وقد أدهشتها طريقة أختها الخالية من الخوف فى الحديث مع هذا الرجل. وعلى الرغم من أن طريقتها فى الكلام كانت مهذبة تماما، إلا أنها كانت أكثر جرأة من طريقتها الخشنة فى الحديث، وتزيدت الأخت فى حديثها مع رجلها تقريعا له، وعلى الدوام وجدت فيما يفعله خطأ تترصد له.

ومنذ الزواج، أعربت الأخت الصغرى مرارا وتكرارا، عن شكواها من أن زوجها العادى بين الرجال ليس ملائما لها.

- إنك محظوظة لتمكنك من التجرؤ على قول مثل هذه الأشياء، التى توحى بالإغراق فى الاهتمام بالنفس، لى من بين كل الناس.

قالتها الأخت الكبرى، وهى تحنى رأسها، وتعض عل شفتيها.

وعندما مرضت الأخت الصغرى، عادت على الفور إلى دار الأخت الكبرى، وبدا أنها تجد سعادة فى مرضها كذريعة تسعى بها للطلاق من زوجها. ولكن أصابتها بمرض الخدار الشوكى بدا أنها تنذر بموت مبكر. ولم تعرف الأخت الصغرى هذا. وتسلل إلى الأخت الكبرى، التى تعرف ذلك، شعور بأن أختها هى طفلتها.

- هذه الطفلة لى، لى وحدى.

كان جسم الأخت الصغرى موضوعا بداخل مشد تحت الكيمونو الذى ترتديه، وكان هذا المشد يشبه درع مبارز بالسيف ويجعل جسمها مستقيما طوال الوقت. وكانت به دائرتان فرغتا من أجل ثدييها، وجعلتاها تبدو وكأنها لها طفل ترضعه. ومع إيغال الخريف فى مسيرته، أصبح ملمس يديها باردا. وفى وجهها الناحل توهجت وجنتاها بحمرة محمومة، وغدت عيناها نجلاوين، رطبتين. وعندما وضعت لمسات تجميل أثقل حتى من تلك التى تضعها أختها، بدت متسمة بنوع من القذارة الجميلة.

نشر المشد ليتعرض للهواء فى بقعة مشمسة فى الشرفة، وعندما آوت الأخت الصغرى إلى فراشها، أطيح به إلى ركن من الحديقة. وغدت الأخت الصغرى عاجزة عن مغادرة فراشها. وعندما انهمر الثلج من السماء، اكتسى المشد بلون أبيض مع باقى الحديقة. وفى الفتحتين الموجودتين فى صدر المشد بدا أن هاتين النافذتين الدائرتين الصغيرتين، اللتين برز منهما ثديا أختها، قد جثمت فيهما سنونوتان، تنتقل رأساهما من جانب إلى آخر من مشهد جليدى صباحى متسم بالكمال، بدا الأمر كما لو كان حكاية خرافية مؤلمة.

حدثت الأخت الكبرى نفسها بأنها تود لو أنها أيقظت الزوج لتريه الكيفية التى تمضى بها الأمور. أرادت أن تحدثه بأن موتا كموت أختها، الذى تتسرب فيه القدرة على الحياة مبتعدة على نحو لا سبيل إلى إدراكه، هو موت رحيم. وإنه خال من أى مدعاة حقيقية للحزن.

درج زوج الأخت الصغرى، بعد أن أصبحت زوجته عاجزة على النهوض من فراشها على النوم فى دار الأخت الكبرى، ومضى إلى مكتب عمله من هناك. وعلى الرغم من أن الأخت الصغرى فى فراش مرضها، قد ارتدت إلى الإحساس بمشاعر طفلة صغيرة، إلا أنها بدأت فى الحنين إلى زوجها، وإلى زوجها وحده. ومن منظور الأخت الكبرى، بدا هذا التغير مثيرا للشفقة، فالآن بدا أن كلا من أختها وزوجها قد نسيا الموت فى غمار حب كل منهما للآخر.

ماكانت الأخت الصغرى، شأن طاغية معتوه، لتسمع لزوجها بمغادرة جانب فراشها. كانت تقول:

- لست أحب أن تمضى إلى الحمام.

أو تهمس قائلة:

- لست أحب أن تستغرق فى قراءة الجريدة.

وعجزت عجزا مطلقا عن تحمل الوحدة الناشئة من الرقاد، وهى مستيقظة، وحيدة فى قلب الليل. ودرجت على ربط يد زوجها بوشاح أحمر قصير، وجذبه ومعه زوجها خارج فراشه مرات لاحصر لها.

حرصت الأخت الكبرى، قبل الخروج من الدار، على التأكد من أن ماتحس به ليس الغيرة، قالت:

- لقد كنت طيبا للغاية معها حقا. ومن المحزن القول إن الوقت لن يطول قبل أن ينقضى كل شئ.

غالبا ما كان زوج الأخت الصغرى، عندما يعود من المكتب، يقف كجذر منغرس فى الأرض فى المدخل الترابى حيث تقبل الأخت الكبرى للترحيب به. وكان قلب الأخت مليئا بالمشاعر كذلك. واعتاد كل منهما أن يلوذ بالصمت. وبالنسبة للزوج، بدا أن الأخت الكبرى قد أصبحت الأخت الصغرى.

بعد عودة الأخت الصغرى إلى دار الأخت الكبرى وملازمتها الفراش، غالبا ما كانت الأخت الكبرى ترتدى ملابس الأخت الصغرى.

واكتفت الأخت الكبرى، هذه الأيام، بثلاثة أطقم أو أربعة من أفضل ملابس هذا الفصل من السنة. وكانت الملابس التى ابتاعتها، قبل سنتين أو ثلاث سنوات، ضمن جهاز عرس أختها محتشمة للغاية، بالنسبة لها، حتى فى حالتها الراهنة. بدت فيها صغيرة فى السن للغاية، وتشبه أختها إلى حد كبير، بحيث يحسب المرء أنهما لهما العمر ذاته. ولم تعد أختها، التى مضت تذوى، تشبه البشر فى شئ، وإنما بدت كزهرة ذابلة، أو كذلك المشد الذى كساه الثلج فى الحديقة. ولم تبد الأخت الكبرى شبيهة بأختها على نحو ماهى الآن، ولا على نحو ماكانت قبل مرضها، وإنما كانت شبيهة بهما معا. غالبا ماكانت تكتشف أختها فى المرآة عندما تجلس هى متطلعة فى صقالها، فهى لم تكن ترتدى ملابس أختها فقط، وإنما بدأت من دون أن تدرك ذلك فى رفع شعرها إلى أعلى بالطريقة نفسها، التى درجت عليها أختها.

ذات ليلة، قبيل حلول الربيع، عندما بدأ العشاق يظهرون أزواجا فى المنتزه، مضت الأخت الكبرى، وقد ارتدت ملابس أختها الصغرى مجددا، مسرعة على امتداد الممر. كانت فى طريقها لإبلاغ الطبيب بأن موت أختها من جراء مضاعفات مرض التهاب الصفاق يوشك أن يحل فى غضون ساعات قلائل فحسب. وكان من الجلى أن هذه هى ساعة الإغلاق فى المكتبة الموجودة بالمنتزه. وتذكرت أنها اخترقت حشدا من الناس خارجها، لكنها لم تلحظ أن أحد يتبعها.

- كوتوكو!

فجأة، ناداها أحدهم باسم أختها، فتطلعت وراءها.

- آه، إذن أنت كوتوكو فى نهاية المطاف.

لحق بها رجل لم يسبق لها أن رأته قط.

- أنت مخطئ، فكوتوكو ...

- أتقولين أنك تعرفين اسمك، لكننى نسيته؟

-كوتوكو فى الدار تحتضر.

مضى كل من الغريب والأخت الكبرى يتحدث لاهثا.

- أتعودين إلى ذلك مجددا؟ لقد سبق لك القول إن على أن أحسب أن كوتوكو قد ماتت. قلت ذلك بدافع من الشعو بواجبك نحو أختك أو نحو أحدهم، كنت بسببك إلى الزواج، كأنما توشكين على الموت.

ذهلت الأخت الكبرى، فى البداية، ثم هيمن عليها الهدوء. هل كان لأختها عاشق يهواها؟ حاولت أن تتبين ملامح الرجل، الذى كان وجهه قريبا منها فى ظلمة الليل الكالحة.

كم هو غريب، فى ليلة موت أختها،أن يحسبها عاشق أختها المرأة التى يهواها!

أمسك الرجل بكتف الأخت الكبرى بقوة، وهويقول:

- قلت لى إننى يجب أن أحسبك ميتة بينما... بينما أنت حية على هذا النحو.

هزها بخشونة، فتعثرت.

- سامحنى.

غمغمت بها الاخت الكبرى عفو الخاطر، وقصدت أن يكون اعتذارا موجها إلى أختها. لقد أخفت عنها أختها أن عاشقا يهواها، وتزوجت من الرجل الذى اختارته لها، حولت نفسها إلى دمية فى يد أختها الكبرى. انسربت القوة من جسم الأخت الكبرى متبددة. ونست ذراع الرجل الملتفة حولها.

أمسك الرجل بالمرأة، التى بدت أنها توشك على التهاوى أرضا، وضمها إلى صدره.

ألا يزال عاشق أختها يهواها؟ فى غمار تحولها إلى أختها، عرفت فؤاد الرجل، خطرلها أنها ينبغى أن تبلغ أختها المحتضرة بهذا. ومن دون توقع انهمرت دموعها.

- إنك مازلت تحبيننى، تحبيننى بهذا القدر.

قالها الرجل، وهو يسند الأخت الكبرى، ومضى بها إلى ظل شجرة.

تخيلت الأخت الكبرى، وهى بين ذراعى الرجل، أختها المحتضرة بمزيد من الحيوية، وقد احتضنها زوجها بين ذراعيه على هذا النحو. وبينما هى تنصاع لمشيئة الرجل(١٢) رأت نفسها،

وهى تتزوج من زوج أختها، بعد موت هذه الأخيرة، وأطلقت هذه الرؤية عاصفة هوجاء فى دمها.

استردت الأخت الكبرى، التى سعت لتحصل من خلال أختها على مافقدته هى، لنفسها هذا الذى فقدته، من خلال موت أختها.

(١٩٣٢)

زوجة الريح الخريفية

ودع المرأة. وبدا دهليز الفندق وممراته فى هدوء مرآة تنعكس على صقالها سحب الخريف الشاحبة الماضية سريعا. وعلى نحو ما لم يحسب بأن كل شئ على مايرام فيما يتعلق بالعودة إلى غرفته فى الطابق الثانى فحسب. توقف عند الجزء المسطح القاصل بين منعطفات الدرج، والتقط أبعد كتاب لجهة اليمين من رف الكتب، أوشك صرار أن يثب عليه. كان الكتاب دائرة معارف. وفى الصفحة التى فتحها عليها ألفى هذه المادة "زوجة الريح الخريفية. شاعرة من شاعرات قصائد التانكا الفكاهية، تنتمى إلى مرحلة إيدو. ابنة أخى داموجايا-فوميرو من يوشيوارا، زوجة كابوتشا موتو نارى. أطلق عليها الإسم باعتبارها مؤلفة قصيدة مطلعها: زفيف الريح ينبئ بقدوم الخريف/ ويفض ختم الشهر السابع/ وينثر وريقة شجرة بولفينية وحيدة" وهى مؤلفة العديد من قصائد الواكا كذلك"

– يالها من مادة تافهة!

لم يتفهم القصيدة بصورة حقيقية. عندما تكون فى رحلة مضجرة، فإنك تلتقط كل أنواع المشهيات من المعلومات التى لا ضرورة لها. هكذا مضى يحدث نفسه. وواصل صعود الدرج. فى غرفته كانت هناك رائحة مواد تجميل. وفى سلة المهملات، إلى جوار منضدة التزين، كانت هناك شعرات عديدة صغيرة، ملتفة.

– طيب، هل سقط كل هذا العدد منها، كم هذا محزن!

جمعها، ملتقطا إياها من السلة. ربما قامت السيدة، التى أدهشها تساقط شعرها، بلفها حول أصبعها، فيما هى تنظر إليها، فقد بدت الشعرات متجعدة فى دوائر مشدودة.

مضى خارجا إلى الشرفة. انطلقت السيارة التى تركبها المرأة على امتداد الطريق الرئيسى الأبيض. أغمض عينه اليمنى، ووضع دائرة صغيرة من الشعر قبالة عينه اليسرى، وقد ضيق هذه العين كأنه ينظر من خلال عدسة، ومن خلال هذه، مضى يتابع السيارة البعيدة، فلاحت كزهرة أو لعبة معدنية وأحس بشكل ما بأنه مسرور كما لوكان طفلا. ولكن الشعر كانت له رائحة عفنة

كأنما المرأة لم تغسل شعرها منذ وقت طويل. بدت الرائحة موحية بالعنــاء. وكـان قد حل بـالفعل ذلك الفصل من السنة الذى يمكن فيه لو أنه كان قد وضع رأس المرأة فــى حجـره أن يجفل حيـال برودة شعرها.

كانت علاقتهما من الاقتصار بحيث أنه لم يفعل شيئا إلا أنـه أعارهـا حجرتـه لمدة نصـف ساعة. وكان زوجها يعانى من ذات الرئة، وقد جاء إلى هذا الفندق تغييرا للجو. وإذ تباهى بقوتـه الروحية، وأصر على أنه بمقدوره أن يتغلب على مرضه بقوة إيمانه، فإنه ما كـان ليتركهـا تغـادر مكانها بجواره لحظة واحدة. غير أن الموت كان قد غدا قاب يومين أو ثلاثة أيـام فحسـب. وتعيـن على الزوجة أن تعود إلى دارها فى طوكيو لإعداد الترتيبات الضرورية، وربما كان الأمر متعلقـا بالمال أو بأمور أخرى مثيرة للضيق من هذا القبيل. وقد جاءت سـرا إلـى غرفتـه حيث كـانت قد تركت طقما من الملابس، وارتدتها استعدادا لرحلتها، وانسلت خارجة من الفندق.

أقبلت المرأة، التى ارتدت على الدوام رداء أبيض سابغا، يغطى باقى ملابسها، وانصـرفـت، سيرا فى ممرات الفندق، بمحيا تعلوه الكآبة. وفى هذا المكان الذى يعد صرعــة، والحـافل بـالزوار الأجانب صيفا وشتاء، فإن قوامها الذى تهيمن عليه الكآبة قد دخـل قلبـه بجمالـه الأليـف. حقـا إنهـا كانت "زوجة الريح الخريفية"

كان طرف النتوء الجبلى قد حجب السيارة عن ناظريه.

– أماه ! أماه!

انطلق صبى انجليزى فــى الرابعـة مـن عمـره أو الخامسـة يعدو فـى المرجـة، وهـو يهتـف بصوت صاف كالبلور مناديا أمه. وأقبلـت وراءه الأم بصحبـة كلبيـن بكينيـن. جعلـه لطـف الطفـل الشفاف يفكر فى أن اللوحات الغربية العتيقة التى تصــور ملائكـة ليس إبداعـات مختلقـة. وذكرتـه المرجـة الزاويـة، وإن بقيـت بعـض الخضـرة فـى قلبهـا، بـالصمت الـذى يسـود ديـرا رحلـت عنـه الراهبات. انطلق الطفل والكلبان إلى غابة الصنوبر. فيما يتجاوز الغابة. كان ينبغى أن يكون هناك شريط قاتم الزرقة، ممتد، من البحر. ترى هل ارتفعت الأطـراف العليـا لأشـجار الصنوبـر خـلال السنتين أو الثلاث التى انقضت منذ مجيئه إلى هنا آخر مرة بحيث حجبت عـن العيـان؟ مـن اتجـاه ذلك البحر المحتجب مضت السماء تتشح بالسحب بسرعة مخيفة.

وإذ أوشك على العودة إلى حجرته تناهت إلى سمعه موسيقى راقصـة. كـان موعـد احتسـاء الشاى قد حل، ولكن مامن نزيل واحد قد نزل لشربه. أضيئـت الأنـوار بـالفعل فـى القاعـة. وعـبر النافذة الزجاجية كان بمقدوره أن يلمح كبير الكتبة وامرأة بـدا أنهـا كبـيرة المشـرفات علـى العنايـة

بالغرف، وهما الثنائى الوحيد فى القاعة، وهما يرقصان فالس، وقد ارتدت المرأة ممتلئة القوام، رداء غربيا لا يناسبها، فيما حول العجيزة. وبدا أنها راقصة سيئة الأداء للغاية.

دلف من الشرفة إلى الغرفة، ورقد فى الفراش، مرخيا رأسه على مرفقه، تمهيدا للنوم. وعندما استيقظ، تناهى إلى سمعه حفيف الوريقات المتساقطة من الأشجار، والريح تتلاعب بها على الأرض فى الحديقة فى الجزء الخلفى من الفندق. قعقعت الأبواب الزجاجية. وكانت هذه الأصوات نذيرا بإعصار خريفى.

- ترى كيف حال هذا المريض؟ هل عادت زوجته؟

ساوره شعور بعدم الارتياح. وإذ أوشك على الاتصال هاتفيا بمكتب الاستقبال، أحس، على نحو ما، بعينين تتطلعان إليه من أعماق الخريف. وساوره فجأة، وبشكل موغل فى التمرد، شعور بحب طاغ واستحواذى نحو المرأة.

(١٩٣٣)

ولادة آمنة لكلبة أليفة

منذ عهود بعيدة، كان زنار "إيواتا" يستخدم فى أشد أيام الصيف قيظا؛ لأنه خفيف ويسير فى استعماله، تماما، كخفة ولادة كلبة ويسرها. وقد قمت بتوليد كلبات مرات عديدة. وميلاد حياة جديدة هو أمر طيب، وتربية الكلاب ورعايتها هما متعة كبيرة بالنسبة لم يحتفظون بها. ولكننى أمضيت وقتا صعبا فى عمليتى توليد إحداهما بعد الأخرى.

كانت عملية توليد الأولى لكلبة "ترير" ذات شعر يشبه السلك وقد اختنق جرو الترير الثالث فى قناة الميلاد، واضطر الطبيب البيطرى إلى جذب الجرو الرابع بالكلاب. ولكن الحياة كتبت للأم والجروين الأول والثانى.

أما مشكلة الكلبة "الكولى" فقد كانت أكبر، حيث تجاوزت الموعد المناسب للولادة بأسبوع، ثم بعشرة أيام، من دون أن تلد، وذلك أمر نادر الحدوث لدى الكلاب. لم أستطع النوم، ومضيت أتساءل عما إذا كانت ستلد الليلة. استدعيت طبيبين، بل كان لدى أحد أصدقائى، وهو طبيب متخصص فى توليد البشر.

مضى ثلاثتهم يتجادلون، ويتجادلون حول ما إذا كان ينبغى أن يجرو عملية جراحية من عدمه لتحديد ما إذا كانت الجراء حية أم نافقة. وفى نهاية المطاف قاموا بإحداث فتح مما يستخدم فى العمليات القيصرية. وكان التكهن باتجاه حالة الأم قد بدا مواتيا، ولكنها نفقت فى تلك الليلة، وكانت الجراء السبعة بداخلها نصف متحللة.

قدرت الخسارة المالية الناجمة عن هذين الميلادين المتعسرين، فوجدت أنه يتجاوز ألف ين. وإذا ما نحينا ذلك جانبا، فقد بدت الدار بعد نفوق "الكولى" غارقة فى الوحدة بحيث أننى انتقلت من دارى فى "ساكوراجى-تشو". وكان سلوك الكلبة "الكولى" هو سلوك طفلة مدللة، وماكانت لتفارقنى لدى سهرى عاكفا على الكتابة، وتمضى فى حك رأسها بحجرى. وحتى عندما أمضى إلى الحمام، فإنها تلازمنى. وجعلتنى تجربتى معها أدرك مدى افتقار الطبيب البيطرى المولد لليقين مقارنة بألوان التقدم الملحوظ فى علم التوليد البشرى. وعندما تعانى كلبة مهمة من صعوبة فى الولادة، فإنه من المناسب أن يكون طبيب متخصص فى علم التوليد البشرى موجودا.

كانت الولادة التالية هى الولادة الثانية للترير. وإذ رأيتهاتتقلب فى القش فى صندوقها فى حوالى الحادية عشرة ليلا، فقد عرفت أنها توشك على الولادة، وأعطيتها الكثير من صفار البيض وخبز الشوفان، ورتبت أدوات التوليد كافة، ومنها قطن ماص للسوائل، ومقص، وبعض الخيط المستخدم فى السميسن، والكحول، وما إلى ذلك. وكان صندوق الكلبة موضوعا إلى جوار القمطر الذى أجلس إليه للكتابة، وخصيصا لتلك الليلة نامت زوجتى، وهى لاتزال ترتدى كيمونوها، تحت "الكاتاتسو" القابع ورائى. وقد عاشت هذه الكلبة وهى تتبع زوجتى حيثما مضت، ولذا فلم يكن من الممكن تهدئتها إلا إذا رأت زوجتى.

وأخيرا، غادرت الكلبة الصندوق بصفاقة، ومضت إلى وسادة زوجتى. دارت حول نفسها مرارا وتكرارا، على الغطاء قرب كتف زوجتى، كأنما توشك على الوضع هنالك توا. وكانت زوجتى غافية، لا تحس بما يجرى. وفى نهاية المطاف، أصبح تنفسها ثقيلا، وتثاءبت وجعلت تحرك ملامحها على نحو غريب، وكأنها تقول: "لماذا تؤلمنى معدتى كثيرا عندما ينالنى التعب؟" أصدرت أنينا، ومضت تدور فى دوائر. وخلال انتظارى، قرأت قصة "نيوا فوميو" الأولى بعنوان "سلمون الماء العذب"

بعد الثالثة فجرا بقليل، بدأ المخاض الحقيقى أخيرا، ففحصت قناة الولادة. كان الوقت قد غدا مناسبا، ولذا نقلتها إلى الصندوق وبينما كانت تتطلع إلى، وقد استبد بها الألم، فانساب ماء رحمها، ولعقت أسفل الصندوق. وعندما تطلعت متلصصا، أخيرا، كان جرو يولد. وكان ذلك فى الرابعة فجرا.

- إنها آتية، ها هى تلد الجراء. استيقظى! إنها تولد.

انبعثت زوجتى واقفة، ولكنها عندما رأت الدم، ارتجفت يداها واكتأبت. كان الجرو فى كيس بدا كأنه خصية محشوة أو بالون. وكنت معتادا على هذا المشهد.

بالطبع، لعقت الكلبة الأم غشاء الجنين، وحاولت أن تعضه وتجذبه بعيدا. بدا الجرو كفأر غارق، ولكنه فى لحظة فتح فمه، وشرع فى الحركة. قطعت الحبل السرى، ولا ينبغى أن أرتكب خطأ فى هذا الترتيب.

لففت غشاء الجنين فى القطن الماص للسوائل، ونزعته، ويتوقع أن تلتهمه الكلبة الأم، ولكن هناك نظرية مفادها أنه ليس طيبا بالنسبة لمعدة الكلبة أن تأكل غشاء الجنين، وهناك كذلك نظرية فحواها أن أكله يدر اللبن، وبما أن هناك قطعة واحدة من غشاء الجنين لكل جرو، فقد حدثت نفسى بأن من الأفضل أن أعطيها قطعة أو قطعتين.

غدا الجرو أكثر تدفقا بالحياة، وشرع فى المزيد من الزحف، كلما طالت مدة مراقبتى له، كأنما قوة حياة غامضة تتدفق إليه من لسان أمه، وجففت الجرو والأم بالقطن.

– طيب، هذا الجرو حى، على أى حال، وهناك نمط زخرفى جيد فى فروته، ولكنه صغير قليلا.

ساورنى شعور بالارتياح، وجففت الدم عن يدى، بينما زوجتى تنحنى على الصندوق.

– من الأفضل أن تكون الجراء صغيرة. وهذه الولادة أسهل من الأخيرة، التى كانت الجراء فيها أكبر حجما. أليس هناك الكثير منها فى بطنها؟ الأمر مخيف علـى نحو مـا، وليس بمقدورى لمس الجرو، هل سيعثر على الحليب؟

التقطت الجرو، ونظرت إلى جانبه السفلى، كانت أنثى.

أقبل الجرو الثانى، بعد ذلك بقليل، فى حوالى الرابعة والدقيقة الأربعين، وقد تعذر مروره فى قناة الولادة قليلا. وكان ذكرا، وأكبر من الجرو الأول، وبدا متدفقا بالحياة، وجعلته رأسه المائلة للبياض يبدو بريئا تماما. وضعت زوجتى الجرو المبتل فى داخل كيمونوها لتدفئته بإلصاقه قبالة بشرتها، وجففته بالقطن.

– يسعدنى أن جروين يتدفقان بالحياة ... تماما كالمرة الماضية.

قالتها زوجتى للجرو كأنها تهدئه. وبعد ذلك بأقل من عشر دقائق انزلق الجرو الثالث، وكان ذكرا وله مايشبه قناعا أسود، أطعمت غشاء الجنين للأم، وجففت الجرو، ولكنه زحف إلى الوراء مجددا، وابتل مرةأخرى، واكتست رأسه بالدم، ثم وضعته زوجتى فى كيمونوها ودفأته، وقد نسيت الخوف الذى عانت منه فى البداية.

– أف ! إنهما يتشبثان بصدرى، هذا مؤلم.

كانت الكلبة الأم لاتزال تثق بزوجتى ثقة مطلقة، ولكنها تطلعت يمينا ويسارا، كأنها تحدث نفسها بأنه من الغريب أن تصدر صيحات جرائها من داخل كيمونو زوجتى.

ثم أطلق شئ ما نداء من الجانب الآخر من الحجرة. وكان النداء صادرا من بومتى "البوقية" الأليفة، فقد بدا مشهد الولادة وصيحات الجراء محيرا تماما، ولم تستطع الببغاء كبح جماح نفسها، فهى لم ترفع رأسها وتمد عنقها لترى ما يجرى هناك فحسب، وإنما مضت تدور فى دوائر، محدقة فى الصندوق.

– أوه. أنت هنا بدورك؟ لقد نسيت أن أطعمك.

نهضت، وأطعمت الببغاء دودة كيسية.

الجرو الرابع –ذكر بالطبع– ولد فى حوالى الخامسة والثلث. قالت زوجتى إنه سيكون هناك المزيد من الجراء. ولكن فى حوالى الساعة السادسة جعلت الكلبة تقف وفحصتها. بدت بطنها

خاوية. كانت ولادة بالغة اليسر، والتهمت الكلبة الأم صفار البيض وخبز الشوفان، وشربت بعض الماء. كانت أقدام الجراء وأخطامها ذات لون دموى صاف، هو لون الصبا المتوهج بالحياة. وكانت هناك كذلك بقع سوداء صغيرة على أنوفها. وبعد أن أديت واجبى، جففت يدى الملطختين، وقرأت جريدة الصباح، وفكرت فى السفر.

واصلت زوجتى القول:

– طيب، أوه. طيب. الجراء تنام كثيرا بالتأكيد.

ومضت تداعب جوانب الكلبة الأم.

أحصت أسماء أصدقائى، "إشياما كينساكو"، "سوزوكى هوكوجيرو"، "سوجا تاداو"، "أوزاكى شيرو"، و"تاكيدا رنتارو"، الذين لهم أبناء صغار لم ترهم زوجتى بعد، وحدثتها بأننا سنمضى لزيارتهم جميعا. نهضت لتغيير أغطية الفراش، وعندما فتحت مصاريع النوافذ، ملأ الصباح الدافئ الحجرة بالضياء.

(١٩٣٥)

مــوطـــن

عندما عادت "كينوكو" من زيارة لبيت أبويها، استعادت ذكرى الوقت الذى مضت فيه زوجة أخيها لزيارة مسقط رأسها.

فى قرية زوجة أخيها الجبلية، هناك عرف يطلق عليه "مأدبة الزلابية". فكل عام، وفى مساء الحادى والثلاثين من يناير تدعى كل الفتيات اللواتى تزوجن وانتقلن للإقامة بعيدا للعودة إلى القرية وتناول الزلابية فى حساء القاصوليا.

- الا تزالين ترغبين فى الذهاب حتى وسط كل هذا الجليد؟

قالتها أم "كينوكو"، وهى تشعر بالاستياء قليلا، بعد أن راقبت كنتها، وهى تضع وليدها على ظهرها، وتغادر الدار. وأضافت:

- هل تستطيع حقا أن تستمتع بالأمر بكل هذا ذلك القدر؟ إن لها أطفالها، ومع ذلك فهاهى تتصرف كالأطفال. ماأعجب ألا يكون قد ربطها شعور بهذه الدار ...

وعندئذ قالت "كينوكو":

- ولكننى إذا قدر لى الذهاب إلى مكان ما، يا أماه، فإن هذه الدار ستظل على الدوام عزيزة عندى. وإذا لم أتطلع إلى القدوم إلى ها هنا، فسوف تفتقديننى. أليس كذلك يا أماه؟!

كانت القرية تعانى نقصا فى عدد الرجال بسبب الحرب. والكنة تعمل بجد إلى حد الذهاب للعمل فى الحقول. وحظيت "كينوكو"، التى مضت للزواج من أحد سكان المدن، بحياة بالغة اليسر، وأحست بأن هناك ماتفتقده. الآن، وبينما مضى ذهنها يستعيد ذكرى زوجة أخيها وهى تنطلق عبر الممر الجبلى للعودة إلى موطنها وسط الجليد الذى يخطف البصر، أوشكت صيحة تشجيع على الانطلاق من حلقها.

مضت أربع سنوات، وبعد أن تزوجت "كينوكو"، وانتقلت، بعيدا، عادت فى زيارة لدارها. استيقظت على صوت زوجة أخيها، وهى فى المطبخ. بدت الجبال وكأنها أطبقت قريبا من حائط الجيران الأبيض، عادت إليها الذكرى، انهمرت دموع صامتة من عينيها، بينما كانت تحادث أبيها الراحل، أمام مذبح العائلة، قائلة:

– إننى سعيدة.

مضت لتوقظ زوجها.

تطلع زوجها فى أرجاء قاعة الاستقبال، وقال:

– ها نحن، لقد عدنا إلى دارك القديمة.

منذ ماقبل الإفطار، أمضت أم "كينوكو" تقشر أكواما من ثمار التفاح والكمثرى، ودفعت ببعضها إلى زوج ابنتها، الذى بدا عليه التردد:

– هاك. تناول بعضها، وتذكر أيام كنت فى ميعة الصبا !

وجهت اللوم إلى أحفادها، الذين كانوا يطالبون ببعض الفاكهة بصوت صاخب. وابتهجت "كينوكو" بتهذيب زوجها، وهو محاصر بأبناء الإخوة وبناتهم.

حملت أم كينوكو الطفل الصغير إلى خارج الدار، وقالت متفاخرة لشخص يقف غير بعيد:

– انظر كم غدا ابن "كينوكو" كبيرا !

مضت زوجة أخى "كينوكو"، لتطلع حماتها على رسالة، وصلت من زوجها من الجبهة. وبينما "كينوكو" تحدق فيها من الخلف، أدركت كم يبلغ عمرها أو مدى ثقل الوقر الذى استقر على كاهلها، عندما أصبحت من أعضاء هذه العائلة، فأجفلت.

(١٩٤٤)

مـــــاء

ما إن وصلت المرأة من الوطن، لتزف إلى الرجل، حتى نقل إلى مركز الأرصاد الجوية في سلسلة جبال "هسينج-أن" بمنشوريا. وتمثل ما أدهش المرأة أكثر من أى شئ آخر من أن ملء صفيحة زيت من الماء يكلف سبعة سينات ... ماء قذر، ومختلط بما لايدرى المرء. وساورها الشعور بالغثيان لمجرد التفكير فى أن عليها استخددام هذا الماء فى المضمضة أو غسل الأرز. وفى غضون ستة أشهر، انقلب لون الملاءات والملابس الداخلية جميعها إلى الصفرة، وفوق هذا كله فإنه فى ديسمبر تجمد ماء البئر كله حتى القاع. وجلب حمال كتلة من الثلج من مكان ما، ومضت تستخدمها بين الفينة والأخرى لأخذ حمام. لم يكن هذا بالمكان الذى يتحدث فيه المرء عن الإسراف. أى نعمة تحظى بها عندما تدفئ عظامها التى تؤلمها ! استعادت ذكرى الحمام فى قريتها بالوطن، وكأنما هو حلم بعد به العهد. كانت ذراعاها وساقاها تبدو جميلة، وهى تمسك بمنشفة بيضاء وتدلف إلى الماء الساخن لتغمر جسدها فيه حتى كتفها.

- عفوا، ولكن إذا كان قد تبقى لديك ماء هل يمكننى الحصول على القليل منه؟

قالتها جارة، أقبلت إلى دارها، حاملة زجاجة من الفخار، أضافت:

- كنت أنظف آنيتى للمرة الأولى منذ وقت طويل، ونسيت، واستخدمت كل مالدى من الماء.

لم يكن هناك ماء، ولكنها أعطت الجارة بعض ما تبقى من الشاى.

قالت الجارة:

- لست أستطيع الانتظار حتى قدوم الربيع عندما يمكننى غسل الملابس المتسخة وغمرها فى الماء بقدر ما أشاء، كم سيكون إحساسا جميلا لو أننى استطعت أن أنثر على وجهى بعض الماء !

كانت تلك أمنية امرأة موطنها اليابان، حيث هناك وفرة من الماء الصافى. لم تستطع صبرا، وهى تنتظر جريان الماء بعد ذوبان الثلوج. سيكون أمرا بهيجا أن ترى الماء والتربة تمتصه

عندما يصب عليها من الحوض. ستكون الهندباء البرية أول شئ يدفع ببراعمه عاليا عبر تلك التربة.

وجهت الدعوة لجارتها للاستحمام فى ماء حمامها، ثم فجأة أقبل القطار المتجه إلى الحدود الشمالية مخترقا الوادى، فقد حان الوقت لتلقى أنباء عن الأوضاع على جبهة القتال الجنوبية.

- إنه سريع للغاية

قالتها الجارة، متحدثة من مغطس الحمام الدافئ. حقا، من مركز الأرصاد الجوية بعيدا فى الشمال، حيث يعمل زوج المرأة، امتدادا حتى سماء البحار الجنوبية، تلك هى يابان اليوم.

عندما تقدمت المرأة خطوات أمام دارها، كانت الزهور، المتجلدة بفعل الصقيع، والتى شكلها الضباب على الأغصان الصغيرة لأشجار "الأرزية"، تتساقط كأنها براعم الكرز، فى كل مكان. وعندما رفعت عينيها إلى أعلى جعلت السماء الزرقاء، التى لايشوب كمال زرقتها نقصان، ذهنها يحلق إلى بحار وطنها.

(١٩٤٤)

القطع الفضية ذات الخمسين سينا

كان من المعتاد أن يوضع المصروف الذى تتلقاه "يوشيكو"، والمقدر بينين، والذى يصلها فى بداية كل شهر، فى حافظة نقودها، بيد أمها، فى هيئة قطع فضية من ذات الخمسين سينا.

فى ذلك الوقت كانت القطعة النقدية ذات الخمسين سينا قد تم مؤخرا، تصغير حجمها، وبدت هذه القطع النقدية الفضية ذات المظهر الموحى بالخفة، وإن كان المرء يحس بثقلها، وبدت ليوشيكو وكأنها تملأ حافظة نقودها الجلدية، الصغيرة، الحمراء، بكبرياء شامخة. وفى غمار حرصها على ألا تبددها، كانت تحتفظ بها فى حقيبة يدها حتى آخر الشهر، ولم يكن ذلك راجعا إلى أنها ترفض مباهج الصبايا، كالمضى لمشاهدة فيلم، أو للجلوس فى مقهى مع صديقاتها اللواتى تعمل معهن، وإنما إلى أنها كانت تنظر إلى ألوان الترفيه تلك باعتبارها شيئا يقع خارج حياتها، فهى لم تجربها قط، وبالتالى فإنها لم تغواها قط.

مرة فى كل أسبوع، وفى طريق عودتها من المكتب، كانت تتوقف عند متجر كبير، وتبتاع، لقاء عشرة سينات، رغيف خبز فرنسى طازج مما تولع به أشد الولع. وبخلاف ذلك لم يكن هناك شئ تريده لنفسها بشكل خاص.

غير أنها ذات يوم، وقعت عيناها، فى متجر "ميتسوكوشى"، وفى قسم الأدوات الكتابية، على مثقّلة للأوراق، بدت مسدسة الشكل وعليها نقش بارز على هيئة كلب. وإذ فتنتها الكلب. أمسكت ثقال الأوراق بيديها، فمنتحها برودتها البهيجة وثقلها غير المتوقع، شعورا بالسرور، على نحو فجائى. وعلى الرغم منها خلبت هذه الثقالة لبها، هى التى تعشق هذا النوع من الأعمال المنجزة على نحو مرهف. مضت تقدر ثقلها فى راحة يدها، وتتطلع إليها من كل الزوايا. أعادتها إلى علبتها بهدوء، وتردد، فقد كان ثمنها أربعين سينا.

فى اليوم التالى عادت من جديد، وفحصت مثقلة الورق مجددا. وفى اليوم الذى أعقب ذلك جاءت مرة أخرى، وفحصتها من جديد، وبعد عشرة أيام من السير على هذا المنوال، حسمت أمرها فى نهاية المطاف.

– سآخذ هذه.

قالتها للكاتب، وقلبها يخفق سريعا.

عندما عادت إلى الدار، ضحكت منها أمها وأختها الكبرى.

- شراء هذا النوع من الأشياء ... إنها كاللعبة.

ولكن عندما أمسكت بها كل منهما، وفحصتها، قالت:

- أنت محقة، فهى جميلة للغاية.

- إنها رائعة.

جربا الإمساك بها فى مواجهة الضوء، فتناغم، على نحو مثير للفضول، السطح الزجاجى، الصافى، المصقول، والسطح المضبب، كزجاج تعلوه ندف الثلج، الخاص بالنحت البارز. وفى الوجوه المسدسة بدورها كانت دقة رائعة تشبة وزن أبيات قصيدة. وبالنسبة ليوشيكو، فإن المثقلة كانت عملا فنيا رائعا.

وعلى الرغم من أن "يوشيكو" لم تعلق الآمال على أن تتلقى مجاملات حول التمهل الذى قامت من خلاله بعملية الشراء هذه، التى استغرقت عشرة أيام لتقرير أن مثقلة ورق هى شئ جدير بأن تقتنيه، وقد أسعدها أن تتلقى إقرارهما هذا بذوقها الجيد.

وحتى إذا كانت "يوشيكو" ستتعرض للضحك منها -لاستغراقها تلك الأيام العشرة فى ابتياع شئ لايكلف إلا أربعين سينا فحسب- إلا أنها ما كانت لتشعر بالرضا إلا بعد أن تقوم بذلك، فليس لديها على الإطلاق مناسبة ساورها فيها شعور بالندم لابتياعها شيئا بدافع اللحظة. ولم يكن قيامها، وهى القتاة ذات السبعة عشر ربيعا، بقضاء أيام عديدة فى التفكير فى شئ والنظر إليه قبل الوصول إلى قرار بشأنه راجعا إلى أنها لديها مثل هذا التمييز الصارم بين الأشياء، وإنما كل مافى الأمر أنها تعانى من خوف غامض من الإنفاق بلا اكتراث بحيث تهدر قطعها الفضية ذات الخمسين سينا، التى استقرت فى ذهنها باعتبارها كنزا مهما.

بعد سنوات، عندما استعيدت قصة مثقلة الورق وانفجر الجميع ضاحكين، قالت أمها بجدية:

- كنت أحدث نفسى بأنك إنسانة جديرة بالحب للغاية فى ذلك الوقت.

وأسندت طرفة مسلية إلى كل شئ من مقتنيات "يوشيكو".

وقد كان من مصادر السعادة القيام بالتسوق بدءا من أعلى المتجر إلى أسفله، حيث يتم النزول بانتظام من طابق إلى الذى يليه. وهكذا فإن يوشيكو مضت مع أمها إلى الطابق الخامس باستخدام المصعد. وفى يوم الأحد هذا اجتذبت يوشيكو على نحو غير معتاد إلى جولة تسوق مع أمها، حيث مضتا إلى متجر "ميتسوكوشى".

وعلى الرغم من أن تسوقهما لهذا اليوم تم إنجازه إلا أنهما عندما هبطتا إلى الطابق الأول، مضت أمها إلى الطابق السفلى المخصص للسلع ذات التخفيض الخاص بحسب منهاج التحرك الذى اعتمدتاه.

– ولكنه مزدحم للغاية، ياأماه، وأنا لاأحبة.

قالتها "يوشيكو" متذمرة، ولكن أمها لم تسمع، ومن الجلى أن جو هذا الطابق السفلى، بتدافعه التنافسى على موقع الاختيار، كان قد استقطب أمها بالفعل.

كان هذا الطابق السفلى مكانا مفردا لغرض وحيد، هو جعل الناس يهدرون نقودهم، ولكن ربما ستعثر أمها على شئ. وحدثت "يوشيكو" نفسها بأن عليها أن تحرص على ألا تخرج أمها من مجال رؤيتها، فتبعتها على مسافة منها. وكان الطابق مكيف الهواء، وبالتالى فإن الحر فية لم يكن شديدا.

ابتاعت أمها أولا ثلاثة حزم من المواد الكتابية لقاء خمسة وعشرين سينا، ثم التفتت، وتطلعت إليها. وكانت أمها تأخذ من موادها الكتابية مقادير صغيرة، مؤخرا، الأمر الذى أثار ضيقها، وبدا أن نظراتهما تقول الآن إن بإمكاننا أن تشعر بالراحة فى هذا المجال.

اجتذبت أم يوشيكو نحو المناضد المخصصة لآنية المطبخ والملابس الداخلية، غير أنها لم تكن من الشجاعة بحيث تشق طريقها مخترقة جموع الزبائن. وقفت على أطراف أصابعها، ومضت تحدق من فوق أكتاف الناس أو راحت تمد يدها من خلال الفراغات الصغيرة بين أكمامهم، ومضت تتطلع، لكنها لم تشتر شيئا. وفى البداية لم تقتنع بالشراء، ثم حسمت أمرها بشكل قاطع وقررت ألا تشترى، واتجهت نحو المخرج.

– أوه، ثمن الواحدة من هذه خمسة وتسعون سينا فحسب؟

عند هذا الجانب من المخرج، التقطت أمها إحدى المظلات المعروضة للبيع. وحتى بعد أن نقبتا فى مجموعة المظلات المتراكمة بأسرها، وجدتا أن كل مظلة تحمل بطاقة سعر تشير إلى خمسة وتسعين سينا.

قالت أمها، وهى فيما يبدو لاتزال على دهشتها:

– إنها رخيصة للغاية. أليست كذلك يا يوشيكو؟

بدا صوتها، فجأة متدفقا بالحيوية، ولاح كأن ترددها المضطرب، الملتبس فى المغادرة دون شراء شئ آخر إضافى قد وجد مخرجا له.

– طيب. ألا تظنين أنها رخيصة؟

- إنها رخيصة حقا.

التقطت "يوشيكو" بدورها مظلة. وأمسكت أمها بمظلتها إلى جانبها، وفتحتها.

- الأسلاك وحدها ستكون رخيصة بهذا السعر. النسيج ... طيب، إنه من مادة الريون، ولكنه مصنوع بشكل جيد. ألا تعتقدين ذلك؟

كيف أمكن أن تباع مثل هذه السلعة بهذا السعر؟ مع التماع السؤال فى ذهن يوشيكو، تدفق فى أعماقها شعور غريب بالنفور كأنما دفعها شخص أعرج دفعة عنيفة. ومضت أمها، وقد استغرقت فى الأمر تماما، وراحت تفتح مظلة عقب الأخرى، تبحث فى الكومة للعثور على مظلة مناسبة لسنها. انتظرت "يوشيكو" برهة، ثم قالت:

- أماه، أليس لديك مظلة فى الدار؟

- بلى، الأمر كذلك، ولكن...

ألقت نظرة سريعة على "يوشيكو"، وأضافت:

- إن عمرها عشر سنوات، لا، بل أكثر، فهى لدى منذ خمسة عشر عاما. وهى بالية، وعتيقة الطراز. وإذا ما أهديت هذه المظلة إلى أحد ما، يا "يوشيكو"، ففكرى كم سيكون سعيد.

- هذا صحيح. لا بأس إذا كانت ستصبح هدية.

- ليس هناك أحد لن يسعد بتلقيها.

ابتسمت "يوشيكو"، فقد بدا أنها تختار المظلة وفى ذهنها ذلك إلى "أحد ما". ولكنه ليس أى شخص مقرب منهم، ولو أنه كان كذلك لما قالت أمها عنه إنه "أحد ما"

- ما رأيك فى هذه المظلة يا يوشيكو؟!

- مظهرها جيد.

وعلى الرغم من أن "يوشيكو"، ردت ردا يفتقر إلى الحماس، إلا أنها مضت إلى جانب أمها، وشرعت فى البحث عن مظلة مناسبة.

كان مشترون آخرون، يرتدون ثيابا خفيفة من "الريون"، ويقولون: "إنها رخيصة. إنها رخيصة". يمضون بالمظلات، على نحو عرضى، فى طريق خروجهم من المتجر.

أحست يوشيكو بالإشفاق على أمها، التى كانت تحاول وقد ارتسم العزم على وجهها الذى احمر قليلا، أن تعثر على المظلة المناسبة بجهد شاق، وتفاقم غضبها حيال ترددها هى.

ابتعدت عن أمها، وكأنها تقول لها: "لم لا تبتاعين مظلة، أى مظلة، على نحو عاجل؟"

- يوشيكو، دعينا نتوقف عن هذا !

- ماذا؟

طفت ابتسامة واهية على ركنى فمها، كأنها تلقى بشئ ما بعيدا، ووضعت يدها على كتف "يوشيكو"، وغادرت المنضدة. والآن، كانت "يوشيكو" هى التى شعرت ببعض التردد، الذى لاسبيل إلى تحديده. ولكنها عندما خطت خمس خطوات أو ستا شعرت بالارتياح.

أمسكت بيد أمها المستقرة على كتفها، وضغطتها بقوة، وأرجحتها مع يدها. انضمت أمها إليها بحيث غدتا تسيران كتفا بكتف، وأسرعت نحو المخرج.

حدث هذا منذ سبع سنوات، أى فى العام ١٩٣٩.

عندما انهمر المطر على سطح الكوخ المؤلف من لوح معدنى تركت النار أثرها عليه، مضت "يوشيكو" تحدث نفسها بأنه كان يمكن أن يكون أمرا طيبا لو أنهما ابتاعا تلك المظلة، ووجدت نفسها راغبة فى اتخاذ قصة طريفة منها ترويها لأمها. وفى هذه الأيام الحالية يمكن أن تتكلف المظلة مئة ين أو مئتين. ولكن أمها كانت قد ماتت فى قصف "كاندا"، حيهما بمدينة طوكيو بالقنابل الحارقة.

وحتى لو أنهما كانا قد ابتاعا المظلة، فربما كانت ألسنة النيران ستلتهمها.

وبالمصادفة، نجت مثقلة الورق من الحريق. فعندما احترقت دار زوجها فى "يوكوهاما"، كانت مصقلة الورق من بين الأشياء التى قامت بدسها فى اضطراب فى حقيبة معدة للطوارئ. وكانت التذكار الوحيد الذى بقى من الحياة فى دار أمها.

من المساء فصاعدا، تتردد الأصوات الغريبة المدوية المنطلقة من فتيات الحى، فهن يتحدثن عن الكيفية التى يمكنك بها أن تكسب ألف ين فى ليلة واحدة. رفعت "يوشيكو" مثقلة الورق ذات الأربعين سينا، التى أمضت، عندما كانت فى مثل سن هاته الفتيات، عشرة أيام، فى التفكير قبل أن تقرر شراءها، وأمعنت النظر فى الكلب الصغير الجذاب المنقوش بطريقة النحت البارز. وأدركت، فجأة، أنه لم يبق هناك كلب واحد فى الحى المحترق بأسره, وجاءت هذه الخاطرة بمثابة صدمة لها.

(١٩٤٦)

تــــــابى

إذا كانت أختى إنسانه على مثل هـذا القدر الكبير مـن الرقـة، فلمـاذا تعين أن تمـوت بتلـك الطريقة؟ لم أفهم ذلك.

بلغت مرحلة الهذيان فى المساء، وتقوس ظهرها، وارتعشـت يداهـا الممتدتـان، المتقلصتـان، بعنف. وحتى عندما توقف ذلـك، بـدا أن رأسـها توشـك علـى السـقوط علـى الوسـادة إلـى اليسـار، وعندئذ، ومن فمها نصف المفتوح زحفت خارجة دودة بيضاء دائرية مما يستقر فى الأمعاء.

منذ ذلك الحين، غالبا ما استعدت بوضوح بالغ ذكرى بياض تلك الدودة الغريب. وفـى مثـل تلك الأوقات درجت على التفكير فى بياض الجوارب المعروفة باسم تابى(١٣)

عندما كنا نضع بعض الأشياء فى تابوت أختى، قلت:

– أماه، ماذا عن التابى. دعينا نضعه بدوره.

– هذا أمر جيد. لقد نسيته. لأن هذه الطفلة لها قدمان جميلتان.

– مقاس تسعة. فلنتأكد من أننا لانخلط التابى الخاص بها مع ذلك الذى يخصنى أو يخصك.

ذكرت التابى، ليس لأن قدمى أختى كانتا صغيرتين وجميلتين فحسب، ولكـن بسـبب ذكـرى تتعلق بمثل هذه الجوارب.

كان ذلك فى ديسمبر من عامى الثانى عشر. فى بلـدة قريبـة، رعـت شـركة "إيسـامى تـابى" مهرجانا سينمائيا. أقبلت فرقة للدعاية، كانت تمضـى مـن مدينـة إلـى أخـرى، ومعهـا أعـلام خفاقـة تتموج فى الهواء، ووصلت إلى قريتنا. قيل إن بطاقات دخول السينما قد خلطـت بـأوراق الدعايـة التى توزعها الفرقة. سرنـا، نحن أبناء القرية وبناتها من الأطفال وراء الفرقة، ومضينـا نلتقـط كـل أوراق الدعاية. وكانت تلك فى حقيقة الأمر حيلـة لدفعنـا لشـراء الجـوارب لكـى نسـتطيع اسـتخدام أوراق التعريف بنوعها الملصقة بها كبطاقات دخول لدور السينما. وفى ذلك الحين فى قـرى مثـل قريتنا لم تكن هناك فرصة لمشاهدة فيلم سينمائى، باستثناء أيام الأعياد أو خلال مهرجان المشاعل. وبيعت الجوارب بشكل جيد.

قمت بدرى بالتقاط أوراق الدعاية، والتى حملت صورة جريئة ل "الفتى يقتحم المدينة". وفى وقت مبكر من ذلك المساء، مضت إلى البلدة، ووقفت فى الطابور خارج دار العرض السينمائى الصغير. وشعرت بعدم الارتياح والخوف، هل يتضح أن ورقة الدعاية ليست هى بطاقة الدخول؟

- ماهذه؟ إنها ليست إلا ورقة دعاية.

قالها الرجل الذى يأخذ بطاقات الدخول، وهو يضحك منى. مضيت إلى الدار، وقد استبد بى الشعور بخيبة الأمل. وبشكل ما، لم أستطع إجبار نفسى على الذهاب إلى الدار. سيطر على الشعور بالوحدة، فمضيت أتسكع إلى جوار البئر. أقبلت أختى، حاملة دلوا لجلب بعض الماء. وضعت يدها على كتفى، وسألتنى عن جلية الأمر. حجبت وجهى بكفى، فتركت أختى الدلو هناك، ومضت إلى داخل الدار، وعادت حاملة نقودا.

- إذهب سريعا الآن!

عندما انعطفت عند ركن الشارع، التفت إلى الوراء، وكانت أختى تقف هناك، ملوحة لى. فانطلقت مسرعة بقدر ما أستطيع. وعند منتج الجوارب فى البلدة، سئلت:

- أى مقاس تريدين.

سيطر على الارتباك.

- إذن، انزعى التابى الذى ترتدينه الآن.

داخل نسيج الجزء الضاغط من التابى كتب الرقم "تسعة".

عندما عدت، سلمت الجورب لأختى، فقد كان مقاسها تسعة بدورها.

مضى عامان تقريبا، وقد انتقلت عائلتنا إلى كوريا، وأقامت فى سيؤول. وفى العام الثالث من مدرسة الفتيات وقعت فى حب مدرسى السيد "ميتسوهاشى". فتعرضت للمراقبة فى الدار، وحظر على القيام بزيارته. وأصيب السيد "ميسوهاشى" بالبرد وتوالت التعقيدات فى حالته الصحية، وهكذا لم تعقد امتحانات نهاية الفصل الدراسى.

خرجت مع أمى قبيل عيد الميلا، وحدثت نفسى بأننى سأشترى للسيد "ميتوهاشى" هدية، تحمل معنى تمنى الشفاء له. ابتعت قبعة من النوع الذى يتخذ أعلاه من الأطلس الأرجوانى، وفى شريط القبعة كان هناك غصين من نبات "البهشية" ذو لون أخضر قاتم مع مجموعة من ثمارها الحمراء، وداخلها كانت هناك قطع من الشيكولاته لفت فى ورق فضى.

عندما دخلت المكتبة فى الجادة الكبيرة التقيت بأختى، فأطلعتها على الهدية فى غلافها.

- خمنى ما هذا! هدية للسيد متسوهاشى.

- كان ينبغى ألا تفعلى هذا.

قالتها أختى بصوت خفيض، وكأنها تحملنى المسئولية، أضافت:

- أما قيل لك ألا تفعلى هذا حتى فى المدرسة؟

تبخرت سعادتى. وللمرة الأولى، أحسست بأننى وأختى شخصان منفصلان كلية.

مكثت القبعة ذات الطرف العلوى الأحمر على قمطرى فى البيت. وانقضى عيد الميلاد. ولكن فى الثلاثين من ذلك الشهر الأخير من العام اختفت القبعة، فحدثت نفسى بأنه حتى ظل سعادتى قد اختفى، ولم أستطع حتى سؤال أختى عما حدث للقبعة.

فى اليوم التالى، يوم عيد رأس السنة، دعتنى أختى للقيام بنزهة خارج الدار.

- لقد قدمت قطع الشيكولاتة تلك إحياء لذكرى السيد "ميتسوهاشى"، وكانت كجوهرة حمراء فى ظل الزهور البيضاء. كانت جميلة، وطلبت أن توضع فى تابوته

لم أكن قد علمت بأن السيد "ميتسوهاشى" قد مات، حيث لم أخرج بعد وضع القبعة على قمطرى فى الدار. ومن الجلى أن الجميع فى الدار قد أخفى نبأ موته عنى.

حتى الآن، تعد تلك القبعة ذات الطرف العلوى الآحمر، وتلك الجوارب اليابانية البيضاء، الأشياء الوحيدة التى وضعتها فى توابيت. وقد سمعت بأن السيد "ميتسوهاشى" قد لقى حتفه بعد أن عانى أشد العناء على حشيته الرفيعة فى السكن الداخلى الرخيص بالمدرسة، وقد أوشكت عيناه على الخروج من محجريهما.

إننى، أنا التى بقيت على قيد الحياة، أسأل نفسى: ما الذى تعنيه تلك القبعة ذات الطرف العلوى وتلك التابى البيضاء؟

(١٩٤٨)

طائر الزرياب

منذ إطلالة النهار الأولى، مضت أنثى طائر الزرياب تغرد محدثة ضجة ملموسة.

عندما فتحوا مصاريع النوافذ، حلقت عاليا أمام أعينهم من غصن خفيض فى شجرة الصنوبر، ولكنها عادت فيما يبدو. وخلال تناول طعام الإفطار توالى صوت اصطفاق أجنحة مدومة:

- أنثى طائر الزرياب هذه تثير الضيق.

قالها الأح الأصغر، وهو يشرع فى النهوض.

استوقفته الجدة:

- لا بأس، لا بأس، فهى تبحث عن صغيرها، ويبدو أن الصوص سقط من العش البارحة، فقد كان يتقافز حتى وقت متأخر من مساء أمس. أتراها لا تعرف أين هو؟ ولكن يالها من أم طيبة! لقد أقبلت هذا الصباح مباشرة لتبحث عنه.

قالت "يوشيكو":

- الجدة تتفهم الأمر جيدا.

كانت عينا الجدة قد أصابهما الضعف. وإذا نحينا جانبا إصابة بالتهاب الكلية، منذ قرابة عشر سنوات، فإنها لم تعرف المرض فى حياتها، ولكنها بسبب إصابتها بإعتام عدستى العينين، التى عانت منها منذ يفاعتها، لم يكن بمقدورها أن ترى إلا بصورة معتمة بعينها اليسرى. وتعين على المرء أن يسلمها فى يديها طبق الأرز وعودى تناول الطعام. وعلى الرغم من أنها كان بمقدورها أن تتلمس طريقها فى أرجاء داخل البيت المألوف لها، إلا أنها لم يكن بوسعها المضى إلى الحديقة بمفردها.

فى بعض الأحيان، وخلال وقوفها أو جلوسها قبالة الباب الزجاجى المنزلق، كانت تمد يديها، مبعدة مابين أصابعها، بإزاء سنا الشمس المتسرب عبر الزجاج، وتحدق إلى الخارج. وكانت تركز كل ما بقى ما بقى لها من حياة فى تلك النظرة متعددة الزوايا.

في مثل هذه الأوقات كانت الجدة تبعث الخوف في نفس "يوشيكو"، وعلى الرغم من أنها كانت ترغب في مناداتها، وهي تقبل من ورائها، إلا أنها كانت تمضي بعيدا مسترقة الخطى.

تحدثت هذه الجدة، الضريرة على وجه التقريب، من خلال مجرد الاستماع إلى صوت أنثى طائر الزرياب، وكأنها رأت كل شئ، فسيطرت الدهشة على "يوشيكو".

عندما أزالت يوشيكو مابقى من الإفطار مع الآنية وأدوات المائدة، ومضت في غمار ذلك إلى المطبخ، كانت أنثى طائر الزرياب تغرد من فوق سقف دار الجيران.

كانت هناك في الحديقة الخلفية شجرة كستناء وشجرتا برسيمون أو ثلاث شجرات. وعندما تطلعت "يوشيكو" إلى هذه الأشجار رأت مطرا خفيفا ينساب. كان من ذلك النوع من الأمطار الذى لا يمكنك القول إنه يتساقط إلا بعد أن تراه قبالة أوراق الأشجار الكثيفة.

نقلت أنثى طائر الزرياب مجثمها إلى شجرة الكستناء، ثم حلقت على ارتفاع خفيض، ومرت بخفة فوق الأرض، وعادت مجددا إلى الغصن، وهي تغرد في غضون ذلك كله.

لم تستطع هذه الأم التحليق بعيدا. ترى هل كان ذلك لأن صوصها كان في مكان ما غير بعيد؟

استبد القلق عليها بيوشيكو، فمضت إلى غرفتها، فقد كان عليها الاستعداد قبل أن ينقضي الصباح.

كان من المقرر أن يحضر أبوها وأمها، في الأصيل، إلى الدار مع والدة خطيبها.

جلست قبالة المرآة، وألقت نظرة سريعة على النجوم البيضاء التي لاحت تحت أظافر أصابعها. لقد قيل إنه عندما تتكون نجوم تحت أظافرك، فإن ذلك يعد مؤشرا إلى أنك ستتلقى شيئا ما، ولكن "يوشيكو" تذكرت أنها قرأت في صحيفة أن هذا يعني نقصا في فيتامين "ج" أو شيئا من هذا القبيل. مضت عملية وضع لمسات التجميل على نحو بهيج إلى حد كبير. غدا حاجباها وشفتاها جميعا متسمة بالفتنة على نحو لا يطاق، وارتدت كيمونوها بدوره في يسر.

كانت قد فكرت في انتظار قدوم أمها لتساعدها في ارتداء ملابسها، ولكن كان من الأفضل أن ترتديها بنفسها، حسبما قررت.

أقام أبوها بعيدا عنهم، وكانت من تدعوها بأمها زوجة أبيها.

عندما طلق أبوها أمها الأولى، لم يكن عمرها يتجاوز الرابعة، وأخوها الأصغر في الثانية من عمره. وتمثلت الأسباب التي قيلت في معرض تبرير الطلاق في أن أمها كانت تمضي مرتدية ملابس مبهرجة، وتنفق المال بجنون، ولكن "يوشيكو" راودها شعور على نحو غامض بأن الأمر يتجاوز ذلك، وأن السبب الحقيقي يكمن في أغوار أبعد.

عثر أخوها بمحض الصدفة، عندما كان طفلا، على صورة لأمهما وأطلع أباها عليها، فلم ينبس ببنت شفة، ولكنه قام، فجأة، وقد ارتسمت عليه مؤشرات غضب رهيب، بتمزيق الصورة إلى قطع ورقية صغيرة.

عندما بلغت "يوشيكو" الثالثة عشرة من عمرها، رحبت بالأم الجديدة التى أقبلت إلى الدار. وفى وقت لاحق وصلت إلى الاعتقاد بأن أباها قد احتمل وحدته طوال عشر سنوات، من أجلها. وكانت الأم الثانية مخلوقة طيبة، فتواصلت حياة منزلية مسالمة.

وحينما بدأ الأخ الأصغر، لدى التحاقه بالمدرسة الثانوية، فى الإقامة فى السكن الداخلى بمدرسته، بعيدا عن الدار، تغير موقفه من امرأة أبيه على نحو ملحوظ.

- أيتها الأخت الكبرى، لقد قابلت أمنا، وهى متزوجة، وتقيم فى "أزابو". إنها جميلة حقا، وقد سعدت برؤيتى.

لدى سماع "يوشيكو" هذا القول فجأة، لم تستطع التلفظ بكلمة واحدة، وشحب وجهها، وأخذتها الرعدة.

أقبلت زوجة أبيها من الحجرة المجاورة، وجلست.

- إنه لأمر طيب، أمر طيب، ليس بالأمر السئ أن تلتقيا بأمكما، بل هو أمر طبيعى فحسب، ولقد عرفت لبعض الوقت أن هذا اليوم سيأتى. لايساورنى شئ بعينه حيال هذا الأمر.

لكن القوة بدا أنها قد تسربت من جسم زوجة أبيها. وبالنسبة ليوشيكو فإن زوجة أبيها الناحلة بدت ضعيفة، وضئيلة الحجم، على نحو مثير للإشفاق.

نهض أخوها على حين غرة، وغادر المكان، فأحست بأنها تود أن تلطمه.

- يوشيكو، لا تقولى له شيئا، فالحديث لن يؤدى إلا إلى جعل الفتى يغدو مخلوقا سيئا.

قالتها زوجة أبيها بصوت خفيض.

انهمرت الدموع من عينى يوشيكو.

استدعى أبوها أخاها إلى الدار من المدرسة، التى يقطن القسم الداخلى بها. وعلى الرغم من أن "يوشيكو" قد حسبت أن هذا من شأنه أن يحسم الأمر، إلا أن اباها مضى، عقب ذلك للإقامة مع زوجته فى مكان آخر.

أفزع ذلك "يوشيكو"، وبدا لها الأمر كأنما سحقتها قوة الغضب والحنق الذكوريين. ترى هل كرههما والدهما بسبب صلتهما بأمهما الأولى. بدا لها أن أخاها الذى انبعث واقفا، على حين غرة، قد ورث الصلف الذكورى المخيف عن أبيه.

ومع ذلك، فقد بدا ليوشيكو أن بمقدورها أن تتفهم الآن حزن أبيها وألمه، خلال السنوات العشر الأولى، التى انقضت بين الطلاق والزواج مرة ثانية.

وهكذا، فقد دهشت "يوشيكو" عندما أقبل أبوها، الذى انتقل بعيدا عنها، حاملا معه نبأ الخطبة.

- لقد سببت لك الكثير من المتاعب، وحدثت أم الشاب بأنك فتاة لها هذه الظروف، وأنها بدلا من أن تعاملك كعروس، فإنها ينبغى أن تعيد أيام طفولتك السعيدة.

بكت "يوشيكو"، عندما حدثها أبوها على هذا النحو.

لو أنها تزوجت، فلن يكون هناك يد امرأة ترعى أخاها وجدتها. وتقرر أن تكون الداران دارا واحدة. وفى ضوء هذا حسمت "يوشيكو" الأمر. وكانت تخشى الزواج بسبب أبيها، ولكن عندما وصل الأمر إلى مرحلة الحديث الفعلى فى الأمر، لم يكن مما يبعث على الخشية فى نهاية المطاف.

عندما اكتملت استعدادت "يوشيكو"، مضت إلى غرفة أمها.

- جدتى، هل تستطيعين رؤية اللون الأحمر فى هذا الكيمونو؟

- يمكننى رؤية بعض الحمرة على نحو غائم هنالك. أى كيمونو هو؟

قالتها الجدة، وهى تجتذب "يوشيكو" إليها، وتقرب عينيها إلى الكيمونو وإلى الوشاح.

- لقد نسيت محياك، يا "يوشيكو" ! أتمنى لو أننى استطعت رؤيتك على نحو ما تبدين عليه الآن.

كبحت "يوشيكو" جماح رغبة فى أن تنفجر ضاحكة، وأرخت كفها بخفة على رأس جدتها.

وفى غمار رغبتها فى الخروج ومقابلة أبيها والآخرين، لم يكن بمقدورها الاكتفاء بالجلوس هناك، والانتظار وسط الغموض الذى يلفه الموقف. فخرجت إلى الحديقة، ومدت يدها، وراحتها إلى أعلى، ولكن المطر كان من الرهافة بحيث لم يبل راحتها. فلملمت ذيل الكيمونو الذى ترتديه، ومضت تبحث بين الأشجار الصغيرة وفى أجمة الخيزران المعشبة، وهنالك، فى العشب المرتفع، وتحت البرسيم، استقر الصوص.

مضى قلب "يوشيكو" يخفق سريعا، وانحنت مقتربة منه، لم ينزعج طائر الزرياب الصغير، الذى كان رأسه ينكمش فى عنقه، وكان من اليسير أن ترفعه إلى يدها. وبدا أنه قد فقد طاقته، وتطلعت "يوشيكو" حولها، ولكن أنثى طائر الزرياب لم تكن فى مدى النظر فى أى موضع.

انطلقت "يوشيكو" تعدو إلى الدار، وهتفت:

- جدتى. عثرت على الصوص، ها هو فى يدى، يبدو ضعيفا للغاية.

- أوه. هل الأمر كذلك؟ حاولى تقديم بعض الماء له.

كانت جدتها هادئة.

عندما غرفت "يوشيكو" بعض الماء وسكبته فى طبق الأوز، ومدت منقار صوص الزرياب، فغمسته فيه، وشرب، وانتفخ زوره الصغير بطريقة جذابة. وعندئذ -ترى هل استرد عافيته- صاح عاليا:

- كى -كى- كى- كى- كى- كى ....

سمعت أنثى طائر الزرياب الصيحة، فأقبلت محلقة، وجثمت على سللك الهاتف، ومضت تغرد. غرد الصوص بدوره وهو يتقلقل فى يد "يوشيكو":

- كى- كى- كى ...

قالت جدتها :

- آه. كم هو جميل أنها أقبلت ! أعيديه إلى أمه أسرعى!

عادت "يوشيكو" إلى الحديقة، فحلقت أنثى طائر الزرياب عاليا من سلك الهاتف، ولكنها حافظت على المسافة الفاصلة، ومضت تتطلع على نحو ثابت إلى "يوشيكو" من أعلى شجرة الكرز.

رفعت "يوشيكو" يدها، وكأنما لتعرض الصوص المستقر فى راحتها، ثم وضعته بهدوء على الأرض.

بينما مضت "يوشيكو" ترقب المشهد من وراء الباب الزجاجى، اقتربت أنثى طائر الزرياب تدريجيا على هدى صوت الصوص المغرد بلا انقطاع. وعندما هبطت إلى الغصن الخفيض من شجرة صنوبر قريبة، مضى الصوص يصفق بجناحية، محاولا التحليق إليها، وتعثر إلى الأمام فى غمار محاولاته فسقط وهو يواصل التغريد.

ومع ذلك فقد أحجمت الأم فى حذر عن الوثوب إلى الأرض.

غير أنها سرعان ماطارت فى خط مستقيم إلى جانب الصوص. وبدت بهجة الصوص بلا حدود، ومضى يلتفت ويلتفت نحو أمه وجناحاه منتشران، وهما يرتجفان، وتواثب عاليا نحو أمه، وبالفعل كانت الأم قد جلبت له مايؤكل.

تمنت "يوشيكو" أن يقبل أبوها وزوجته سريعا، وحدثت نفسها بأنها تود أن تريهما هذا المشهد.

(١٩٤٩)

قوارب من وريقات الخيرزان

وضعت "أكيكو" الدلو إلى جوار نباتات الخطميات الوردية. التقطت بعض الوريقات من شجرة الخيزران النامية تحت شجرة الخوخ، وصنعت العديد من اللعب منها على شكل قوارب. وجعلتها تطفى على سطح الماء فى الدلو.

قالت:

- انظر إلى هذه القوارب ! أليست جميلة؟

جلس صبى صغير مقعيا أمام الدلو، محدقا فى القوارب، ثم ابتسم فيما هو يتطلع إلى "أكيكو".

- إنها قوارب جميلة. وقد أعطتك "أكيكو" بعضا منها لأنك فتى بارع للغاية فاجعلها تلعب معك.

قالتها أم الطفل خلال عودتها إلى حجرة الاستقبال.

كانت المرأة كذلك والدة خطيب "أكيكو". وقد أدركت هذه الأخيرة أن المرأة لديها ما تقوله لوالدها، ولذا فقد خرجت لتتيح لهما الحديث منفردين. وكان الصبى مصدر إزعاج وضجيج، فمضت به إلى الحديقة معها. وكان هذا الصبى الأخ الأصغر لخطيبها.

مد الصبى يده فى الدلو، وحرك الماء:

- أختاه، القوارب تدور رحى حرب بينها.

قالها وهو مندهش من القوارب المدومة حول نفسها فى المياه.

ابتعدت "أكيكو" خطوات لتعصر كيمونو صيفيا كانت عاكفة على غسله، ثم نشرته ليجف.

- إليك حربا أخرى! حربا أخرى !

هتف الفتى بمزيد من العنف وهو يحرك الماء فى دوامات، وتناثرت قطرات ماء على وجهه.

- انظر إلى ماحدث لك ! كف عن ذلك ! لقد تبلل وجهك كله.

قالتها "أكيكو"، ووضعت حدا لعبثه.

قال الفتى متذمرا:

- الآن، هاهى القوارب تأبى الانطلاق.

لم تكن القوارب تنطلق حقا، وإنما طفت على سطح الماء فحسب.

- ليكن. دعنا نمض إلى الغدير هناك، لسوف تنطلق هنالك.

أخذ الصبى بعض القوارب، وألقت "أكيكو" الماء عند قاعدة نباتات الخطميات الوردية، وأعادت الدلو إلى المطبخ.

وقفت "أكيكو" مع الصبى على صخرة على ضفة الغدير، وأطلق كل منهما بعض القوارب فى الماء، وصفق الصغير ابتهاجا.

- انظرى ! زورقى فى المقدمة !

انطلق الصبى يسابقها منحدرا مع مجرى الغدير، ليبقى أول القوارب فى مدى نظره.

سارعت "أكيكو" بتعويم باقى القوارب، وانطلقت عدوا وراء الصبى.

فجأة أدركت "أكيكو" أنها ينبغى عليها التأكد من أنها ستدوس بكعبها امتدادا حتى الأرض.

وعادة لم يكن كعبها الأيسر يمس الأرض، بسبب مخلفات الإصابة بشلل الأطفال. وكان كعبها صغيرا، ورقيقا، وتقوس باطن قدمها عاليا. وفى طفولتها لم يكن بمقدورها المضى فى رحلات ميدانية أو ممارسة لعبة القفز فوق الجبل. وقد اعتزمت أن تعيش حياة هادئة تهمين عليها الوحدة. ولكن اتخذت، من دون توقع، الترتيبات استعدادا لزواجها. وانطلاقا من ثقتها من أن بمقدورها التعويض عن إعاقتها بقوة إرادتها بدأت فى ممارسة وضع كعب قدمها امتدادا حتى الأرض بمزيد من الحرص واللهفة على نحو يتجاوز أى وقت مضى. وسرعان ما تقرحت قدمها اليسرى، ومع ذلك فقد استمرت أكيكو، وكأنها تؤدى نوعا من طقوس التوبة. غير أنها توقفت عن ذلك منذ هزيمة اليابان فى الحرب. وظل التقرح على حاله، كأنه أثر قاس بقى من إصابة بقضمة صقيع.

ولأن الصبى الصغير هو الشقيق الأصغر لخطيبها؛ فقد حاولت السير مع إنزال كعب قدمها اليسرى على الأرض. وقد مر وقت طويل منذ بذلت الجهد الضرورى لتحقيق ذلك.

كان الغدير ضيق المجرى، وقد احتجزت الأعشاب المتدلية إلى الماء من الضفتين ثلاثة زوارق أو أربعة منها.

توقف الصبى على بعد عشر خطوات منها، ومضى يراقب قواربه، وهى تطفو مبتعدة. لم يبد أنه قد لاحظ اقتراب "أكيكو"، ولم يلمحها وهى تحاول السير بالطريقة الصحيحة.

ذكر التجويف العميق فى قفا الصبى "أكيكو" بخطيبها، فأرادت بشدة بالغة أن تعانق الصبى حتى أنها لم تعد تحتمل هذا الشعور.

أقبلت أم الصبى خارجة من الدار، وأعربت عن شكرها ليوكيكو، واستحثت الصبى على الانطلاق معها.

قال الصبى بصوت خفيض:

- إلى اللقاء !

تساءلت "أكيكو" عما إذا كان خطيبها قد لقى حتفه فى الحرب أم أن الخطبة قد فصمت عراها. ترى هل كان عرض الزواج من فتاة عرجاء مجرد تعبير عن انفعال عاطفى مما يتزامن مع الحرب؟

لم تدلف "أكيكو" إلى الدار، وإنما سارت إلى الدار الجديدة التى تشيد إلى جوارهم. كانت دارا كبيرة، لا تشبه أى دار أخرى فى المنطقة، وهكذا فإنه حتى المارة كانوا يتوقفون على الدوام لإلقاء نظرة عليها. وكان التشييد قد توقف فى هذه الدار خلال الحرل، ولذا نمت الأعشاب عالية حول الكتل الخشبية. أما الآن، فها هو العمل يتقدم مرة أخرى، وغرست شجرتا صنوبر متموجتان عند البوابة.

بدت الدار لأكيكو كيانا عنيدا، لا رقة فيه ولا رهافة. وفضلا عن ذلك فقد احتوت على أكثر مما ينبغى من النوافذ، وقاعة الاستقبال لها نوافذ فى كل الجوانب.

كان الحى كله يتبادل الأحاديث الفضولية عن نوعية الناس الذين سيقطنون هذه الدار، ولكن أحدا لم يعرف، على وجه اليقين من هم.

(١٩٥٠)

بيـــض

أصيب كل من الزوج والزوجة بنوبة برد، ورقدا أحدهما إلى جوار الآخر.

كانت الزوجة تدلف إلى الفراش مع الحفيد الأكبر، ولكـن زوجهـا كره أن يوقـظ علـى نحـو مبكر، ولذا كان من النادر أن يناما أحدهما إلى جوار الآخر

وقد أصيب الزوج بنوبة برد بطريقة غريبة، فقد كان له منتجع أثير قديـم يضـم ينـابيع ميـاه حارة في "تونوسادا"، في "هاكوني"، يمضي إليه حتى في الشتاء. وفي هذا العام مضـى إلـى هنـاك في مستهل شهر فبراير. وفي اليوم الثالث من إقامته هناك، نهض من نومه مسرعا، ومضـى إلـى الحمام معتقدا أن الساعة الواحـدة والنصـف ظهـرا. وعندمـا عـاد كـانت الخادمـة تضـع الفحـم فـي المجمرة، وقد بدت نصف نائمة.

- ما الذى يجرى هذا الصباح؟ يدهشني أن أراك مستيقظا في وقت مبكر على هذا النحو.

- ماذا؟ إنك تمزحين.

- الساعة لاتزال بعد السابعة بقليل، وقد استيقظت في السابعة وخمس دقائق.

ساوره الشعور بالحيرة، قال:

- ماذا؟ أوه. لقد خلطـت بيـن عقربـي السـاعة الصـغير والكبـير فـي سـاعتي، وهـي غلطـة جسيمة، ويبدو أن عيني تشيخان.

- في مكتب التسجيل بالطابق الأرضي، شـعرت بـالقلق مـن أن يكـون لـص أو شـئ مـا قد انسل إلى غرفتك.

عندما رفع ناظريه، رأى الخادمة مرتدية كيمونو من نوع "المايسيل" المخطط فوق منامتهـا. ولا بد أنها عندما أوقظت حيث ترقد لم يتح لهـا الوقـت الكـافي لتغيـير ملابسـها. وكـان قد اتصـل بمكتب الاستقبال ليبلغ القائمين عليه بأنه قد استيقظ، ولكن السر في أنه لم يتلق ردا هو أنهـا كـانت تغط في نومها.

- آسف لأننى ايقظتك فى مثل هذا الوقت المبكر.

- لا بأس فوقت الاستيقاظ كان قد حان على أى حال. ولكن هل ستعاود النوم. هل ارتب فراشك مرة أخرى؟

- طيب دعينى أتامل الأمر ...

مد يده فوق المجمرة. شعر بالنعاس، بعد أن أتت على ذكر الأمر، ولكنه اعتقد أن البرد سيوقظه.

كان قد غادر النزل والبرد يلف الصباح، فأصابته نوبة برد.

لم يكن سبب إصابة زوجته بالبرد على مثل هذا القدر من الوضوح، ولكن نوبات البرد تنتشر عدواها، وهكذا فربما كانت العدوى قد انتقلت إليها من شخص آخر.

لدى عوددة الزوج إلى الدار، كانت الزوجة طريحة الفراش بالفعل.

عندما حدث الزوج زوجته بقصة الاستيقاظ فى وقت مبكر للغاية، بعد الخلط بين عقربى الساعة، ضجت العائلة كلها بالضحك، ومرروا فيما بينهم جميعا ساعة الجيب ليلقوا نظرة عليها.

غير أنها كانت ساعة جيب كبيرة، وقد وصلوا إلى استنتاج أن المرء يمكن أن يخلط بين عقربيها فى عتمة الفراش لدى التطلع إليها بعينين ناعستين، حيث أن العقربين يأخذان الشكل نفسه مع وجود دائرة فى طرف كل عقرب. وحركوا العقارب ليختبروا ما إذا كانت السابعة وخمس دقائق يمكن الخلط بينها وبين الواحدة والنصف.

قالت الإبنة الصغرى:

- إنى بحاجة إلى ساعة يتوهج نورها فى الظلام.

وإذ شعر الزوج بالتعب والحمى، فقد قرر الرقاد جوار زوجته، وقال إن القصد من ذلك هو "المؤانسة".

- ربما يمكنك تعاطى الدواء نفسه الذى أعطانى إياه الطبيب، فنحن مصابان بالشئ نفسه، فى نهاية المطاف.

عندما استيقظا فى صبيحة اليوم التالى، تساءلت الزوجة:

- طيب، كانت باردة. البارحة مضيت تسعلين على نحو فظيع، الأمر الذى أيقظنى من نومى. ولكن كان كل ما على القيام به هو النحنحة، وعندئذ أجفلت فى خوف، الأمر الذى أدهشنى تماما.

-حقا؟ لم أدر بذلك.

- أنت تتامين باستغراق.

- ولكننى أستيقظ مباشرة لدى رقادى مع حفيدنا.

- ما أعجبك قفزك منزعة فى مثل عمرك هذا !

- هل أجفلت ؟

- نعم.

- ربما كان ذلك أمرا غريزيا حتى بالنسبة لامرأة فى مثل عمرى. إذا كان هناك جسم غريب إلى جانبى، عليك بالنعاس ونسيان الأمر، وعندئذ...

- جسم غريب ؟ هل أصبحت جسما غريبا بالنسبة لك ؟

قالها زوجها متسائلا فى مرارة، ولكنه أضاف عندئذ:

- هذا صحيح، ذات ليلة فى "هاكونى" -أظن أن ذلك كان يوم السبت- أقبل جمع من الناس إلى النزل. وبعد إقامة مأدبة، جاءت مجموعة منهم إلى الغرفة المجاورة للنوم، ولكن فتاة جيشا كانت قد أقبلت معهم استبد بها السكر إلى حد أن حديثها لم تعد مخارجه واضحة. ومضت تتذمر فى حديثها على الهاتف مع فتاة جيشا فى غرفة أخرى. كانت تصيح ، وقد تداخل حديثها بعضه فى البعض الآخر، ولذا لم أستطع تفهم ماكانت تقوله، ولكنها بدا أنها تقول: "سأضع بيضة! سأضع بيضة!" وكانت الكيفية التى قالت بها ذلك مضحكة.

- ذلك أمر مثير للإشفاق.

- مثير للإشفاق؟ لقد كان صوتها يدوى.

- وعندئذ نظرت إلى ساعتك. والنوم بداعبك، ونهضت من نومك. أليس كذلك؟

ابتسم الزوج بمرارة، وقال:

- لا، أيتها الغبية!

تناهى وقع أقدام إلى سمعهما.

نادت "أكيكو"، الابنة الصغرى، من وراء الحاجز المنزلق:

- أماه. هل أنت مستيقظة؟

- نعم.

- وأبى أيضا؟

- نعم إنه مستيقظ.

- هل لى فى الدخول؟

- نعم.

دلفت ابنتهما ذات الخمسة عشر ربيعا، وجلست بجانب أمها.

- تراءى لى كابوس.

- عم؟

- إننى مت. غدوت إنسانة ميتة. وقد عرفت أننى هذه الإنسانة الميتة.

- ياله من حلم فظيع !

- نعم، كان كذلك . كنت أرتدى كيمونو خفيفا، سابغ البياض. كنت أنحدر عبر طريق يمتد قدما، وقد ساد الضباب جانبى الطريق كليهما. وبدا الطريق وكأنه يطفو، وقد طفوت عندما سرت. مضت عجوز غريبة تقتفى أثرى، تبعتنى طوال الطريق. لم يتردد صوت وقع أقدامها. استبد بى الخوف إلى حد أننى لم أستطع التطلع إلى الوراء، ولكننى كنت أعرف أنها هناك، ولم يكن بمقدورى الابتعاد. أماه، أتراها كانت ملاك الموت؟

قالت الزوجة وهى تنظر إلى زوجها:

- كلا، بالطبع. ثم ماذا حدث؟

- ثم بينما مضيت أتابع السير راحت الدور تظهر هنا وهناك، على جانب الطريق. كانت دورا خفيضة كالثكنات ... كلها سواء فى لونها الرمادى وأشكالها الرهيفة الدائرية. تواريت داخل إحدى الدور.ومضت العجوز، بطريق الخطأ، فدلفت إلى دار مختلفة. جيد، هكذا حدثت نفسى. ولكن لم يكن هناك موضع للرقاد فيه داخل الدار... فقد كان البيض فحسب مكوما فى كل مكان.

قالت الزوجة، متنهدة:

- بيض؟

- بيض. أظنه كان بيضا.

- حقا؟ ثم ماذا حدث؟

- لست متأكدة، ولكننى أحسب أننى نقلت إلى عليين، بعيدا عن تلك الدار وبيضها. وبينما كنت أحدث نفسى قائلة: " إننى فى طريقى إلى السماء" استيقظت من نومى.

ثم تطلعت الفتاة إلى أبيها:

- أبتاه. أتراني سألقى حتفي؟

- كلا، بالطبع.

قالها، وقد أدهشه سؤالها، رادا بالطريقة ذاتها التي استخدمتها زوجته. وكان يسائل نفسه عما إذا كانت الفتيات من ذوات الخمسة عشر ربيعا تتراءى لهن أحلام عن الموت، مثل هذا الحلم، عندما أتت على ذكر البيض. وقد أوشك على الصياح ... كان الأمر محيرا.

قالت الفتاة:

- أوه. كان أمرا مخيفا .... وهو لا يزال كذلك.

- "أكيوكو"، بالأمس، عندما كان زوري يؤلمني، حسبت أنه سيكون أمرا طيبا أن أبتلع بعض البيض النيئ. وقد مضيت أنت لشراء البعض منه، وهذا هو السر في أن حلما حول البيض قد تراءى لك.

- أيمكن أن يكون الأمر كذلك؟ هل أحضر لك البعض منه الآن؟ هل تتناول قليلا منه؟

هكذا واصلت الفتاة طرح الأسئلة.

قالت الزوجة:

- لقد كنت تفكر في بيض فتاة الجيشا التافهة التي رأيتها، ولذا تراءى البيض لها في الحلم. كم هذا مثير للإشفاق !

مضى زوجها يتطلع إلى السقف، وهو يقول:

- إحم. هل تحلم "أكيكو" كثيرا بالموت.

- لست أدري. هذه هي المرة الأولى، فيما أعتقد.

- هل حدث شئ؟

- لست أدري.

- ولكن البيض هو الذي جعلها ترى صعودها إلى عليين. أليس كذلك؟

جلبت ابنتهما البيض، وكسرت بيضة، وأعطتها لأمها، ثم قالت قبيل مغادرتها الغرفة:

- هاك !

اختلست الزوجة النظر إلى البيضة، وقالت:

- تبدو منفرة بشكل من الأشكال، وليس بمقدوري ابتلاعها. هاك ... خذها.

رمق الزوج بدوره البيضة من طرف عينه.

(١٩٥٠)

الثعابين

تراءى حلم لإينيكو، التى كانت فى الرابعة والأربعين من عمرها.

لم تكن الدار دارها، وإنما دار أخرى، من دون شك، تلك التى مضت إليها، ولكنها عندما استيقظت لم يكن بوسعها أن تحدد لمن كانت هذه الدار. وفى الحلم، بدت السيدة "كاندا"، زوجة رئيس الشركة، وقد ارتسمت بطابع من تملك الدار. وكانت "إينكو" قد ظنت أنها فى دار "كاندا". ولكن مظهر غرفة المعيشة وترتيب الدار كانا مختلفين عن دار "كاندا".

عندما رأت الطيور الصغيرة للمرة الأولى، بدا لها أن زوجها موجود فى الغرفة كذلك. بدا أنهما وحدهما الموجودان فى الغرفة فحسب.

سألها زوجها، بعد أن أصغى لقصة الحلم:

- هل كانت الطيور الصغيرة فى قفص؟ أم كانت تحلق فى الحديقة؟

حارت "إينيكو" فى الرد:

- كانت فى غرفة المعيشة، ومضت تتقافز فيها.

كان هناك طائران، صغيران كالطنان، ولهما ريش ذيلى طويل. وعلى الرغم من أن جسميهما كانا أصغر من أجسام الطيور ذات الذيول الجميلة بريشها، فإن ريش ذيليهما كانا أطول وأعظم غزارة، وتألق كالمجوهرات.

ساور "إينيكو" شعور بأن ريشهما مؤلف من جواهر عديدة. وفيما مضيا يتحركان، تغايرت ألوان وأصداء جميلة فى رهافة عليهما، تماما كما أن المجوهرات الثمينة تتألق مع تغير جوانبها والتقاطها للضوء.

عندما جثم الطائران على كتف "إينيكو"، واصطفقت أجنحتهما، تألقت الأجنحة بتلون قزحى. وفى إطار هذا التلون كانت هناك خمسة أو سبعة تدرجات لونية متوهجة بالحيوية.

لم تشعر "إينيكو" بأى شئ على الإطلاق إلا بتحدثها لنفسها قائلة: " أوه. ما أجمل هذا!" ولم يبد غريبا أن طائرا يشبه ريش ذيله المجوهرات يتألق على يدها.

وفى وقت، أو آخر، غادر زوجها الغرفة. وكانت السيدة "كاندا" هناك.

فى الغرفة، كان الركن التزيينى يقع فى الجانب الغربى. ومن الجنوب إلى الشرق كانت هناك الحديقة، مع وجود شرفة على شكل ممر على امتداد جانبى الغرفة. وعند الركن الشمالى الشرقى انعطف الممر، وأصبح ممر غرفة المعيشة. وكانت "إينيكو" و "كاندا" جالستين فى الركن الشمالى الشرقى قرب غرفة المعيشة.

مضت خمسة ثعابين(١٤) تزحف فى أرجاء الغرفة. وعندما رأتها "إينيكو" لم تصرخ، وإنما بقت فى وضع الاستعداد للهرب.

قالت السيدة "كاندا":

-لا بأس، ليس هناك ما يدعو للقلق.

كان لون كل ثعبان مختلفا عن ألوان الثعابين الأخرى، وحتى بعد أن استيقظت "إينيكو" من نومها، تذكرت تلك الألوان المختلفة. كان أحد الثعابين أسود اللون، وآخر مخططا، والثالث أحمر اللون، شأن ثعبان جبلى، والرابع يحمل تأثيرات شكلية متقاربة، شأن أفعى سامة، ولكن لونه أكثر حيوية، والخامس فى لون الأوبال المكسيكى النارى، وهو ثعبان جميل للغاية.

حدثت "إينيكو" نفسها قائلة: "أه، ما أجمل هذا !"

من موضع، أو آخر ظهرت زوجة "شينودا" السابقة، وجلست هنالك. بدت، وهى الشابة الجميلة، كأنها راقصة فى مقتبل العمر.

وعلى الرغم من أن السيدة "كاندا" بدت فى عمرها الفعلى، و"إينيكو" بدورها فى عمرها أيضا، فإن زوجة "شينودا" السابقة كانت أصغر سنا مما كانت عليه عندما عرفتها "إينيكو"، قبل خمسة وعشرين عاما. وبدت كأنها تفيض صحة وشبابا.

كانت زوجة "شينودا" السابقة ترتدى كيمونو فى لون الماء الضارب إلى الخضرة وقد خلا من الأشكال الزخرفية.

وعلى الرغم من أن ملابسها كانت عتيقة الطراز، إلا أن تسريحتها كانت على أحدث طراز، تجمع فى إطارها الشعر إلى الأمام وبدا مرجلا على نحو يثير الضيق. وثبتت حلية متألقة فى المقدمة. وكانت كمشط دائرى كبير مؤلف من حلى مختلفة، أو أكليل صغير. وكانت هناك حلى حمراء وخضراء مع بروز اللآلئ.

- ياللجمال !

مع تحديق "إينيكو" فى الحلية، وضعت زوجة "شينودا" السابقة يدها على رأسها، واجتذبتها، ومدت يدها بها إلى "إينيكو"، وقالت:

- ألا تشترين هذه منى؟

بينما كانت تمسك بالحلية الشبيهة بالمشط أمام وجه "إينيكو"، بدأت هذه الأخيرة تتفكك على مهل من أحد طرفيها، فهى فى نهاية المطاف على شكل ثعبان. كان ثعبانا صغيرا.

من غرفة المعيشة تناهى خرير ماء ينسكب وأصوات الخادمات. وفى الركن القصى من الغرفة كانت هناك خزانة لأدوات الشاى. ومضت الخادمتان تغسلان الحلية.

قالت إحدى الخادمتين:

- أرجو أن تنظرى بعناية ما الذى تبتاعينه. أليست هذه جميعها أكبر مما ينبغى؟

ردت الخادمة الأخرى قائلة:

- هذا ليس عدلا، فقد انتقيت الثمار الكبيرة، اعتقادا منى بأنها جيدة، والآن هاهو اللوم يكال لى.

عند هذا الحد استيقظت "إينيكو" من نومها.

لم تكن قد لاحظت الحديقة، فى الحلم، بشكل خاص، ولكنها بدورها كانت مليئة بالثعابين.

- أكانت تنساب معا فى جماعات؟

عندما طرح زوج "إينيكو" هذا السؤال عليها، ردت عليه قائلة على وجه الدقة:

- كان هناك أربعة وعشرون ثعبانا.

وفى غرفة منفصلة كذلك وراء غرفة المعيشة، بدا أن هناك جمعا من الناس. كان السيد "كاندا" رئيس الشركة، هناك، جنبا إلى جنب مع أخيه الأصغر وزوج "إينيكو". وخلال حلم "إينكو" ساورها شعور بأنها سمعت أصواتهم وهم يتجاذبون أطراف الحديث.

عندما فرغت "إينيكو" من سرد قصة الحلم، غمرها الصمت مع زوجها لبرهة

قال زوجها، أخيرا.

- ترى ما الذى تفعله زوجة "شينودا" هذه الأيام؟

رددت "إينكو" صدى تساؤله:

- نعم . ما الذى تفعله؟

- أتساءل أين هى الآن.

لم تكن "إينيكو" قد رأتها طوال خمسة وعشرين عاما. وقد مرت عشرون سنة أو نحو ذلك منذ وفاة "شينودا".

كان "شينودا" وزوج "إينيكو" زميلين خلال الدراسة بالجامعة. وقد اهتمت زوجة "شينودا" السابقة كثيرا بإنيكو، التى كانت فى صف دراسى أدنى فى كلية البنات ذاتها. ومن خلال وساطة الزوجة تم زواج "إينكو". ولكن قبل مضى وقت طويل طلق "شينودا" زوجته الأولى وهو الآن متزوج مرة أخرى. ولما كانت "إينكو" وزوجها يعرفان الزوجة الثانية كذلك، فقد أطلق على الزوجة الأولى لقب "الزوجة السابقة"

وكانت الزوجة الأولى قد اختفت عن ناظريهما بعد وقت قصير من الطلاق. وتوفى "شينودا" بعد ثلاث سنوات أو أربع من زواجه للمرة الثانية.

وقد عمل زوج "إينيكو" و"شينودا" فى شركة واحدة. وتوسطت الزوجة السابقة لدى رئيسهما، "كاندا"، وحصلت على الوظيفتين لهما.

كانت الزوجة السابقة، قبل أن تتزوج "شينودا"، تحب "كاندا". ولكن لما كان "كاندا" ليس بسبيله إلى الزواج منها، فقد تزوجت "شينودا".

وقد تزوجت زوجة "كاندا" منه من دون أن تعرف أى شئ عن ذلك. وكانت قد قالت فى الماضى لإينيكو أن "شينودا" قد فعل شيئا قاسيا بزوجته.

والآن، ها هو "كاندا" قد أصبح رئيس الشركة.

لم تحاول "إينكو" إقحام تفسير على هذا الحلم، ولكنها أبقته فى قرارة فؤادها.

(١٩٥٠)

مـــطر خـــريفى

فى عمق روحى تراءت لـى رؤيـة، قوامها نـار حمراء تتهاوى على جبال حمراء بفعل وريقات الشجر الخريفية.

وفى حقيقة الأمر، إننى رأيتها فى واد. كان هذا الوادى عميقا. شمخت الجبال سامقة على ضفتى النهر. ولم يكن بمقدورى رؤية السماء فى الأعالى، مالم أتطلع عاليا وبشكل مستقيم. وكانت السماء لاتزال زرقاء، ولكن الغسق كان يوشيها.

كسا الوشى نفسه أحجار الوادى البيضاء. ترى هل ملأ صمت ألوان الخريف فى كل مكان حولى جسمى فجعلنى أحس بالغسق على نحـو مبكـر؟ تدفق نهر الـوادى متخـذا لونـا نيليا قاتما. وعندما دهشت عيناى لعدم انعكاس أوراق شجر الخريف فى لون النهر العميق، لاحظت النار وهى تنحدر فى الماء.

لم يبد أن النار تلوح كما لو كانت تمطـر، أو أن ترابا ناريا يتهاوى، وكل ما هنالك أنها تـألقت فوق الماء. ولكنها بالتأكيد كانت تتهاوى، وسقطت جزيئاتها النارية فى الماء النيلـى، واختفت. ولم أستطع رؤية النار وهى تسقط أمام الجبال، بسبب الوريقات الحمراء على الأشجار الجبلية، ولذا فقد تطلعت عاليا للتدقيق فى السماء عاليا فوق الجبال، ورأيت الجزيئات النارية، وهى تتهاوى بمعدل مدهش. وربما لأن الجزيئات النارية كانت تتحرك، فقد بدا شريط السماء الضيق أقرب إلى نهر يتدفق بين الضفتين، وقد شكلته الأماد الجبلية.

أرخى الليل سدوله، وكانت هذه هى الرؤية التى تراءت لى، عندما غفوت فى قطار سريع يشق طريقه إلى "كيوتو".

كنت فى طريقى إلى فندق فى "كيوتو" لرؤية إحدى فتاتين ظلتا فى ذاكرتى طوال خمسة عشر عاما أو ستة عشر عاما، منذ كنت فى المستشفى لإجراء جراحة حصاة صفراوية.

كانت إحداهما وليدة رأت الدنيا من دون أنبوب لنقل الصفراء. ولما كانت مثل هذه الطفلة لن يقدر لها أن تحيا بغير هذا الأنبوب إلا قرابة عام واحد، فقد أجريت لها جراحة لتوصيل كبدها

بالحوصلة الصفراوية عن طريق أنبوب صناعى. وقد دنوت من أمها، وهى تقف فى القاعة، محتضنة وليدتها وحادثتها، وأنا أتطلع إلى الوليدة:

- كل شئ على مايرام. يالها من طفلة جميلة!

قالت أمها فى هدوء:

- شكرا لك. يقول الطبيب إنها لن تعيش إلى ما يتجاوز اليوم أو الغد، ولذا فإننى فى انتظار من يقلنا من الدار.

أغفت الوليدة فى سلام. وقد انفتح الكيمونو المزخرف بصور زهور الكاميليا الذى ترتديه برهافة عند صدرها، ربما بسبب الأربطة المتبقية من الجراحة.

صدرت ملاحظتى، التى لم يواكبها التوفيق، من المشاعر المتراخية التى تشيع بين المرضى فى المستشفى حيال بعضهم البعض. ولكن كان هناك الكثير من الأطفال الذين أقبلوا إلى هذا المستشفى لإجراء جراحة فى القلب. وقبيل إجراء جراحتهم، فإنهم يمرحون فى القاعات، ويلعبون فى المصعد، صاعدين، هابطين به. وغالبا ما كنت أحادث هؤلاء الأطفال.

كانت أعمارهم تتراوح بين الخامسة والسابعة أو الثامنة من العمر، فمن الأفضل معالجة ضرر خلقى بينما الطفل لا يزال صغيرا، وإذا لم يقم المرء بذلك، فإن الطفل قد يموت صغيرا. وقد لفتت طفلة من هؤلاء الأطفال انتباهى بصفة خاصة. وعندما كنت أمضى إلى المصعد، عادة ما كانت هذه الطفلة هناك، وعلى الدوام كان يبدو عليها الضيق، وتقعى فى ركن المصعد وسط ظل سيقان الكبار. وتتألق عيناها المتوترتان، ويتكور فمها الموحى بالعناد. وعندما سألت الممرضة عنها، قالت إن هذه الطفلة تستخدم المصعد وحدها ساعتين أو ثلاث يوميا. وحتى عندما تجلس على الأريكة فى القاعة، فإن التعبير الغاضب نفسه يرتسم على محياها. وعلى الرغم من أننى كنت أحادثها، إلا أن عينيها لم تتغيرا قط. قلت للممرضة:

- من المؤكد أن هذه الطفلة ستتحسن حالتها.

ولم أرى الطفلة بعد ذلك.

سألت الممرضة:

- لقد أجريت لها جراحة. أليس كذلك؟ كيف كانت النتيجة؟

- عادت إلى دارها من دون إجراء الجراحة، فقد رأت الطفل فى الفراش المجاور لفراشها يموت، ولذا قالت: لا، سأعود إلى الدار، سأعود إلى الدار، ولم تصغ لأحد.

- إحم. ولكن ألن تموت صغيرة؟

كنت الآن فى طريقى إلى "كيوتو" لرؤية الفتاة، التى أصبحت الآن فى ريعان شبابها.

لدى سماعى صوت المطر، وهو يلطم نافذة القطار، استيقظت من حالة شبه الحلم التى كنت فى غمارها. تبددت الرؤية، وأدركت أن المطر مضى يلطم النافذة، عندما بدأت أغفو، ولكنه بدا وكأن حدته قد اشتدت مع قيام الريح بدفع القطرات بقوة نحو الزجاج. كانت هناك قطرات انتقلت من طرف النافذة إلى الطرف المقابل، توقفت للحظة، ثم تحركت، توقفت للحظة ثم تحركت. كان بمقدورى أن أرى إيقاعا مع تحرك مجموعة من القطرات بحيث تسبق مجموعة أخرى، أو مع سقوط مجموعة أكثر ارتفاعا إلى مادون مجموعة منخفضة، أو مع تدفقها جميعا معا، راسمة خطا واحدا عبر النافذة. كان بمقدورى سماع موسيقى تعزف.

كانت رؤيتى للنار تتهاوى على الجبال الخريفية رؤية مجردة من الصوت كلية، ولكننى تصورت أن موسيقى القطرات التى تلطم الزجاج وتتدفق على امتداده هى التى أصبحت رؤيتى للنار المتهاوية.

وكنت قد دعيت من قبل تاجر لحضور عرض للكيمونو بمناسبة العام الجديد، سيقام بعد يومين من الآن فى إحدى القاعات بكيوتو. وكان اسم إحدى العارضات هو "بيبو ريتسوكو". ولم أكن قد نسيت اسم تلك الطفلة الصغيرة، ولكننى لم أدرك أنها قد أصبحت عارضة أزياء. وفى هذه المرة كنت أمضى إلى كيوتو لأرى "ريتسوكو" بأكثر مما أمضى إليها لمشاهدة أشجار القيقب.

مضى المطر ينهل من السماء فى اليوم التالى، لذا عكفت على مشاهدة التليفزيون فى البهو فى الأصيل. بدا البهو أقرب إلى قاعة من قاعات حفلات الزفاف، وكانت جماعتان أو ثلاث جماعات من المدعوين لحفل زفاف تقف فى أرجائها، ومرت بها كذلك عرائس ارتدين زى عرسهن بكامل أبهته. وبين الحين والآخر كنت أتطلع ورائى لأرى زوجين تلتقط لهما الصور بعد مراسم الاحتفال.

حيانى التاجر الذى دعانى هناك، وسألته عما إذا كانت "بيبو ريتسوكو" فى الفندق بالفعل، فانتحى بى جانبا فى التو، فقد كانت فتاة شابة ترمق باهتمام عروسا وعريسا تلتقط صورتهما أمام نافذة ضببها المطر. وكانت تلك هى "ريتسوكو". وبدت شفتاها متكورتين من جراء ضغط عصبى عليهما. تراجعت، وترددت. أردت أن أحادثها، أن أسأل هذه الفتاة الفارعة الجميلة عما إذا كانت تتذكرنى.

همس التاجر فى أذنى:

– كل هذا لأننا سنجعل تلك الفتاة ترتدى ثوب الزفاف غدا.

(١٩٦٢)

الجـــــيران

قال "مورانو"، متطلعا إلى العروسين اللذين زفا حديثا، "كيتشيرو" و"يوكيكو":

– إذا كان الأمر متعلقا بكما، فإن العجوزين سيسعدان بدورهما، فكل من أبى وأمى أصابهما الصمم كلية تقريبا. وقد يبدو من الغريب أن أقول هذا، ولكن لا تقلقا حول أى شئ، لطفا!

كان "مورانو"، لأسباب تتعلق بالعمل، قد انتقل إلى "طوكيو"، ومكثت أمه وأبوه العجوزان فى الدار فى "كاماكورا"، وأقاما فى الجناح المنعزل بها، وذلك هو السبب فى أنه كان بصدد اختيار مستأجرين للدار الرئيسية. فقد كان من الأفضل، بدلا من إغلاق الدار، أن يكون هناك من يقطنون بها. وبالنسبة للعجوزين أيضا كان ذلك أقل مدعاة للشعور بالوحدة. وكان الإيجار رمزيا، وقد عمل الوسيط فى الاتفاق على زواج الشابين، وهو أحد معارف مورانو، وسيطا فى مسألة الإيجار كذلك. وعندما مضى "كيتشيرو" مع "يوكيكو" لرؤية "مورانو"، استقبلا على نحو موات.

قال "مورانو":

– سيكون الأمر أقرب إلى زهرة تتفتح، فجأة، بجانب العجوزين، ولم أكن أبحث بصفة خاصة عن عروسين زفا حديثا، ولكننى إذا كان بمقدورى جعلكما تقطنان هناك فإن الدار القديمة والعجوزين ستغمرهم أشعة شمس شبابكما. وأكاد أن أرى ذلك رؤية العين.

كانت الدار الواقعة فى "كاماكورا" عند رأس واد من الأودية العديدة الموجودة هناك. وكانت الدار الرئيسية بغرفها الست واسعة للغاية بالنسبة للزوجين الشابين. وفى ليلة وصولهما وفى ضوء عدم تعودهما على الدار والهدوء السائد فيها أضاءا كل الأنوار فى الغرف الست. ومع إضاءة الأنوار، حتى فى المطبخ والدهليز الترابى، جلسا فى غرفة الاستقبال التى تمتد مساحتها بسعة اثنى عشر حصيرة. وعلى الرغم من أنها كانت أكبر حجرات الدار مساحة، إلا أنه بوجود خزانة "يوكيكو" الكبيرة ومرآة الزينة وحشيات الرقاد ومواد أخرى مما يدرج فى دوطتها لم يكن هناك إلا بالكاد مكان للجلوس، الأمر الذى جعلهما يحسا بأنهما فى دارهما.

وإذ عكفت "يوكيكو" على ترتيب "الحلى اليعسوبية" الخاصة بقلادتها المكسورة فى تكوينات مختلفة، فقد مضت تحاول أن تجمع معا أجزاء قلادة جديدة. ومن بين هذه الخرزات الزجاجية

العتيقة التى يبلغ عددها مئتين أو ثلاثمئة خرزة، والتى جمعها أبوها خلال وجوده بين أبناء "تايوان" لدى عمله هناك لمدة أربع سنوات أو خمس. أعطيت "يوكيو" ستين أوسبعين مما تؤثره من بينها قبل زواجها. وإذ جمعتها فى صورة قلادة، فقد صحبتها معها فى شهر العسل. ولما كان أبوها يقدر التحف الثمينة، فإن هذه الحلى اليعسوبية شكلت، بالنسبة ليوكيكو رمزا لشعورها بمفارقة أبويها. وفى الصباح الذى أعقب ليلة الزفاف، تزينت بالقلادة، وإذ اجتذبت هذه القلادة "كينشيرو"، فقد عانق "يوكيكو"، التى تتحلى بها، وضغط بوجهه على عنقها، وإذ دغدغ ذلك يوكيكو، فقد ابتعدت عنه، مطلقة صيحة خافتة، فانقطع خيط القلادة، وتناثرت الخرزات على الأرض.

– آه ه ه !

أطلق "كيتشيرو" "يوكيكو"، وأقعى على الأرض، وقاما معا بجمع الخرزات التى سقطت من القلادة، وتراخت "يوكيكو"، فجأة، بعد أن عجزت عن كبح جماح ضحكاتها حيال زحف "كيتشيرو" فى أرجاء المكان على يدية وركبتيه، بحثا عن الخرزات.

كانت الخرزات متباينة اللون، النمط، والشكل. فمنها المستدير، والمربع، والتى تتخذ شكل أنبوب مستدق. وكانت الألوان –الأحمر، الأزرق، الأرجوانى، الأصفر، وما إلى ذلك– الوانا بدائية بسيطة، ومع ذلك فإنها بمرور الوقت اتخذت تدرجات لونية خافتة ومرحة. واتسمت أنماط الخرزات بدورها بالجاذبية الساذجة التى تمير فن السكان الأصليين. ومع قيام المرء، بذكاء، وبتنويع ترتيب الخرزات، فإن الإحساس بالقلادة يتغير على النحو نفسه. وإذا صممت هذه الخرزات لتستخدم فى إطار قلادة، فإن كل خرزة بها ثقب ليمر منه الخيط.

فى محاولة "يوكيكو" تغيير ترتيب الخرزات بهذه الطريقة أو تلك، سألها "كيتشيرو":

– ألا تذكرين الترتيب الأصلى؟

– لقد أنجزته مع أبى، ولذا فإننى لا أتذكر كل شئ، لسوف أنظمها فى قلادة معا بطريقة جديدة تحبها. انظر إليها، لطفا !

وإذ جلسا كتفا لكتف، فقد غفلا عن مرور الوقت، فى غمار عكوفهما على ترتيب هذه الحلى اليعسوبية، فتأخر بهما.

– أليس هناك مايسير حولنا خارج الدار؟

قالتها "يوكيكو"، وهى تصيخ السمع. كان هناك صوت خشخشة أوراق الأشجار المتساقطة. وقد بدا أن الأوراق تسقط، لا على سطح هذه الدار، وإنما على سطح الجناح المنعزل فى مؤخرة الدار وكانت الريح قد هبت.

فى صباح اليوم التالى نادت "يوكيكو" "كتشيرو".

- أقبل ! أقبل سريعا ! العجوزان فى مؤخرة الدار يطعمان حدأتين. إنهما يتناولن طعام الإفطار معهما.

عندما نهض "كيتشيرو"، ومضى إلى خارج الدار، رأى أبواب الجناح المعزل مفتوحة جميعها فى هواء النهار الخريفى، الصافى، المعتدل. وفى ضوء الشمس التى تألقت، فولج سنا غرفة تناول طعام الإفطار، عكف الزوج والزوجة العجوزان على تناول طعام إفطارهما. كان الجناح المنعزل مقاما على جزء مرتفع قليلا من الحديقة، مفصول عنها بسور خفيض من زهر الشاى الجبلى، ولما كان السور فى قمة ازدهاره، فقد بدا الجناح المنعزل وكأنه يطفو فوق ضفة من الزهور. وعلى ثلاثة جونب أحاطته، وكأنما هو موشك على الغرق، الغابة المختلطة فى ألوانها الخريفية. وبدا أن سنا شمس أواخر الخريف الصباحية يبعث الدفء فيهما وصولا إلى أكثر أعماقها إيغالا فى الجوانية.

دنت الحدأتان من مائدة الإفطار، ورفعتا رأسيهما. أمسك العجوزان، الذان كانا يمضغان لحم الخنزير والبيض الموجودين فى طبقيهما، لهما بالطعام. وفى كل مرة يفعلان ذلك كانت الحدأتان تنشران أجنحتهما قليلا.

قال "كيتشيرو":

- إنهما أليفان للغاية، دعينا نذهب إليهما لإلقاء التحية. لايزال الوقت وقت تناول الإفطار، ولكننى لا أحسب أن ذلك سوف يزعجهما، أود أن ألتقى طائريهما المحبوبين.

مضت "يوكيكو" إلى الداخل، فبدلت ملابسها، وارتدت ملابس الخروج النهارية. وعندما خرجت كانت تتحلى بالقلادة التى عملا بجد على إنجازها البارحة.

لدى تردد صوت اقترابهما من السور الزهرى، حلق الطائران، عاليا، فجأة. وأزعج صوت اصطفاق أجنحتهما أذنى العجوزين. أعربت "يوكيكو" عن دهشتها بقولها: " أه ه " وتطلعت عاليا، بينما الحدأتان تصعدان عاليا فى السماء، وبدا جليا أنهما حدأتان جبليتان، هبطتا إلى العجوزين من الأعالى.

أعربا عن امتنانهما للسماح لهما بالإقامة فى الدار الرئيسية، وقال "كيشيرو":

- آسف لأننى أفزعت طائريكما، من المؤكد أنهما اعتادا عليكما.

ولكن العجوزين لم يبد عليهما أنهما سمعا أى شئ. ولم يحاولا، فيما يبدو، أن يسمعا ما يقال لهما، فقد حدقا بشرود فى العروسين. والتفتت "يوكيكو" إلى "كيشيرو" وسألته بغمزة من عينيها عما ينبغى القيام به.

- كان أمرا طيبا منكما أن تأتيا إلى هنا. أماه ... هذان العروسان الشابان الجميلان هما جيراننا الآن.

قالها العجوز، على نحو مباغت، كأنما هو يحدث نفسه. ولكن زوجته لم يبد أنها سمعت هذا بدوره.

- باعتبارنا عجوزين أصمين ... يمكنكما أن تعتبرا أننا لسنا بموجودين، ولكننا نود رؤية الشباب. ولن نسبب لكما أى متاعب، ولكننا لن نخفى أنفسنا بعيدا.

أحنى "كيتشيرو" و"يوكيكو" رأسيهما.

كانت حدأة تحوم فوق سقف الكوخ، وصاحت بصوت عذب .

نهض "كيتشيرو"، مستحثا "يوكيكو" وهو يقول:

- الحدأتان لم تتهيا طعام إفطارهما بعد، وقد هبطتا من الجبل مجددا، ولا ينبغى علينا أن نعوقهما.

(١٩٦٢)

عاليا فى الشجرة

تقع دار "كيوكى" على الشاطئ، حيث يبدأ النهر الكبير فى صب مياهه فى النهر. وعلى الرغم من أن النهر يجرى على امتداد الحديقة، إلا أنه بسبب الارتفاع النسبى للضفة فإنه لم يكن من الممكن رؤيته من الدار. وبدا الشاطئ العتيق، الذى اصطفت عليه أشجار الصنوبر والأكثر انخفاضا قليلا من الضفة جزء من الحديقة، وصنوبراته هى صنوبراتها. وفى هذا الجانب من أشجار الصنوبر، كان هناك سور مؤلف من الصنوبر الصينى الأسود.

شقت "متشيكو" طريقها عبر السور عنوة، لتلعب مع "كيوكى". لا، لقد جاءت لتبقى معه فحسب. وكانا معا فى الصيف الرابع من المدرسة. وقد كان هذا التسلل عبر السور، بدلا من الدخول من البوابة الخارجية، أو من بوابة الحديقة فى مؤخرة الدار سرا بينهما. وبالنسبة لصبية لم يكن الأمر سهلا، فقد كانت تقى رأسها ووجهها بذراعيها كلتيهما، وتنحنى من الحفر فصاعدا، وتتسل عبر السور، وإذ تتهادى إلى الحديقة، فإنها غالبا ماكانت تنتهى بين ذراعى "كيوكى".

وكان "كيوكى"، فى غمار شعوره بالخجل من ترك من فى الداريعرفون أن "متشيكو" تقبل إلى الدار يوميا قد علمها هذه الطريقة فى التسلل عبر السور.

وذات يوم، ارتقى "كيوكى" شجرة الصنوبر. وبينما هو هناك فى الأعالى، أقبلت "متشيكو"، ومن دون أن تتطلع يمينا أو يسارا مضت قدما قرب الشاطئ، وتوقفت عند السور فى الوضع الذى كانت تجتازه على الدوام، وتلفتت حولها، ورفعت جدائلها الثلاثية الطويلة أمام وجهها، ودستها من المنتصف فى فمها، واندفعت، فألقت بنفسها على السور. وعاليا فى الشجرة، حبس "كيوكى" أنفاسه، وعندما أطلت خارجة من السور إلى الحديقة لم تره، وقد كانت تظن أنه هناك. غمرها الخوف فتراجعت إلى ظل السور، حيث لم يكن بمقدور "كيوكى" أن يراها.

– ميتشان ! ميتشان!

هكذا مضى "كيوكى" ينادى. وأقبلت "متشيكو" من السور وتطلعت فى أرجاء الحديقة.

– ميتشان ! إننى على شجرة الصنوبر، إننى فى أعلى شجرة الصنوبر.

تطلعت "متشيكو" عاليا نحو مصدر صوت "كيوكى"، ولم تحر ردا. قال "كيوكى":

- أخرجى. أخرجى من الحديقة !

عندما خرجت "متشيكو" من الحديقة عبر السور، تطلعت عاليا إلى "كيوكى".

- انزل!

- ميتشان، اصعدى ! البقاء ها هنا فى أعلى الشجرة جميل.

- ليس بوسعى تسلقها. إنك تسخر منى، تماما كأنك صبى. اهبط !

- اصعدى إلى هنا ! الأغصان ضخمة بهذا القدر، وحتى البنت يمكنها تسلقها.

تفحصت "متشيكو" الأغصان، ثم قالت:

- لو أننى سقطت فستكون غلطتك. وإذا مت، فلن يكون لى شأن بالأمر.

تدلت، أولا من غصن خفيض، وبدأت فى التسلق.

ولدى وصولها إلى الغصن الذى اعتلاه "كيوكى"، كانت أنفاسها قد انقطعت. وتألقت عيناهـا، وهى تقول:

- تسلقتها، تسلقتها. هذا مخيف. أمسكنى.

- إحم.

اجتذبها "كيوكى" بحزم نحوه.

قالت "متشيكو"، وقد التفت ذراعها حول عنق "كيوكى":

- يمكنك أن ترى المحيط.

- يمكنك رؤية أى شئ. عبر النهر، وحتى صعدا معه ... جميل أنك صعدت إلى هنا.

- هذا جميل، يا كيتشان، فلنصعد إلى هنا غدا.

- إحم.

لزم "كيوكى" الصمت برهة.

- ميتشان. هذا سر. التسلق صعودا إلى أعلى الشجرة، والجلوس هاهنا عليهـا... هـذا سـر. إننى أقرأ الكتب، وأنجز الفروض الدراسية هنا. ليس جيدا أن تبلغى أحدا.

أحنت متشيكو رأسها موافقة:

- لن أبلغ أحدا. لماذا أصبحت كالطائر؟

– لما كان الأمر متعلقا بك،ياميتشان، لسوف أخبرك. لقد تشاجر أبى وأمى شجارا فظيعا. وقالت أمى إنها ستصحبنى وتعود إلى دار أبويها. لم أرغب فى النظر إليهما، وهكذا تسلقت شجرة فى الحديقة واختبأت فى أعلاها. قالا: إلى أين مضى كيوكى؟ وبحثا عنى فى كل مكان، ولكنهما لم يتمكنا من العثور على. ومن الشجرة رأيت أبى يمضى على امتداد الطريق حتى المحيط بحثا عنى. وكان هذا فى الربيع الماضى.

– فيم كانا شجارهما؟

– ألاتعرفين؟ لدى أبى امرأة.

لم تحر "ميشيكو" ردا.

– منذ ذلك الحين، صعدت إلى أعلى الشجرة كثيرا. ولا يزال أبى وأمى بعيدين عن معرفة السر. إنه سر.

قالها "كيوكى"، على سبيل التيقن من استيعابها لما قاله. أضاف:

– ميتشان، اعتبارا من الغد، احضرى دفاتر المدرسة. لسوف ننجز فورضنا المدرسية هنا. ولسوف نحصل على درجات جيدة. والأشجار فى الحديقة جميعها هى من أشجار الكاميليا الضخمة هذه ذات الأوراق الكثيفة، ولذا فلا أحد يمكنه أن يرانا من الأرض أو من أى مكان آخر.

لقد تواصل "سر" صعودهما إلى أعلى الشجرة لمدة تقارب العامين الآن. وحيث يتفرع الغصن الغليظ قرب القمة كانا بمقدورهما الجلوس على نحو مريح. وكانت "متشيكو" تجلس على غصن مدلية ساقيها على جانبية وتستند إلى غصن آخر. وكانت هناك أيام تقبل فيها عصافير، وأيام تصدر الريح فيها زفيفها عبر أوراق شجر الصنوبر. وعلى الرغم من أن هذين العاشقين الصغيرين لم يكونا على ارتفاع كبير عن الأرض، إلا أنهما شعرا كما لو أنهما فى عالم مختلف تمام الاختلاف، بعيدا عن الأرض.

(١٩٦٢)

ملابس ركوب

عندما وصلت "تاجاكو" إلى الفندق فى "لندن"، أغلقت الستائر بإحكام، ورقدت، كأنما تتهاوى على الفراش، وتخلصت من الحذاء فسقط عن طواعية.

تجاوز إعياؤها ذلك الإعياء الذى ينجم عن رحلة يقوم بها المرء وحيدا عبر الطريق القطبى فوق "ألاسكا" و"الدانمرك". بدا الأمر كما لو أن ذلك الإعياء قد سمح للإعياء الآخر -إعياء حياتها كامرأة، إعياء زواجها من "إيجوتشى"- بأن يطفو فجأة على السطح.

تناهى إلى سمعها التغريد المستمر الصادر عن العصافير الصغيرة. كان الفندق فى قطاع سكنى هادئ وراء "هولاند بارك". وربما كانت هناك عصافير صغيرة عديدة فى أجمات المنتزه. وعلى الرغم من أن هذا الفصل لم يكن موغل فى مسيرته على نحو ماهو فى "طوكيو"، فإن مايو كان لايزال يمضى وئيدا، والأشجار تورق، والأزهار تتفتح، والعصافير تغرد. كان ذلك هو الربيع اللندنى. ولكن النافذة كانت موصدة، ولا سبيل إلى رؤية مايقع خارجها. وعندما سمعت الطيور الصغيرة فإنها لم تشعر بأنها قد جاءت إلى بلاد بعيدة عن بلادها.

وحتى عندما حدثت "تاجاكو" نفسها، قائلة: "هذه هى لندن، فى انجلترا" فقد شعرت بأنها كما لو كانت فى الأراضى المرتفعة باليابان، وقياسا باستخدام معيار تغريد العصافير، ربما كان يمكن أن يقال إن هذا المكان فى الجبال، ولكن الأراضى المرتفعة هى التى وردت إلى ذهنها، لأنها كانت لديها ذكريات سعيدة تتعلق بالهضاب.

كانت "تاجاكو" وهى فى الثانية عشرة من عمرها، أو الثالثةعشرة، مع عمها وأبنائه تركب جوادا وتنطلق به على امتداد طريق أخضر فى مناطق الهضاب. وتراءى لها هذا المشهد لنفسها وهى صغيرة فى مقتبل العمر. وحتى بعد أن تم اصطحابها إلى دار عمها المنيرة البهيجة، فقد كان بمقدورها أن تتذكر، بجلاء، إعتام حياتها مع أبيها. وعندما انطلقت بالجواد تنهب الأرض، نسيت كل ما يتعلق بموت أبيها. ولكن سعادتها كانت قصيرة الأمد.

- ناجاكو. إنه ابن عمك. الأمر ليس جيدا.

أطبق ابن عمها "شيجيكو" على سعادتها بهذه الكلمات. وكانت "ناجاكو"، التى بلغت أنذاك، الرابعة عشرة من عمرها، تعرف ماهو المقصود بهذه الكلمات، حيث تضمنت التحذير من أن الوقوع فى حب ابن عمها "يوسوكى" والزواج منه ليسا "بالأمر الجيد"

كانت "ناجاكو" تحب أن تقص أظافر أقدام "يوسوكى" وأصابعه وتنظف أذنية، وكانت السعادة تغمرها، عندما يبلغها بأنها بارعة فى القيام بذلك. ووقد تضايق "شيجيكو" من تجرد "ناجاكو" من الاعتداد بنفسها عندما تؤدى أمورا ليوسوكى. وبعد ذلك نأت "ناجاكو" بنفسها عن "يوسوكى"، وكانت أصغر فى العمر كثيرا منه، ولم تحلم بالزواج منه مجرد حلم. ولكنه قلبها، قلب المرأة الشابة، أيقظته كلمات "شيجيكو". وبعد ذلك بوقت طويل كانت تنظر إلى مشاعرها نحو "يوسوكى" على أنها حب أول.

وقد تزوج "يوسوكى"، واتخذ لنفسه دارا، وتزوج "شيجيكو" ومضى بعيدا، وظلت "ناجاكو" فى الدار. وإذ حسبت أنه حتى هذا سيثير استياء "شيجيكو"، فقد مضت للإقامة فى القسم الداخلى بكلية للفتيات. وقد رتب عمها لزواجها، وعندما فقد زوجها وظيفته، عملت مدرسة للغة الإنجليزية فى مدرسة إعدادية. وفى نهاية المطاف اتصلت بعمها ليدبر أمر طلاقها.

أعربت عن شكواها من زوجها قائلة:

- يبدو لى أن "إيجوتشى" يغدو شبيها تمام الشبه بأبى. ولو أن أبى لم يكن على هذه الشاكلة، لربما احتملت "إيجوتشى"، ولكننى عندما أفكر فى أبى فإننى يساورنى بأننى يطبق على قدر متمثل فى العيش مع رجل ضعيف، ولا حضور له، وليس بمقدورى أن أتحمل ذلك.

تطلع عم "ناجاكو"، الذى يتحمل مسؤولية زواجها من "إيجوشى" إليها، وقدغمرها الشعور بالمعاناة، ثم قال إن عليها أن تجرب الرحيل عن اليابان لبعض الوقت، والبقاء فى انجلترا ثلاثة أسابيع أو شهرا، والتفكير فى الأمر مليا، وأعطاها المال الضرورى للرحلة.

مضت "ناجاكو" تستمع، فى الفندق اللندنى إلى تغريد العصافير، وعكفت على تذكر قوامها الصغير على صهوة جواد، فبدأت تسمع طنينا فى أذنيها، وتحول إلى الهدير الهائل، الصادر عن شلال، وتعاظم الهدير، فغدا أقرب إلى الدوى. وفتحت "ناجاكو" عينيها.

كانت "ناجاكو" قد دخلت مكتب مدير الشركة الكائن فى الطابق السابع، على استحياء، حاملة رسالة من أبيها. تطلع المدير، الذى كان زميلا لأبيها فى المدرسة الثانوية، إليها.

- كم تبلغين من العمر؟

- الحادية عشرة.

- إحم. أبلغى أباك، لطفا، بأنه لا ينبغى له الزج بطفلته فى هذا النوع من المهام. طفلة ... هذا أمر مثير للإشفاق.

كان المدير قد قطب جبينه، وأعطاها بعض المال.

كررت "تاجاكو" كلمات المدير على مسامع أبيها، الذى كان ينتظرها فى الطريق الجانبى. فترنح، وهو يهز عصاه باتجاه النافذة العالية، ومضى يصب اللعنات.

- ذلك الوغد. هاهو شلال ينصب على رأسى، ويلطمنى حتى الموت.

بدا، حقا، لتاجاكو أن شلال منحدرا بقوة يصب مياهه على رأس أبيها من نافذة الطابق السابع.

حملت "تاجاكو" رسائل من أبيها إلى ثلاث شركات أو أربع. وفى كل شركة كان هناك مدير كان زميل دراسة لأبيها، وقد مضت إليهم واحدا بعد الآخر. وإذ أصيبت أمها بالاشمئزاز من أبيها، هجرته. وبعد الإصابة بنوبة قلب بسيطة، لم يعد بمقدور أبيها السير إلا بالاستعانة بعصا. وبعد شهر من الذهاب إلى الشركة ذات الشلال، مضت "تاجاكو" إلى شركة أخرى.

قال المدير:

- إنك لم تأت إلى هنا بمفردك. أين يختبئ أبوك؟

مضت عينا "تاجاكو" إلى النافذة، ففتحها المدير، وتطلع إلى أسفل.

- هنا. ماهذا؟

اجتذب صوته "تاجاكو"، فتطلعت من النافذة. كان أبوها قد سقط فى الشارع، والتف حوله جمع من الناس. وكانت تلك هى النوبة القلبية الثانية التى يصاب بها، وقد أودت بحياته، فأحست "تاجاكو" كما لون أن الشلال، متحدرا من نافذة المكتب العالى قد انقض على أبيها، وقتله.

تناهى هدير هذا الشلال إلى سمع "تاجاكو"، وهى بغرفتها بذلك الفندق اللندنى، الذى وصلت إليه لتوها.

فى يوم الأحد، مضت للقيام بنزهة فى "هايد بارك". وجلست على مقعد جوار بركة، وحدقت فى الطيور السابحة فى الماء. لدى سماعها وقع حوافر جياد، التفتت حولها. اقتربت منها عائلة تمتطى صهوات الجياد، وقد أقبل الأبوان والأبناء جنبا إلى جنب. وحتى الصبية، التى بدت فى حوالى العاشرة من عمرها، وشقيقها، الذى بدا أكبر منها بعامين أو ثلاثة أعوام، كانا يرتديان ملابس ركوب مناسبة. ودهشت "تاجاكو". كانا يشكلان صورة لا تشوبها شائبة يبدوان فيها السيدة

النبيلة الصغيرة والسيد النبيل الصغير. وإذ مضت "تاجاكو" ترقب المجموعة العائليـة وهـى تنطلـق عدوا إلى البعيد، راحت تحدث نفسها بأنها تود أن تجد متجرا فى لندن يبيع ذلك النوع من ملابـس الركوب جيدة التفصيل، فتلمسها على الأقل.

(١٩٦٢)

خـــــلود

مضى رجل وفتاة شابة يتنزهان معا.

وكان هناك عدد من الأمور المتسمة بالغرابة فيما يتعلق بهما، فقد تضاما كعاشقين، وكما لو كانا لا يشعران بفارق الستين عاماالذى يفصل بين عمريهما. وبدا العجوز ثقيل السمع، ولم يكن بمقدوره فهم معظم ماقالته الفتاة. وقد ارتدت هذه الأخيرة "هاكاما" ذات لون أحمر قاتم مع كيمونو يجمع بين اللونين الأرجوانى والأبيض فى نمط زخرفى بديع يشبه القوس. وكانت الأكمام بالغة الطول. أما الرجل فيرتدى ثيابا كتلك التى يمكن أن ترتديها الفتاة لتعكف على نزع الأعشاب الضارة من حقل أرز، باستثناء عدم استخدامه لأربطة الساقين. وبدا كما ردائه المحكمان وسرواله المربوط عند كعبيه كأنها تنتمى لملابس امرأة. وتدلت ثيابه واسعة عند خصره الناحل.

سارا عبر المرجة. وامتدا أمامهما سلك شبكى عال. ولم يبد على العاشقين أنهما لاحظا أنهما سيرتطمان به، وإذا واصلوا سيرهما. ولم يتوقفا، وإنما سارا عبر الشبكة، مثلما يمر من خلالها نسيم الربيع.

بعد أن مضيامجتازين الشبكة، لاحظتها الفتاة. قالت، وهى ترمق الرجل:

– أوه، شنتارو، هل تجاوزت الشبكة بدورك؟

لم يسمع العجوز ماقالته، ولكنه أمسك الشبكة السلكية، بقوة.

-أنت يا ابنة الحرام! يا ابنة الحرام!

قالها وهو يهز الشبكة، وجذبها بقوة بالغة، وفى لحظة تحركت الشبكة الهائلة بعيدا عنه. فتعثر الرجل وهوى ممسكا بها.

– حذار ياشارو! ماذا حدث؟

وضعت الفتاة ذراعيها حوله، وجعلته ينهض. قالت:

– دع الشبكة ... أوه، لقد فقدت الكثير للغاية من وزنك.

نهض العجوز، أخيرا، ومضى يتجالد، وهو يقول:

- شكرا لك.

أمسك بالشبكة، بقوة، ولكن هذه المرة بخفة، وبيد واحدة، ثم بالصوت العالى الذى يتحدث به الأصم قال:

- اعتدت أن ألتقط الكرات من وراء شبكة يوما بعد الآخر، طوال سبعة عشر عاما ممتدة.

- سبعة عشر عاما زمن ممتد؟ ... إنه زمن قصير.

- إنهم يضربون الكرات حسبما طاب لهم، وهى تحدث صوتا فظيعا، عندما ترتطم بالشبكة السلكية. وقبل اعتيادى عليها، كنت أنكمش انزعاجا منها. وبسبب صوت هذه الكرات أصبت بالصمم.

كانت شبكة معدنية لحماية فتية التقاط الكرات فى ملعب للجولف. وكانت هناك عجلات فى أسفلها بحيث يمكن تحريكها للأمام والوراء، ويمينا ويسارا. وكان بعض الأشجار يفصل مضمار انطلاق السيارت عن ملعب الجولف. وقد كانت هذه الأشجار أصلا أجمة من كل أنواع الأشجار، وقد اجتثت إلى أن بقى صف غير منتظم منها فقط.

واصلا السير، مخلفين الشبكة وراءها.

أرادت الفتاة أن يسمع العجوز كلماتها، فوضعت فمها على أذنه:

- أى ذكريات بهيجة يعيدها هدير المحيط إلى. بمقدورى سماع هدير المحيط.

أغمض العجوز عينيه وهو يقول:

- ماذا؟ أه، يا ميساكو. إنه نفسك الرهيف، تماما كما كان منذ وقت طويل.

- ألا يمكنك سماع هدير المحيط؟ ألا يعيد إليك ذكريات أثيرة.

- المحيط ... هل ترينه؟ ذكريات أثيرة؟ كيف يمكن للمحيط الذى أغرقت فيه نفسك أن يعيد إليك ذكريات أثيرة؟

- طيب، إنه يعيدها إلى. هذه هى المرة الأولى التى أعود إلى موطنى فيها خلال خمسين عاما. وأنت قد عدت إلى هنا بدورك، وهذا يعيد إلى الذكريات.

لم يستطع العجوز سماعها، ولكنها واصلت الحدديث:

- إننى سعيدة لإغراقى نفسى، فبهذه الطريقة يمكننى أن أفكر فيك للأبد، تماما على نحو ماكنت أفعل فى اللحظة التى أغرقت خلالها نفسى. وفضلا عن ذلك، فإنها الذكريات الوحيدة التى

كانت لدى حتى وصلت الثامنة عشرة من عمرى. إنك شاب للأبد بالنسبة لى، والأمر نفسه بالنسبة لك. ولو أننى لم أنتحر، وجئت أنت إلى القرية الآن لرؤيتى، فإننى سأكون امرأة عجوزا. كم هو مثير للغثيان ! ماكنت لأرغب فى أن ترانى على ذلك النحو.

تحدث العجوز. وكان ما قاله مناجاة رجل أصم:

- لقد مضيت إلى طوكيو. ومنيت بالفشل، والآن، وقد أقعدنى التقدم فى العمر، عدت إلى القرية. وكانت هناك فتاة حزنت، عندما أجبرنا على الافتراق، وأغرقت نفسها فى المحيط، ولذا فقد تقدمت بطلب للالتحاق بعمل فى مضمار سباق السيارات المطل على المحيط، وتوسلت إليهم أن يسندو إلى هذا العمل ... ولو من باب الشفقة فحسب.

- هذه المنطقة التى نسير فيها هى الغابات التى امتلكتها عائلتك.

- لم أستطع القيام بأى شئ إلا التقاط الكرات. وقد آذيت ظهرى من الانحناء كل ذلك الوقت ... ولكن كانت هناك فتاة انتحرت من أجلى. وكانت الصخور الصلدة بجوارى، ولذا كان بمقدورى الوثوب حتى ولو كنت أترنح. ذلك هو ما فكرت فيه.

- لا. ينبغى أن تواصل البقاء على قيد الحياة. ولو أنك كتب عليك الموت، فلن يكون هناك فى الأرض من يتذكرنى، وسوف أموت على نحو كلى.

تشبثت به الفتاة. ولم يكن بمقدوره سماعها، لكنه عانقها.

- ليكن ذلك، فلنمت معا. هذه المرة ... جئت من أجلى أليس كذلك؟

- معا. لكنك لا بد أن تعيش. تعيش من أجلى، يا شنتارو!

جاهدت لتلتقط أنفاسها، وهى تتطلع من فوق كتفه، أشارت، بحيث أن العجوز حول عينيه باتجاه الأشجار. تابعت:

- أوه. هذه الأشجار الضخمة لاتزال هناك. الثلاث جميعها... تماما كما كانت منذ زمن بعيد.

- لاعبو الجولف يخشون من هاته الأشجار. وهم يواصلون إبلاغنا أن علينا أن نجتثها. وعندما يضربون كرة، فإنهم يقولون إنها تتقوس إلى اليمين، وكأنما اجتذبها سحر هذه الأشجار.

قالت الفتاة:

- سيموت لاعبو الجولف هؤلاء، فى وقت لاحق، قبل وقت طويل من فناء هاته الأشجار. هاته الأشجار عمرت بالفعل مئات السنوات. ولاعبو الجولف هؤلاء يتحدثون على هذا النحو، ولكنهم لا يفهمون عمر الإنسان.

- هاته الأشجار قام أسلافي على رعايتها عبر مئات السنين، ولذا فقد جعلت المشترى يعد بعدم قطع الأشجار، عندما بعت الأرض له.

- فلنذهب.

قالتها الفتاة، وهى تجذب يد الرجل، وسارا على مهل، نحو الأشجار الهائلة.

مرتِ الفتاة فى يسر عبر جذع الشجرة، وفعل العجوز الشئ نفسه.

حدقت الفتاة فى العجوز، وقالت معربة عن دهشتها:

- ماذا ألنت ميت بدورك، ياشنتارو؟ أنت كذلك؟ متى لحق بك الموت؟

لم يحر ردا.

- لقد مت من قبل ... ألم تمت؟ كم هو غريب أننى لم أقابلك فى عالم الموتى ! طيب جرب السير عبر جذع الشجرة مرة أخرى لتختبر ما إذا كنت حيا أم ميتا. وإذا كنت ميتا، فإن بوسعنا الولوج إلى داخل الشجرة والمكوث هناك.

اختفيا داخل الشجرة، ولم يعاود العجوز ولا الفتاة الظهور مجددا.

بدأ لون الغسق ينتشر إلى الشتلات الصغيرة وراء الشجرات الكبيرة، وضربت السماء فيما ورائها إلى اللون الأحمر الخافت، حيث يتردد هدير المحيط.

(١٩٦٢)

الأرض

(١)

"امرأة تلفعت بالشمس، والقمر تحت قدميها، واعتمرت تاجا من اثنتى عشرة نجمة، وإذ كانت حاملا، فقد صرخت فى غمار المخاض، وتاقت عبر الألم لوضع مولودها".

(٢)

"قبل أن أدرى بالأمر، شيدت كنيسة كاثوليكية صغيرة إلى جوار الطريق، الذى يمضى مجاورا الساقية، الطريق الذى استمتعت بالسير عليه قبل وقت طويل. وفضلا عن ذلك، فإن جدران الكنيسة الخشبية الجميلة التى لم ينته العمل بها كانت قد اسودت بالفعل بتأثير سخام الفحم تحت السقف المائل الذى غطاه الجليد". هذا كله مكتوب فى إحدى قصص "هورى تاتسو". وقد تم تركيب سقف كنيسة القديس بولص على نحو متداخل، فجاء داخلها مماثلا ليدين ضارعتين. وبالطبع، صنع الصليب الموضوع على المذبح من الخشب كذلك.

(٣)

الآن، وبعد أن بلغ عمر هذه الكلمات التى كتبها "هورى تاتسو" ربع قرن من الزمان، مضى شاب وشابه يتجاذبان أطراف الحديث، وهما يسيران مرتديين ثيابا كتلك التى يراها المرء فى "كارويزاوا" خلال الظهيرة الصيفية.

- خلال المرور أمام هذه الكنيسة، قيل لأمى شئ رهيب.

توقف الشاب عن السير، وتطلع إلى الكنيسة، فيما هو يحادث الشابة، وتطلعت بدورها إلى الكنيسة، ثم نظرت إلى محيا الشاب.

- لكنك تصدق أمك، ولأنك تصدقها، فإنك تعرف أباك على نحو قاطع.

لم يحر الشاب ردا.

واصلت حديثها:

- لقد ولدت طفلة لاتعرف لها أبا، ومامن سبيل أمامها لتصديق ما تقوله أمها... طفلة لا أب لها على الإطلاق.

- ليس الأمر أنه يمكنك أن تعرفى أباك بتصديق أمك. فإذا كان أبوك لا يصدق أمك، إذا كان أبوك بدوره يشك فى أمك، فلا نهاية إذن للشك.

- ولكن، على سبيل المثال، وحتى إذا قدر لك الشك، فإن لك أبا يمكنك التشكك بشأنه. أما أنا فليس لى أب ولو على سبيل التوهم. وإننى لأتساءل عما إذا كان السجن نفسه أبى.

- ليس بى شئ واحد يمت بصلة الشبه إلى أبى.

- هذا صحيح، ليس لديك شئ واحد يشبهه. وأنت لا تشبه أمك أيضا.

- ترى لم جاء الأمر على هذا النحو؟

(٤)

- إنه ليس طفلى. من الذى يعرف طفل من يمكن أن يكون.

تلك كانت الكلمات الفظيعة التى سمعتها أم الشاب من زوجها، عندما صارحته بأنها حبلى. وكانا يسيران أمام الكنيسة، قبل عشرين عاما.

تغلب الشعور بالصدمة والخوف على الشابة التى لم تكن تعرف إلا رجلا واحدا. ولم تستطع حتى أن تتملك ناصية القوة على أن تقسم بأنها صادقة فيما تقول. فلو أن زوجها رفض تصديق شهادتها، لأوصدت أمامها كل السبل.

وعلى سبيل تقديم الدليل،أخذت الوليد إلى دار زوجها لتريه إياه.

من جديد رفض الرجل الوليد:

- إنه ليس طفلى. من الذى يعرف طفل من يمكن أن يكون. إنه طفل الزنا.

جن جنون المرأة الشابة، واندفعت لتطعن الوليد بمدية من النوع الذى يستخدمه متسلقوا الجبال. انتزع الشاب الوليد من زوجته، وأمسك بها، وعندئذ طعنته بالسكين.

فى تلك اللحظة، التمعت فى فؤاد الزوجة العفيفة رؤية لوحة، وكانت هذه اللوحة جدارية فى كنيسة عتيقة مقامة تحت الأرض تتضمن تحذيرا من الزنا. تدلى فى اللوحة ثعبانان أبيضان من نهدى المرأة، وهما يلدغان النهدين. واخترق رمح أحد النهدين، ونفذ إلى صدر المرأة، منطلقا من يد المسيح. لقد قتل المسيح المرأة برمح. وصرخت الشابة.

كان جرح الزوج غائرا. وبدلا من غفران ما اقترفته الشابة، أبلغ وعائلته الشرطة بكل شئ. وهكذا ألقى القبض عليها.

(٥)

بينما كانت الشابة وسط السجينات، انفتحت السماء، وتراءى لها حلم قدسى.

(٦)

فيما كانت مودعة بالسجن، زج فيه بامرأة شابة أخرى، وكانت هذه الأخيرة قد قتلت حبيبها فى غمار نوبة غيرة. وعندماعلمت بأن الصبية لها طفل حسدتها أشد الحسد.

– لقد أردت أن يكون لى طفل، ولكننى الآن لا أستطيع ذلك ... فقد قتلته.

تشبثت بالصبية، وصاحت:

– لا أستطيع. لن استطيع فى حياتى بأسرها. فليس بمقدورى أن أحمل طفل من أى رجل. سأظل فى السجن إلى أن يوغل بى العمر، فلا أستطيع حملا. تلك هى عقوبة الإعدام بالنسبة للمرأة. وعندما أفكر فى الأمر، فإننى أرغب فى أن يكون لى طفل، طفل من أى رجل، وبأى شكل أستطيعه.

– بأى شكل تستطيعينه؟

– طفل أى أحد.

– حقا؟ إذا كان ذلك صحيحا، فهل لى فى أن أجعلك تحبلين لتلدى طفلا؟

– ألست امرأة؟

– سأخرج من هنا عما قريب، فانتظرى إلى ذلك الحين، سأجعلك تلدين طفلا.

(٧)

بعد الإفراج عن الصبية من السجن، عادت لزيارة المرأة التى بقيت به.

أصبحت المرأة المودعة بالسجن حاملا.

أحدث هذا اضطرابا كبيرا فى مختلف أرجاء السجن. وأبت المرأة أن تعترف بهوية من وهبها الجنين. ولم يكن هناك سبيل لحملها حتى على بدء محاولة الاعتراف. وتم التحقيق مع الحراس والرجال الآخرين فى السجن جميعا، ولكن من يقوم على حراسة السجينات كن حارسات. ولم يكن هناك رجال يقتربون من النساء. ولم يكن هناك سبيل يمكن من خلاله أن تكون قد خرجت من السجن.

لم تقل الكاهنة التى كانت الراعية الروحية للسجن إن الأمر معجزة، أو أن كائنا قدسيا سيولد.

امتلأت نفس المرأة بالطمأنينة، ومضت ترضع طفلتها فى السجن، وكتبت رسالة شكر إلى صديقتها.

لم تأت الصبية لرؤيتها مرة أخرى.

(٨)

تم تبنى الطفلة، وكبرت فى جو سعيد. وكانت هى الفتاة التى تسير الآن أمام كنيسة القديس بولص. وفى أى وقت تشاء، كان بمقدورها رؤية أمها الحقيقية، التى أطلق سراحها. وكانت قد سمعت بقصة ميلادها وراء القضبان.

وكان الشاب الذى يسير بجوارها هو الطفل الذى حاولت أمه قتله. وقد غفر أبوه لأمه فعلتها، وتصالحا، وكانا لا يزالان معا.

قال الشاب متأملا:

– لأن الرجل الذى أنقذنى وجرح فى غمار ذلك كان أبى؟

أومأت الفتاة موافقة:

– هذا صحيح. وأنا التى كانت طفلة بلا أب سأحمل طفلا له أب.

أومأ الشاب بدوره موافقا، وهما يسيران فى الطريق أمام الكنيسة.

(٩)

"وأطلق الثعبان من خطمه ماء كالفيضان وراء المرأة، لكى تحمل بعيدا عن هذا الفيضـان.
وساعدت الأرض المرأة، وفتحت فمها، وابتلعت الفيضان، الذى أطلقه التنين من خطمه"

(١٩٦٣)

الجواد الأبيض

فى أوراق السنديانه، تألقت شمس فضية.

رفع "نجوتشى" وجهه، فأعشى الضوء ناظريه، وأغمضت عينيـة، وعـاد للتطلـع مجددا. لـم يكن الضوء يعشى ناظريه مباشرة، وإنما كان يتألق وسط أوراق الشجرة الكثيفة.

وبالنسبة لشجرة سنديان يابانية، فإن هذه الشجرة كـانت أغلـظ مـن المـألوف، وأكثر طـولا. والتف حولها عدد من أشجار السنديان الأخرى. وشكلت الأغصـان السـفلى التـى لـم تشـذب سـتارا يحجب الشمس الغاربة، ووراء منصة أشجار السنديان، واصلت الشمس غوصها فى الأفق.

وبسبب أوراق الشجر الكثيفة على نحو متداخل، لم يكن بالوسع رؤيـة الشـمس ذاتهـا. وإنمـا كانت الشمس هى الضوء الذى ينشر ذاته وسط الأوراق. وقد اعتـاد "نجوتشـى" علـى رؤيتـه بتلـك الطريقة. وعلى الأراضى المرتفعة كانت خضرة الأوراق متوهجة بالحياة كأوراق سنديانة غربيـة. وإذ امتصت أوراق السنديانة الضوء، فقد تحولـت إلـى خضـرة شـاحبة، نصـف شـفافة، وأحدثـت مويجات متألقة من الضوء، وهى تتمايل مع النسيم.

كانت أوراق الشجرة ساكنة هذا المساء. وتجمد الضوء فوق أوراق الشجر، بلا حراك.

- ماذا؟

صـاح نجوتشى بهذه الكلمة. وقد لاحظ لتوه لون السماء الغسقى، ولم يكن لون سماء لاتـزال الشمس فيها تتوسط منصة أشجار السنديان العالية. كان لون سماء غربت الشمس عنها لتوها. جاء الضوء الفضى المتألق على أوراق السنديان من سـحابة صـغيرة بيضـاء، فيمـا وراء الأجمـة التـى عكست أشعة الشمس الغاربة. وإلى اليسار من الأجمة كانت تموجات الجبـال البعيـدة تلتـف بالقتـام ضاربة إلى زرقة قاتمة ناصلة.

انطفأ، فجأة الضوء الفضى الذى التقطته الأجمة، وعلى مهل اسود ورق الشـجر. ومـن قمـة الأشجار وثب جواد أبيض عاليا، وانطلق يعدو عبر السماء الرمادية.

- آه ه ه ...

ولكن "نجوتشى" لم يكن على هذا القدر من الدهشة، فلم يكن هذا بالأمر الغريب بالنسبة له.

- إنها تمتطى صهوته مجددا، مرتدية رداء أسود مرة أخرى.

رفرف طرف رداء المرأة التى تمتطى صهوة الجواد وراءها. لا ... طيات القماش الأسود السابغ، التى رفرفت وراء ذيل الفحل المقوس، كانت مرتبطة بالرداء، ولكنها بدت منفصلة عنه.

- ماهذا؟

بينما "نجوتشى" يفكر فى ذلك، تلاشت الرؤية، ولكن إيقاع قوائم الجواد بقى فى فؤاده. وعلى الرغم من أن الجواد بدا أنه يعدو إلى الأمام مباشرة، كأنه جواد سباق، إلا أنه كان هناك إيقاع متمهل فى عدوه. وكانت القوائم جزءا من الجواد فى غمار الحركة فحسب. وسنابكه مستدقة على نحو حاد.

سأل "نجوتشى" نفسه بقلق:

- ذلك القماش الأسود وراءها ... ماهو؟ أكان قماشا أصلا؟

عندما كان نجوتشى فى الصفوف العليا من المدرسة الابتدائية، لعب مع "تيكو" فى الحديقة، حيث كان سور "الدفلى" العطرة مزدهرا. ورسما صورا معا، رسما صور لجياد، وعندما رسمت "تيكو" صورة لجواد يعدو عبر السماء، رسم "نجوتشى" صورة مماثلة كذلك.

قالت "تيكو":

- ذلك هو الجواد الذى دهس الجبال، وجعل النبع المقدس يتفجر ماؤه.

- ألا ينبغى أن تكون له أجنحة؟

قالها "نيجوتشى" متسائلا، وقد كان الجواد الذى رسمه ذا أجنحة.

ردت "تيكو"، قائلة:

- إنه ليس بحاجة إلى أى أجنحة، لأنه له سنابك حادة.

- من الذى يمتطى صهوته.

- تيكو، تيكى هى التى تمتطيه، إنها تمتطى جوادا أبيض، وترتدى ثيابا حمراء وردية.

- أوه، إذن فتيكو هى التى تمتطى الجواد الذى دهس الجبال وجعل النبع المقدس يتفجر ماء.

- هذا صحيح. إن جوادك له أجنحة ولكن مامن أحد يمتطيه.

- هاك، إذن !

سارع "تجوتشى" برسم ولد فوق الجواد، وتطلعت "تيكو" من الجانب.

كان ذلك كل ماهنالك. وقد تزوج "تجوتشى" من فتاة أخرى، وأنجب أطفالا، وتقدم فى العمر، ونسى ذلك النوع من الأمور.

تذكر الأمر، فجأة، فى وقت متأخر من ليلة مؤرقة. وكان ابنه، بعد أن أخفق فى اجتياز امتحان الالتحاق بإحدى الجامعات، يعكف على المذاكرة كل ليلة، حتى الساعة الثانية أو الثالثة، من بعد منتصف الليل. وإذ ساور "تجوتشى" القلق عليه، فقد جفاه النوم، مع استمرار الليالى الحافلة بالأرق، واجه "تجوتشى" الشعور بالوحدة فى غمار الحياة، فلدى الابن العام المقبل، لديه الأمل، بل إنه لا ينام ليلا. لكن الأب يرقد مسهدا فى فراشه فحسب. ولم يكن ذلك من أجل ابنه، وإنما كان يعايش وحدته الخاصة. وإذا أطبقت عليه هذه الوحدة، فإنها ما كانت لتدعه يفلت منها، فقد ضربت جذورها فى أعمق أجزائه.

جرب "تجوتشى" طرقا مختلفة للنوم، جرب التفكير فى تصورات خيالية وذكريات هادئة. وذات ليلة، تذكر، من دون توقع، الصورة التى رسمتها "تيكو" للجواد الأبيض، ولم يتذكرها بوضوح، فهى لم تكن صورة طفلة، وإنما رؤية لجواد أبيض يعدو عبر السماء التى انداحت وراء جفنى "تجوتشى" المغمضتين فى الظلام.

- أهى تيكو التى تمتطيه؟ بالملابس الحمراء الوردية؟

كان كيان الجواد الأبيض، الذى يعدو عبر السماء، واضحا. ولكن شكل من يمتطيه ولونه لم يكونا واضحين. ولم يبد أنه فتاة.

مع تراخى السرعة التى ينطلق بها الفحل المتخيل عبر السماء الخاوية، ومع انحسار الرؤية، كان "تجوتشى" يجتذب إلى النعاس.

منذ تلك الليلة فصاعدا، عمد "تجوتشى" إلىاستخدام رؤية الجواد البيض كدعوة يوجهها إلى النعاس ليوافيه. وأصبح أرقه أمرا متواترا وشيئا معتادا، عندما يعانى، أو يصاب بالقلق.

على امتداد سنين عديدة، نجا "تجوتشى" من قبضة الأرق بفضل رؤية الجواد البيض. وقد كان الجواد الأبيض المتخيل يتدفق حياة وحيوية، ولكن من يمتطى صهوته بدا أنه امرأة ترتدى السواد. لم يكن فتاة ترتدى ملابس حمراء وردية. وأوغل شكل تلك المرأة ذات الرداء الأسود فى العمر، وطرأ عليه الضعف، وازداد غموضا مع مرور الوقت.

اليوم كانت المرة الأولى التى تراءى فيها حلم الجواد الأبيض لنجوتشى، ليس بينما هو راقد فى فراشه مغمض العينين، وإنما بينما هو يجلس مفتوح العينين فى مقعد. وكانت تلك كذلك هى

المرة الأولى التى رفرف فيها شئ يشبه قماشا أسود ضافيا وراء المرأة، وعلى الرغم من أنه رفرف فى الريح، إلا أنه بدا سميكا وثقيلا.

- ماهذا؟

حدق نجوتشى فى السماء الرمادية الآخذه فى الإظلام، والتى انحسرت عنها رؤية الجواد الأبيض.

لم يكن قد رأى "تيكو"، فى غضون أربعين عاما، ولم يسمع عنها شيئا.

(١٩٦٣)

ثلج

على مدار السنوات الأربع أو الخمس الماضية، عزل "تودا سانكيتشى" نفسه فى فندق مرتفع بطوكيو، من مساء عيد العام الجديد حتى صبيحة اليوم الثالث فى العام. وعلى الرغم من أن اسم الفندق كان اسما شهيرا، إلا أن الاسم الذى أطلقه عليه "سانكيتشى" كان "فندق الحلم".

- ذهب أبى إلى فندق الحلم.

هكذا كان ابنه أو ابنته يقول لزوار العام الجديد الذين يجيئون إلى داره، فينظر الزوار إلى ذلك على أنه نكتة قصد بها أن تخفى المكان الذى ذهب إليه "سانكيتشى."

بل أن بعضهم قال:

- هذا مكان جميل. لابد أنه يقضى عيد عام جديد طيبا هناك.

غير أنه حتى عائلة "سانكيتشى" لم تعرف أنه تتراءى له أحلام فى فندق الحلم.

كانت الغرفة التى ينزل بها كل عام هى ذاتها، لاتتغير، وهى "غرفة الثلج" ومرة أخرى فإن "سانكيتشى" وحده هو الذى كان يعرف أنه يطلق على غرفة اسم "غرفة الثلج"

عندما كان "سانكيتشى" يصل إلى الفندق، كان يبادر إلى إسدال الستائر، ويدلف إلى الفراش فى التو، ويغمض عينية، وعلى امتداد ساعتين، أو ثلاث ساعات، يرقد هنالك فى سكون. وكان صحيحا أن يسعى للراحة من إزعاج عام حافل وملئ بالمشاغل وإعيائه، ولكن حتى عندما ينحسر التعب الشكس عنه فإن إعياء أكثر عمقا ينبعث وينتشر فى كيانه. وإذ يتفهم "سانكيتشى" هذا، فإنه ينتظر وصول إعيائه إلى مداه الكامل، وعنددما يجتذب إلى قاع إعيائه، فإن رأسه تصاحب بالخدر من جرائه، وعندئذ يبدأ الحلم فى الصعود نحو السطح.

فى الظلام، تحت جفنيه، تبدأ حبوب ضوء صغيرة، بحجم حبوب الدخنى، فى التراقص والطفو. وكان للحبوب تدرج لونى شاحب، ذهبى، شفاف. ومع برود لونها الذهبى وتراجعه إلى بياض شاحب، انقلبت إلى نثار جليدى ينساب كله فى الاتجاه ذاته وبالسرعة ذاتها. كانت نثارا ذروريا يتساقط فى البعيد.

- هذا عيد العام الجديد أيضا، والثلج يهمى.

وبهذه الخاطرة ينتمى الثلج إلى "سانكيتشى"، فقد كان يهمى فى فؤاد "سانكيتشى".

فى ظلام عينية المغمضتين، تقترب ندف الثلج، تتساقط كثيفة وسريعة، وتتحول إلى نثار زهور "الفاونيا". وكانت الندف الكبيرة الشبيهة بالبتلات، تتساقط ببطء أكبر من الندف الذرورية. واحتوى الفق الجليدى الصامت والمسالم "سانكيتشى" فى طياته.

الآن، ليس هناك بأس بفتح عينيه.

عندما فتح عينيه، كان حائط الغرفة قد تحول إلى رأس جليدية. كان كل ماتراءى تحت جفنيه ه و تساقط الثلج، ومارآه على الحائط هو المشهد الطبيعى، الذى تساقط الثلج عليه.

فى حقل فسيح لا تنتصب فيه إلا خمس شجرات أو ست تجردت أغصانها من الأوراق، مضت ندف الفاوينا الثلجية تتساقط، ومع انسيابها عاليا، يحتجب مشهد الأرض والعشب. لم يكن هناك دور، ولا أثر لكائن بشرى. كان مشهدا موحيا بالوحدة، ومع ذلك فإن "سانكيتشى"، الراقد فى فراشه الذى تتم تدفئته كهربائيا، لم يشعر بالبرد السائد فى الحقل الذى يكسوه الثلج. ولكن المشهد الطبيعى الثلجى كان هو كل ماتقع عليه العين. ولم يكن "سانكيتشى" نفسه هناك.

- إلى أين أمضى؟ من أنادى.

على الرغم من أن الخاطرة صدرت عنه، إلا أنها لم تكن خاطرته، وإنما كان ذلك صوت الثلج.

انساب السهل الجليدى، الذى لا يتحرك فيه شئ إلا الثلج المنهمر، بعيدا من تلقاء نفسه، متحولا إلى مشهد مضيق جبلى. شمخ الجبل عاليا على الجانب البعيد، وعند قاعدته التف غدير. وعلى الرغم من أن هذا الغدير الضيق بدا مختنقا بالثلج، إلا أنه كان يتدفق من دون تموج واحد، مضت كتلة من الثلج، كانت قد سقطت من الضفة، تطفو منداحة بعيدا. أوقفتها صخرة ناتئة فى قلب التيار، فذابت فى الماء.

كانت الصخرة كتلة ضخمة من المرو البنفسجى.

ظهر والد "سانكيتشى" وهو لا يزال فى الثالثة من عمره أو فى الرابعة.

- أبى، من الخطر أن تقف على هذا النوع من الصخور الحادة المتقلقلة، لابد أن باطن قدميك يؤلمك.

من الفراش تحدث "سانكيتشى" الذى يبلغ الرابعة والخمسين من العمر موجها حديثه إلى أبيه فى المشهد الجليدى.

كان سطح الصخرة مجموعة من بلورات المرو الحادة التى يبدو أنها يمكن أن تخترق قدمى أبيه. ولدى سماع كلمات "سانكيتشى" انتقل أبوه إلى اتخاذ موطئ أفضل لقدميه، وفيما هو يقوم بذلك تشقق الثلج الذى يعلو الصخرة، وسقط فى الغدير. وربما من جراء خوفه من ذلك أمسك به أبوه بمزيد من الحزم.

قال أبوه:

- من الغريب أن هذا الغدير الصغير، الضيق، ليس مدفونا تحت الكثير من الثلج.

استقر ثلج على رأس أبيه وكتفيه وذراعيه، اللتين كانت تمسكان بسانكيتشى.

مضى المشهد الثلجى المرتسم على الجدران يتحرك، صعدا مع الغدير، ولاحت بحيرة للعيان. وكانت بحيرة صغيرة فى أعماق الجبال، ولكنها باعتبارها منبع مثل هذا الغدير الصغير الضيق، بدت كبيرة للغاية. اكتست ندف جليد الفاوينا البيضاء، كلما ازدادت ابتعادا، لمسة رمادية، وامتدت سحب ثقيلة فى البعيد، ولم يبد أن من الممكن تمييز الجبال عند الشاطئ البعيد.

حدق "سانكيتشى"، لبعض الوقت، فى ندف جليد الفاونيا المتساقطة على نحو متزايد، وهى تذوب فى سطح البحيرة. ومضى شئ يتحرك على جبال الشاطئ البعيد، وراح يقترب عبر السماء الرمادية. كان سربا من الطيور، لها أجنحة كبيرة بلون الثلج. وكأنما الثلج ذاته أضحى أجنحتها، وحتى عندما مرت أمام عينى "سانكيتشى"، لم يكن هناك صوت لاصطفاق الأجنحة. هل كانت هناك أجنحة ممتدة فى موجات صامته وئيدة؟ هل كان الثلج المتساقط يحمل الطيور عاليا؟

عندما حاول أن يحصى الطيور، كان هناك سبعة، كان هناك أحد عشر... فقد تسلسل الأرقام. لكنه أحس بأن ذلك مدعاة للمسرة، وليس للحيرة.

- ماهى هذه الطيور؟ ماهى هذه الأجنحة؟

رد عليه صوت تناهى إليه من أحد الطيور الثلجية.

- إننا لسنا طيورا. ألا ترى من يركب على الأجنحة.

قال "سانكيتشى":

- آه . فهمت.

ركبت كل النساء اللواتى أحببن "سانكيتشى" على أجنحة الطيور، عبر الثلج المتساقط، وأقبلن نحوه. ترى أيهن تحدثت أولا؟

فى حلم "سانكيتشى" لم يكن بمقدوره أن يستدعى حسبما شاء كل من أحببنه فى الماضى.

من مساء عيد العام الجديد وحتى صبيحة ثالث أيام العام وفى غرفة الثلج بفندق الحلم، تواصل "سانكيتشى" مع تلك الأرواح، مسدلا الستائر، ومصدرا أمره بجلب وجبات طعامه إلى الغرفة، من دون أن يغادر فراشه أبدا.

(١٩٦٤)

لقى من بلاد الثلج

ظهرت بلاد الثلج، بعد النفق الحدودى الممتد. وغدت أعماق الليل بيضاء وتوقف القطار عند الإشارة.

انبعثت فتاة واقفة من المقعد المقابل، وفتحت النافذة أمام "شيمامورا"، فتدفق البرد الجليدى. مالت الفتاة خارج النافذة، ونادت، كأنما تنادى على البعيد:

- يا ناظر المحطة ! يا ناظر المحطة !

أقبل الرجل، متثاقلا فى مسيرته عبر الجليد، حاملا قنديلا. وكان يلف ملفعته حول أنفه، وقد تدلت على أذنيه أطراف قلنسوته.

حدق "شيمامورا" فى الخارج. هل اشتد البرد إلى هذا الحد. تناثرت ثكنات ربما اتخذت مساكن للعاملين فى السكك الحديدية، عبر سفح الجبل، ولكن بياض الثلج ابتلعه الظلام قبل أن يبلغهم.

قبل ثلاث ساعات، كان "شيمامورا"، فىغمار رغبته فى التخلص من ضجره، قد مضى يحدق فى سبابة يده اليسرى، وهو يهزها، ففى نهاية المطاف كان هذا الإصبع هو وحده الذى تذكر، على نحو يفيض حيوية، المرأة التى كان فى طريقه للقائها. وكلما بذل جهده لتذكرها بوضوح ازدادت غرابة أن هذا الإصبع وحده هو الذى بدا أنه ينبغى أن يترطب بلمستها ويجتذبه للمرأة البعيدة، حتى فى غمار إفلاتها من قبضة ذاكرته التى يغيب عنها التيقن. قرب الإصبع من أنفه، وحاول أن يشمه، ثم رسم خطا بإصبعه عبر النافذة الزجاجية. بدا أن عين امرأة هناك. وقد بوغت إلى حد أنه أوشك على الصياح دهشة، ولكن ذلك كان بسبب شرود ذهنه. عندما استعاد تركيزه، أدرك أن الأمر لا شئ، ولا يعدو أن يكون انعكاس الفتاة الجالسة على المقعد المقابل فى عربة القطار. حل الظلام فى الخارج، وأضيئت الأنوار خارج القطار، وغدا زجاج النافذة مرآة، ولكنها تضببت بفعل بخار الماء، وهكذا فإن المرآة لم تظهر إلى أن جففها بإصبعه.

تدفق المشهد المسائى فى أعماق المرآة، وتحركت المرآة نفسها والأشياء المنعكسة على صقالها شأن صورة متحركة مزدوجة التعرض، بلا صلة بين الممثلين والمشهد. وفضلا عن ذلك،

وفيما الممثل بشفافية ساكنة، والمشهد بتدفقه الغائم - فيما الإثنان يتداخلان معا، صورا، عالما علويا من الزموز. وبصفة خاصة عندما كانت الأضواء في الحقول والجبال تتألق في منتصف محيا الفتاة، كان قلبه يحلق منتشيا بالجمال الذى لا سبيل إلى التعبير عنه.

كانت السماء النائية فوق الجبال لاتزال تحمل بقايا الغروب، ولذا كان بمقدوره أن يتبين الأشكال فى المشاهد، عبر النافذة، حتى فى البعيد، على الرغم من أن الألوان غدت ناصلة. وبقدر ماكان بوسعه أن يرى فإن المشهد الطبيعى للجبال والحقول العادية بدا أكثر عادية. مامن شئ برز متجاوزا سواه، ومامن شئ جذب انتباهه، وهكذا فقد كان الأمر أقرب إلى تدفق هائل للمشاعر. وقد كان ذلك، على نحو طبيعى، راجعا إلى أن عينى الفتاة طفتا وسط هذا كله. استمر المشهد المسائى فى التحرك عبر الملمح الجانبى الجميل للفتاة فى مرآة النافذة. وهكذا فإن وجه الفتاة بدوره بدا شفافا. ولكنه لم يستطع أن يختلس نظرة طويلة بما فيه الكفاية ليرى ما إذا كان وجه الفتاة جزءا من المشهد الذى انساب بلا انتهاء وراءه، حيث أن هذا الوجه بدا وكأنه يمر أمامه.

لم يكن القطار قوى الضوء فى الداخل، ولم تكن النافذة قوية للغاية، كمرآة حقيقية، ولم يكن هناك انعكاس آخر؛ ولذا فقد نسى شيمامورا، تدريجيا أن هناك مرآة، فيما هو يتطلع إليها. وقد بدأ يتخيل أن الفتاة تطفو فى المشهد الطبيعى المسائى.

عندئذ، أضيئ نور فى منتصف محياها، ولم تكن الصورة المنعكسة قوية بما فيه الكفاية لكى تمحو الضوء من الخارج، ولم يشوه الضوء الانعكاس، وهكذا فإن الضوء انساب عبر محيا الفتاة، ولكنه لم يفعل شيئا لينيرها أو يضيئها. كان ضوء باردا، نائيا. وفيما هو يتألق حول بؤبؤ عينها - وبتعبير آخر، فى اللحظة التى تطابق خلالها الضوء وعين الفتاة- تحولت عينها إلى حشرة جميلة، فاتنه، تطفو على سطح أمواج ظلمة الليل.

كان لنزل الينابيع الحارة، قبل بدء موسم التزلج على الجليد، نزلاؤه المعدودون. وكان النزل بأسره غافيا، عندما خرج شيمامورا من الحمام. وفى كل مرة كان يخطو خطوة على امتداد الدهليز العتيق، كانت الأبواب الزجاجية تقعقع على نحو خافت. وفى الركن، بعيدا فى القاعة قرب مكتب الاستقبال، وقفت المرأة، وقد استرسلت أطراف الكيمونو الذى ترتديه على الأرض الخشبية القاتمة الملتمعة.

هل أصبحت فتاة جيشا؟ أجفل عندما رأى أطراف الكيمونو الذى ترتديه. لم تدن منه، ولم تتراخ في وقفتها لتحييه. وحتى من بعيد لمح "شيمامورا" شيئا جادا فى قوامها، وهى تقف بلا حراك. أسرع نحوها، وتحول محياها الذى كسته مواد التجميل البيضاء إلى دموع، عندما حاولت أن تبتسم. وهكذا شرعا فى السير نحو حجرته فى صمت.

على الرغم مماحدث بينهما، إلا أن "شيمامورا" لم يكتب لها أو يجئ لرؤيتها، بل ولم يف بوعده بأن يرسل لها كتابا حول التدرب على الرقص. ومن المؤكد أن المرأة لم يكن بمقدورها إلا أن تتخيل أنها قد نسيت، وهكذا فقد حل الدور الآن على "شيمامورا" ليعتذر، أو ليطرح عذرا. ولكن حتى بينما هما يسيران، من دون أن يتطلع أحدهما إلى وجه الآخر، أدرك "شيمامورا" أن جسم المرأة بأسره، الذى كان أبعد مايكون عن مهاجمته، قد امتلأ بالحنين إلى ما أحسته ذات مرة، ولذا فقد حدث نفسه بأن أى كلمات قد يقولها الآن سيتردد صداها عابثا. ولفته نشوة رقيقة قوامها أن المرأة ستدبر الأمور بطريقتها، ثم عند أسفل الدرج دفع بيده اليسرى أمام المرأة، وقد مد إصبعها السبابة وقال:

- هذا هو ماتذكرك خير التذكر.

- أوه ؟

قالت المرأة، وهى تحكم إمساك الإصبع، وتجذبه، فيما هى ترقى الدرج. وعندما تركته أمام المجمرة احمرت خجلا قليلا، وصولا حتى العنق. ولكنها رفعت يده مجددا حتى لا يلاحظ. قالت:

- هكذا، فقد تذكرنى هذا ؟

- ليس الأيمن ... هذا الإصبع.

جعل يده اليمنى تنزلق من بين راحتيها، ومد قبضته اليسرى.

بدا وجهها رائقا، وهى تقول:

- نعم، فهمت.

كتمت ضحكة، وفردت أصابع "شيمامورا"، وضغطت وجهها قبالة راحته، وأضافت:

- هل تذكرتنى هذه؟

- أوه، إنه بارد. لم يسبق لى أن شعرت من قبل قط بأن شعرك بارد على هذا النحو.

- الثلج لم ينهمر فى طوكيو بعد. أليس كذلك؟

وقف "شيمامورا" فى المدخل، وتطلع عاليا إلى الجبل وراء النزل حيث كان عبق أوراق الشجر الجديدة قويا، ارتقى بناظريه الجبال، كأنما فتنته. ترى ما الذى كان مسليا على هذا النحو؟ ووحيدا تماما، لم يكف عن الضحك.

بعد قليل، وإذ حل التعب، دار حول نفسه، وجذب الكيمونو الصيفى الذى يرتديه، إلى أعلى قليلا، وهبط المنحدر، وحلقت فراشتان صفراوان بعيدا عن قدمية.

مع طيران الفراشتين بعيدا، ودورانهما بشكل متمعج، قريبا وبعيدا، سرعان ما ابتعدتا فوق الجبال الحدودية إلى حد أن صفارهما تحول إلى بياض.

وقفت المرأة فى ظل أجمة من أشجار الأرز، وقالت:

– ما الذى كنت تفعله؟ لقد كنت تضحك بمرح بالغ.

علا الضحك العبثى مرة أخرى.

– لقد كففت عنه. كففت عنه.

– حقا ؟

قالتها المرأة، وهى تتطلع بعيدا، وتسير ببطء إلى الأجمة. تبعها صامتا.

كان مزار "شنتو". واقتعدت المرأة صخرة مسطحة إلى جوار تمثالين للكلاب غطتهما الأشنة. قالت:

– هذه هى أكثر البقاع برودة. وحتى فى منتصف الصيف، يهب نسيم بارد.

– هل كل فتيات الجيشا هنا على هذا النحو؟

– إلى حد ما، وبعض الأكبر سنا فى صفوفهن جميلات للغاية.

قالتها، منكسة رأسها، وتحدثت بحدة. وحدث نفسه بأن خضرة أشجار الأرز الغسقية قد انعكست على عنقها.

تطلع "شيمامورا" إلى قمة غصون شجر الأرز. وقال:

– لا بأس، لقد تسربت القوة من جسمى ... إنه أمر غريب.

كانت أشجار الأرز فارعة للغاية، ولم يكن بوسعهما رؤية قممها إلا بالانحناء إلى الوراء. وقد انتصبت الجذوع المستقيمة أحدها إلى جوار الآخر، والأوراق القاتمة تحجب السماء. وبدا أن للسكون دويه. وكانت الشجرة التى استند أليها "شيمامورا" من أقدم الأشجار. ولسبب ماكانت الأغصان على الجانب الشمالى ميته جميعها، وأطرافها متكسرة. وبدا مابقى من الأغصان كصفوف من الأوتاد الناتئة من الجذع وأطرافها الخارجية كأنها أسلحة قدسية ضارية.

مضت المرأة تحدق فى النهر البعيد، حيث ينعكس المغيب. ساورها الشعور بالارتباك. قالت محاولة التخفيف مما جثم على صدرها:

– أوه، لقد نسيت، هو ذا تبغك. عندما عدت إلى غرفتك، منذ قليل، لم أجدك هناك. ورحت أتساءل أين عساك تكون، عندما لمحتك تتسلق الجبل وحيدا بمثل هذه القوة. كان بمقدورى رؤيتك من النافذة. كان ذلك أمرا غريبا للغاية، فقد بدا أنك نسيت تبغك، ولذا فقد أحضرته لك.

أخرجت تبغه من ردن الكيمونو الذى ترتديه، وأشعلت عود ثقاب.

- لم أكن لطيفا للغاية مع تلك الفتاة.

- هذا خيار النزيل ... الوقت الذى تغادر فيه.

كان للماء المتدفق فى الغدير المليئ بالصخور خرير عذب وممتلئ. وعبر أغصان أشجار الأرز كان بمقدورهما رؤية الصدوع الجبلية فى البعيد، وقد أخذت تعتم.

- مالم تكن طيبة مثلك، فإننى فيما بعد، عندما أقابلك، سأشعر بالارتباك، وأنا أحدث نفسى بأنك تعرفين أننى كنت معها.

- لا تدخلنى فى الأمر. كل ما هنالك أنك تكره أن تكون خاسرا.

قالتها المرأة، كأنما فى معرض السخرية. لكن شعورا مختلفا عما كان قبل أن تستدعى فتاة الجيشا قد سرى بينهما.

عندما أدرك "شيمامورا" أنه، منذ البداية، كانت هذه المرأة هى كل مبتغاه، وأنه كان يشق إليها دربه الدائرى المألوف، شعر من ناحية بضيق شديد من نفسه، بينما بدت المرأة، من ناحية أخرى، رائعة الجمال. وبعد أن نادته إلى ظلال أجمة الأرز، بدا أن شيئا ما قد غادر قوامها الجميل.

بدا أنفها الدقيق، الضيق، وحيدا، لكن شفتيها الصغيرتين الشبيهتين ببرعمين تحته كانتا ناعمتين وبرزتا للأمام وتراجعتا للخلف، كدائرة جميلة من العلق. ولو أنهما تجعدتا أو كان اللون سيئا لبدتا متسختين، لكنهما كانت مبتلتين وملتمعتين. وكانت أركان عينيها مسحوبة باستقامة عن عمد، ومن دون أن ترتفع إلى أعلى. وبدت عيناها، على نحو ما، غريبتين ، ولكن حاجبيها الكثيفين، اللذين مالا إلى التقوس أحاطا بهما على نحو بهيج. وكانت الخطوط الخارجية لوجهها عادية، ولكن ذقنها تبدو كقطعة من خزف أبيض مع حمرة خجل خفيفة، وكان هناك القليل من الامتلاء فى قاعدة عنقها، وهكذا فإن المرء بدلا من أن يصفها بالحسناء، يؤثر أن يقول إنها نقية، أو خالصة.

وبالنسبة لامرأة معتادة على خدمة الرجال، فإنها كانت تدفع صدرها للأمام، بطريقة بالغة الوضوح.

- انظر لقد خرجت البراغيث الرملية !

قالتها، وانبعثت واقفة، وهى تنظف ذيل كيمونوها.

فى تلك الليلة، فى حوالى العاشرة، هتفت المرأة باسم "شيمامورا"، واندفعت إلى غرفته، كأنما ألقيت عليها إلقاء. تهاوت فجأة على القمطر، فنثرت الأشياء التى عليه، بيد متلمسة، سكرى ونهلت بعض الماء.

كانت قد خرجت للقاء بعض الرجال الذين أصبحوا من معارفها عند منحدرات التزلج على الجليد فى ذلك الشتاء. وقد دعيت إلى نزلهم، واستدعوا فتيات جيشا، وأمضو وقتا خافلا بالقصف. وقالت إنهم جعلوها تسكر.

أدارت رأسها، وقالت بصوت من تعتعه السكر:

- آسفة. كان ينبغى ألا أكون هنا، سأحضر لاحقا، فهم سيبحثون عنى، ويتساءلون عن مكانى، سأحضر مرة أخرى لاحقا.

مضت مترنحة نحو الباب.

بعد ساعة سمع وقع أقدامها المترنحة، وقد بدا أنها تمضى متعثرة فى الممشى.

صاحت:

- شيمامورا ! شيمامورا ! أوه، لاأستطيع رؤية شئ ياشيمامورا !

كان من الجلى أنه الصوت المنبعث من الفؤاد العارى لامرأة تنادى رجلها. بوغت "شيمامورا" بما سمعه. ولكنه كان صوتا حادا، من المؤكد أن صداه تردد فى مختلف أرجاء الفندق، فانبعث واقفا، وقد استبد به الضيق. عندما دست المرأة إصبعها عبر ورق الحاجز الفاصل، وأمسكت بالإطار الخشبى بقوة، ثم تهاوت على "شيمامورا"، تردد صوتها.

- أوه، ها أنت ذا !

جلست متكومة واستندت إليه.

واصلت حك وجهها براحة يدها، وهى تقول:

- لست بسكرى. كيف يمكن أن أكون كذلك؟ هذا مؤلم. مؤلم. إننى متمالكة لرشدى. أوه. أريد بعض الماء. ماكان ينبغى أن أشرب كؤوس الويسكى تلك معهم، فقد أثرت على. هذا مؤلم. ابتاعوا بعض المشروب الرخيص. لا علم لى.

كانت المرأة تتهاوى، إذا خفف قبضته على ذراعها أدنى تخفيف، أمسك بعنقها قريبا منه للغاية بحيث أن شعرها كان منضغطا على وجنته. كانت يده داخل عنق الكيمونو الذى ترتديه.

لم تستجب لمطلبه، وطوت ذراعيها لتسد الطريق على ما يسعى إليه، ولكنها لم يكن لديها قوى تذكر، حيث حل بها الخدر وسيطر عليها السكر.

- ما هذا؟ اللعنة عليك. اللعنة عليك. لن تتحرك ... هذه الذراع.

قالتها، وأحنت رأسها، فجأة، على ذراعها.

أجفل، فتركها. كانت هناك آثار أسنان غائرة فى ذراعها.

أسلمت نفسها لذراعيه، وشرعت تكتب، شاردة الذهن. قالت إنها تكتب أسماء الرجال الذين أحبتهم. كتبت عشرين إسما أو ثلاثين من أسماء ممثلى السينما والمسرح ثم كتبت "شيمامورا" مرارا وتكرارا.

ازداد الانتفاخ البهيج فى يد شيمامورا سخونة على نحو تدريجى.

- أوه. لا بأس، لا بأس.

تحدثت بصفاء، فأحس بشئ أمومى فيها.

فجأة، عاود الألم المرأة، تلوت، وانبعثت واقفة، ولكنها سقطت ممدة على الأرض، فى الركن القصى من الغرفة.

- لا، لا. إننى راحلة.

- ليس بمقدورك السير، والمطر ينهمر فى الخارج.

- سأمضى حافية، سأذهب للدار زحفا.

- الأمر بالغ الخطورة. إذا كنت ستمضين للدار، فسوف أصحبك إليها.

كان النزل على تل، والانحدار شديد.

- لم لا تخففين من إحكام شد زنارك. ينبغى أن ترقدى، وتفيقى قليلا.

- لا، ذلك لا جدوى منه، إننى معتادة على الزنار بهذه الطريقة.

قالتها، وجلست مستقيمة الظهر، ودفعت صدرها للأمام، ولكن التنفس كان مجهدا. فتحت النافذة، وحاولت التقيؤ، لكن شيئا لم يخرج من حلقها، وواصلت كبح جماح دافع يحدوها إلى الانكماش والتلوى، ثم تقول مرارا وتكرارا إنها سترحل وكأنما تؤكد كذلك لنفسها. وسرعان ما تجاوزت الساعة الثانية بعد منتصف الليل.

أشاحت بوجهها بعيدا، لتختفى عن عينى "شيمامورا"، ولكنها فى نهاية المطاف، دفعت بشفتيها بضراوة باتجاهه. ولكنها بعد ذلك وفى غمار دمدمتها، فى معرض الشكوى من الألم، كررت قولها مرارا وتكرارا.

– لا. ذلك لاجدوى منه. لاجدوى منه. ألم تقل: فلنكن أصدقاء؟

صك الصدى الحاد سمع "شيمامورا". كانت قوة إرادتها، وهى تقارب ما بين حاجبيها، كفيلة بأن تبعده، بل أنه تساءل عما إذا كان ينبغى عليه الحفاظ على وعده للمرأة.

– لست نادمة على شئ، ولن تكون لدى مشاعر ندم أبدا. ولكننى لست من ذلك النوع من النساء. لست منهن. ألم تقل بنفسك أن ذلك لن يدوم؟

بدت شبه فاقدة للإحساس بفعل السكر.

– إننى لست المخطئة، بل أنت. أنت من استسلم. أنت الطرف الضعيف، ولست أنا.

بينما استمرت فيما هى عليه، راحت تعض ردن ردائها، لتقمع نشوتها.

فى لحظة سيطر عليها الهدوء، كأنما انفثأ هياجها، ثم انبعثت واقفة كأنما تذكرت شيئا.

– إنك تضحك. أليس كذلك. تضحك منى.

– لست أضحك.

– إنك تضحك فى قرارة نفسك. ربما لا تضحك الآن، ولكنك ستضحك يقينا فى مرحلة لاحقة.

رقدت على وجهها، وانغمست فى النحيب.

ولكنها عندما كفت عن البكاء، بدأت فى الحديث عن نفسها، برقة، وعلى نحو ودود، ولكن كأنما كانت تحادث نفسها. وبدا أن الألم النابع من سكرها قد اختفى، كأنما نسيته، ولم تأت على ذكر شئ مما حدث توا.

ابتسمت، قائلة:

– أوه. لقد كنت مشغولة للغاية بالحديث.

قالت إن عليها المغادرة قبل انبلاج الصبح. وأضافت:

– لا يزال الظلام سائدا، ولكن الناس هنا يستيقظون مبكرين.

نهضت عدة مرات، وفتحت النافذة. قالت:

– ليس بمقدورى رؤية أحد بعد، المطر يهطل هذا الصباح، ولن يمض أحد إلى الحقول.

وحتى بعد أن بدأت أسقف الدور على الجبال والسفوح الواقعة عبر الطريق فى الظهور، فى غمار المطر، بدا أن المرأة غير راغبة فى المغادرة. غير أنها رجلت شعرها قبل أن ينهض الناس

فى النزل، ولخوفها من أن الناس قد يرقبون "شيمامورا" وهو يودعها عند المدخل، انسلت مسرعة، كأنما تلوذ بالهرب.

عندما رفعت رأسها، كان بمقدوره أن يلمح عبر طبقة مادة التجميل البيضاء الكثيفة أن وجهها قد تضرج احمرارا من جفنيها حتى أنفها، حيث ضغطت راحة "شيمامورا". وبينما جعله هذا يفكر فى برودة ليالى بلاد الثلج، بدا شعرها الفاحم دافئا.

لاحت ابتسامة على شفتيها، ولكنها حاولت أن تخفيها وحتى فى غمار قيامها بذلك، بدا أن كلمات "شيمامورا" تغلغل فى جسمها. وربما كانت تتذكر الوقت الذى أمضياه معا. نكست رأسها فى شرود حزين. وكان بمقدور "شيمامورا" أن يرى نزولا مع قفاها أنه حتى ظهرها تضرج احمرارا، كأنما تعرض للعيان عرى فج، مبتل. وربما كان التناغم مع لون شعرها هو الذى جعله يعتقد ذلك. لم يكن شعرها فى المقدمة بديعا، ولا ناعما، وكان مرجلا إلى الخلف بضربات مشط قوية، من دون شعرة واحدة نافرة، وحظى ببريق يشبه بريق معدن أسود ثقيل.

لم يكن السر فى أن "شيمامورا" قد دهش من قبل، وقال إن تلك هى المرأة الأولى التى يلمس فيها مثل هذا الشعر البارد، راجعا إلى البرودة، وقد تساءل عما إذا لم يكن السر كامنا فى طبيعة الشعر نفسه. وبينما هو يحدق فى المرأة مجددا، بدأت تعد على أصابعها وهى تجلس على "الكوتاتسو"، وبدا أنها لن تكف عن العد أبدا.

– ما الذى تعدينه؟

هكذا سألها، ولكنها واصلت العد فى صمت.

– الثالث والعشرون من مايو. أليس كذلك؟

– أوه. إنك تعدين الأيام. تذكرى أن يوليو وأغسطس هما شهران كبيسان يأتيان أحدهما بعد الآخر.

– إنه اليوم التاسع والتسعون بعد المئة. لقد انقضى مئة وتسعة وتسعون يوما على وجه الدقة.

– إنه قطار منتصف الليل المنطلق إلى طوكيو.

انبعثت واقفة لدى سماعها صوت الصفارة البخارية، وفتحت الحاجز الورقى، والباب الزجاجى، على نحو خشن يوحى بالتصميم. جلست فى النافذة، وقد مال جسمها فى مواجهة الحاجز.

اندفع الهواء البارد إلى الغرفة، ومع انداح صدى القطار فى البعيد، بدا الصوت كأنه زفيف الريح الليلية.

- أنت، ألا تشعر بالبرد؟ أنت أيها الأحمق !

عندما نهض "شيمامورا"، ومضى نحوها، لم يكن هناك ريح.

كان المشهد الليلى ضاريا، كأنما صوت المدى الممتد من الثلج وهو يتصلب يتردد صداه عميقا فى باطن الأرض. لم يكن هناك حضور للقمر. وبدت النجوم المتعددة على نحو لا يصدق متوهجة للغاية بالحيوية إلى حد أنها بدت كما لو كانت تتهاوى، ومضت سرعتها عبثا. مع اقتراب جمع النجوم، ازداد عمق السماء بلون الليل البعيد. وغدت آماد وراء آماد من الجبال الحدودية غير مميزة، واكتسبت بالمقابل ثقل كتلة هائلة. وكان كل شئ متناغما، وصافيا، وساكنا.

عندما لاحظت المرأة اقتراب "شيمامورا"، انحنت فوق الحاجز، ولم يكن ذلك من جراء الضعف، فقد كان ذلك هو أكثر الأوضاع التى يمكن أن تتخذها عنادا، مع وجود هذا الليل كإطار يضمها. حدث "شيمامورا" نفسه قائلا إن الأمر لا ينبغى أن يحدث مجددا.

على الرغم من أن الجبال كانت متشحة بالسواد، إلا أنها بدت بيضاء، فى لحظة، من جراء الثلج الملتمع، ثم بدأت تبدو كما لو كانت كيانات حزينة، شفافة. فقدت الجبال والسماء تناغمها.

- أغلقى النافذة !

- دعنى أمكث على هذا النحو قليلا !

كانت القرية شبه محتجبة فى ظل أجمة أرز المزار، ولكن نوار القرية، التى لا تبعد عشر دقائق بالسيارة، ازدادت تألقا على نحو يدفع المرء لأن يجفل.

شكلت تلك المرة الأولى التى قدر فيها لشيمامورا أن يشعر بمثل هذا البرود فى وجه المرأة، فى زجاج النافذة، ردن ردائه ... فى كل شئ يلمسة.

وحتى الحصر تحت قدميه كان بردها يتزايد، ولذا شرع فى المضى إلى الحمام وحيدا.

- انتظر أرجوك، سأذهب بدورى !

قالتها المرأة، وتبعته هذه المرة عن طواعية.

قبل نزيل، بينما كانت المرأة تضع فى صندوق الثياب التى خلعها شيمامورا، وألقى بها أرضا، ولكنه عندما لا حظ أن المرأة قد جثمت أمام صدر "شيمامورا" وحجبت وجهها، قال:

- أوه، اعذرانى !

- لا بأس. لسوف نمضى إلى حمام آخر.

قالها "شيمامورا" على نحو عاجل. مضى عاريا، والتقط الصندوق وذهب إلى حمام النساء المجاور. تبعته المرأة، على نحو طبيعى، كأنهما زوجان. ومن دون أن يتحدث "شيمامورا" أو

يتطلع إلى الوراء، وثب فى الحمام، وإذ شعر بالارتياح، أحس بضحكة تطفو كالفقاعة بداخله، ولذا فقد شرع فى المضمضة بصوت مسموع فى الموضع المخصص لذلك.

بعد أن غادرا إلى الغرفة، رفعت المرأة رأسها، وهى ترقد ودفعت خصلة شعرها الجانبية بإصبعها الصغير. وكان كل ما قالته:

– هذا أمر محزن.

عندما اقترب ليحدق فى المرأة، متسائلا عما إذا كانت عيناها السوداوان شبه مغمضتين، أدرك أن أهدابها هى التى تجعلها تبدو على هذا النحو.

لم تغمض المرأة العصبية جفنيها للحظة.

استيقظ "شيمامورا" على صوت إحكام شد زنار المرأة.

حتى بعد أن أحكمت شد الزنار، انبعثت واقفة، وجلست، وسارت فى أرجاء الغرفة، وهى ترقب النافذة. كان ذلك هو نوعية القلق والتجول فى المكان اللذين نلمسهما فى حيوانات ليلية تخشى مقدم الصباح. كانت ضراوة ساحرة تتدفق ملء أعماقها.

كان بمقدوره رؤية وجنتى المرأة الحمراوين. ترى هل مالت الغرفة إلى استيعاب المزيد من الضوء؟ وإذا أجفل، فقد استنزفه اللون الأحمر المترع حيوية.

– وجنتاك غارقتان فى الحمرة، والبرد شديد الضراوة.

– ليس ذلك راجعا إلى البرد. لقد نزعت مواد التجميل عن وجهى وبمجرد دخولى الفراش، فإننى أشعر بالدفء وصولا إلى أطراف أصابع أقدامى.

قالتها، وهى تواجه المرآة.

– أخيرا، حل الضياء بالخارج. سأمضى إلى الدار.

تطلع إليها "شيمامورا"، ثم انكمش مجددا. عكست أعماق المرآة الثلج الأبيض، وطفت وجنتا المرأة الحمراوان وسط الجليد. كان الجمال الخاص، الصافى، مستعصيا على التعبير والوصف.

هل توشك الشمس على الشروق؟ ازداد تألق الثلج فى المرآة، كأنه يحرق البرد إحراقا، ومعه ازداد بريق شعر المرأة، الجامع بين اللونين الأرجوانى فى المرآة.

(١٩٧٢)

الحواشى

(١) هذا التقارب بين الإنسان ومخلوقات الطبيعة فى اليابان، بما فى ذلك الحشرات، أمر طبيعى تماما، لا فى الريف، أو الحدائق فحسب، وإنما فى كل مكان تقريبا، بحكم تقاليد وأعراف ضاربة الجذور من مد الجسور بين الإنسان والطبيعة بشتى أشكالها، وأيضا بحكم الكثيرمن أفكار وتعاليم الشنتوية والزن. وعلى وجه التحديد فكرة التناسخ.

(٢) على امتداد قرون طويلة، كانت فتيات الجيشا يجمعن حشد من المهارات والفنون، الهدف منها الترفيه عن الرجال فى صور شتى كالحديث والعزف والغناء وإلقاء الشعر، غير أن هذه المهمة سرعان ماتعرضت لتردى مستواها، ومن الناحية العملية، فإنها لم يعد لها وجود، إلا فى حدود ضيقة للغاية بحكم التكاليف الباهظة لهذا النوع من الترفيه، الأمر الذى جعل نخبة ضئيلة هى التى تحظى به فى يابان المنعطف الأخير للقون العشرين.

(٣) الأوبى هو الزنار اليابانى الشهير الذى يعد جزءا لا يتجزأ من صميم الملابس التقليدية اليابانية، ولكنه شأن الكيمونو والهاكاما، وغيرهما من الملابس التقليدية اليابانية لم يعد يستخدم فى الحياة اليابانية، وإنما يستخدم فى الأعياد والمناسبات الخاصة.

(٤) التينجو، فى الفولكلور اليابانى، أقرب إلى العفاريت الصغار.

(٥) الكابا مخلوقات مائية تحتال على البشر وتدبر لهم المكائد، بحسب التصور الفولكلورى اليابانى.

(٦) الساكى هو المشروب الكحولى اليابانى الشهير، وهو يشبه مشروب العرق العربى بعد إضافة الماء إليه، وهو يعد من الأرز المخمر، ويقول العارفون إن الأنواع الجيدة منه يمكن أن يكون تأثيرها بالغ القوة على من يحتسيه، وربما لهذا السبب درج العرف فى اليابان على احتساء الساكى فى أقداح صغيرة للغاية.

(٧) مشاهد براعم الكرز خلال موسم تفتحها من الجسور التقليدية التى تمد لكسر حاجز الاغتراب بين الإنسان والطبيعة فى اليابان، وقد كان موضوعا أثيرا لأعمال فنية لا حصر لها كالمسرح التقليدى والقصائد والروايات والقصص القصيرة.

(٨) مفهوم البوذيساتفا فى التقاليد اليابانية على جانب كبير من التعقيد، فلنكتف هنا بالقول إنه يعنى أحد المراحل التى تجتازها الكائنات القدسية فى طريقها إلى الاستنارة الكاملة، والتخلص من دورات الموت والميلاد بشكل نهائى.

(٩) مسرح النو هو الشكل الأكثر قوة من بين أكثر من اثنى عشر شكلا من أشكال المسرح اليابانى التقليدى، ويتميز عرض النو، بصفة خاصة، بأنه فى جوهره ليس إلا تجربة روحية-فنية، ويقع على كاهل الممثل عبء هائل فى تنفيذ العمل بالشكل المؤسلب الذى تم تكريسه عبر تقاليد تعود إلى خمسة قرون، فالرحلة الشاقة، على سبيل المثال، يختزلها الممثل بالدوران ببطء حول نفسه مع إحداث تأثير لأقصى ضغط يمكن تصوره على الجسم البشرى.

(١٠) الساموراى هم طبقة المحاربين التقليدية فى المجتمع اليابانى، والتى ارتبطت بقواعد عرفيه محددة فى السلوك تعتمد على احترام القيم والأعراف وتكريس مفهوم الشرف والولاء للزعيم، وقد أطاحت التطورات الاقتصادية بصفة خاصة بهذه الطبقة، وإن بقى تراثها قوى التأثير فى شرائح بعينها من المجتمع اليابانى، حتى اليوم.

(١١) القناع شديد الأهمية فى الحياة اليابانية، ويبدو ذلك منعكسا بوضوح فى المسرح التقليدى، ويخيل لى أن جانبا من أهميته يعود إلى مفهوم النفس البوذية، وهو مفهوم خلافى بطبيعته.

(١٢) الغموض فى النص جزء أصيل من تقاليد الكتابة عند كاواباتا، لكنه يخدم دائما غرضا فنيا مقصودا، ويخيل إلى أن الغموض فى هذا المقطع من القصة قصد به المضى إلى نهاية الشوط فى تأكيد التماهى بين الأختين الذى فرض نفسه، بقوة وعنفوان، على الأخت الكبرى، مع إطباق الموت على الأخت الصغرى التى كانت الأخت الكبرى تعتبرها نفسها الأخرى.

(١٣) التابى ليس جوربا عاديا، وإنما هو يصنع بطريقة خاصة، ويفصل بين الإصبع الكبير وحده وباقى الأصابع معا، ويستخدم كجزء من الملابس التقليدية اليابانية.

(١٤) شأن العديد من شعوب العالم فإن الثعبان فى الميثولوجيا والفولكلور اليابانى له حضوره القوى، ولكنه فى الحالة اليابانية حضور شديد الثراء ومتعدد الدلالات، وليس مرتبطا بالشر على نحو ماهى الحال لدى شعوب آسيوية أخرى عديدة.

المحتويات

مقدمة المترجم ٧

مكان مشمس ١٩

الوعاء الأضعف ٢١

الفتاة التي دنت من النيران ٢٢

المناشر والميلاد ٢٤

الجنوب وصرار الليل الخوار ٢٦

الخاتم ٣٠

شعر ٣٢

طائرا الكناري ٣٤

مرفأ ٣٦

صورة ٣٧

الزهرة البيضاء ٣٩

حادثة الوجه المحتضر ٤٢

زجاج ٤٤

اوشين جيزو ٤٨

صخرة الانزلاق ٥١

شكرا لك ٥٤

سارقة التوت الفضي ٥٨

حذاء صيف ٦٢

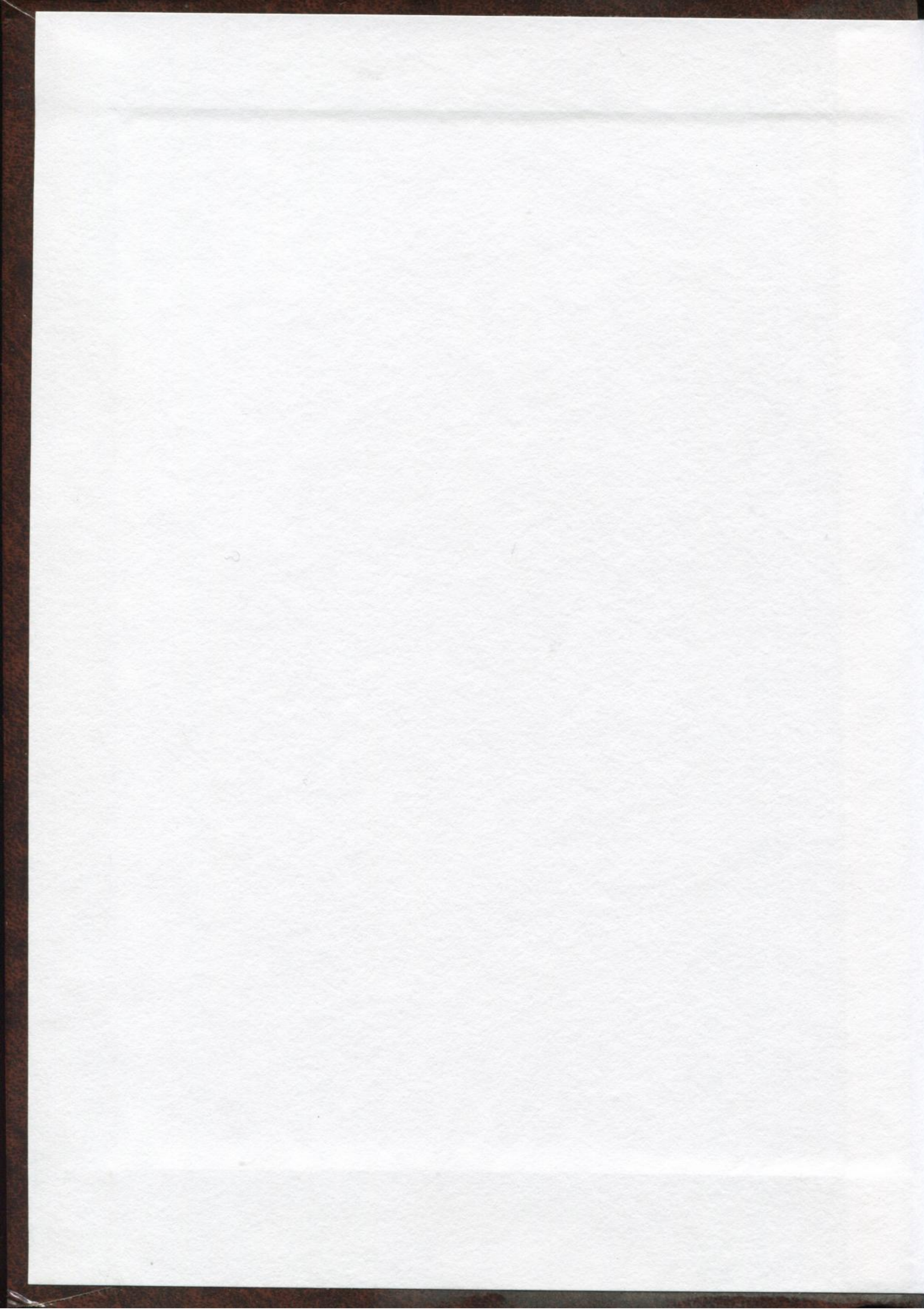
وجهة نظر طفل ٦٥

انتحار العشاق ٦٦

ابتهالات العذارى ٦٨
شتاء وشيك ٧١
زواج تدبره عصفورة دوري ٧٥
حادثة القبعة ٧٧
سعادة شخص واحد ٨١
الرب موجود ٨٤
سمك ذهبي على السقف ٨٨
أم ٩١
أظافر صباحية ٩٥
فتاة سوروجا ٩٧
يوريكو ١٠٠
العظام ١٠٢
ابتسامة خارج الكشك الليلي ١٠٤
الضرير والفتاة ١٠٨
عندما تبحث الزوجة ١١٢
حبة عين أمها ١١٧
رعد في الخريف ١١٩
دار ١٢١
المحطة المطيرة ١٢٣
في مكتب الرهونات ١٣٠
مرحاض ١٣٤
الرجل الذي لم يبتسم ١٣٧
سليلة الساموراي ١٤٢
الديك والفتاة الراقصة ١٤٦
تجميل ١٥٠
الزوج والرباط ١٥٢

عادة في الرقاد ١٥٦
مظلة ١٥٨
قناع الموت ١٦٠
وجوه ١٦٣
ملابس الأخت الصغرى ١٦٥
روجة الريح الخريفية ١٧١
ولادة آمنة لكلبة أليفة ١٧٤
موطن ١٧٨
ماء ١٨٠
القطع الفضية ذات الخمسين سنيا ١٨٢
تابي ١٨٧
طائر الزرياب ١٩٠
قوارب من وريقات الخيزران ١٩٥
بيض ١٩٨
الثعابين ٢٠٣
مطر خريفي ٢٠٧
الجيران ٢١٠
عالياً في الشجرة ٢١٤
ملابس ركوب ٢١٧
خلود ٢٢١
الأرض ٢٢٥
الجواد الأبيض ٢٣٠
ثلج ٢٣٤
لقى من بلاد الثلج ٢٣٨
الحواشي........ ٢٤٩

*







صدر حديثاً فى هذه السلسلة:

البحث عن الزمن المفقود: الجزء الأول/ مارسيل بروست
ت: إلياس بديوي

البحر والسم/ شاساك، إندو
ت: كامل يوسف حسين

البطء/ ميلان كونديرا
ت: طلعت الشايب

اغتيازت للذكرى/ ديديه دينانكس
ت: راوية صادق

الربيع وفصول أخرى/ لوكليزيو
ت: أ. د. محمد براده

أسير عاشق/ چان چينيه
ت: كاظم جهاد

مختارات من الشعر الأمريكي المعاصر (٤٥-١٩٩٥)
ت: د. حسن حلمي

الشمس المهيمنة/ إيليتس
ت: محمد عفيفي مطر

دير پارم/ استندال
ت: عبد الحميد الدواخلي

يوميات لص/ چان چينيه
ت: أحمد عمر شاهين

عارياً أمام الآلهة/ شيف كومار
ت: طلعت الشايب